

١٦٠ ر.س



الدراسات الدعوية
①

التدابير الوقائية مِن انتكاس الإسلاميين

تأليف
سارة بنت عبد الرحمن الفارس

المنهج الخيري لنشر البحوث والرسائل العلمية (٢٢)

مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

الضدوق الحبري لنشر المجلات والرسائل العلمية

(٢٢)

الدراسات الدعوية

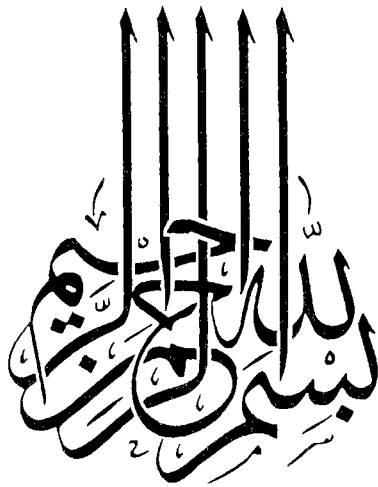
(١)

التدابير الواقية من انتكاس الإسلام

تأليف

سارة بنت عبد الرحمن الفارس

كوثر شبليليا
للنشر والتوزيع



التدبير الواقعي
من
انتكاس المسألة

(ح) دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفارس، سارة عبدالرحمن

التدابير الوقائية من انتكاسة المسلم/سارة عبدالرحمن الفارس

الرياض ١٤٢٩هـ

ص ٢٨٠؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٩-٢٧٨-٧

١- المعاصي والذنوب ٢- الدعوة الإسلامية أ- العنوان

١٤٢٩/٣٩٩

ديوي ٢١٢،٣

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣٩٩

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٩-٣٧٨-٧

ساعد على نشره ليبيع بسعر التكلفة



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية

SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^{(٣)(٤)}.

أما بعد:

فإن الله عز وجل أنعم على الإنسان بنعم عظيمة لا تعد ولا تحصى، وإن من أجل هذه النعم وأعظمها قدراً نعمة الهداية والاستقامة على الصراط المستقيم الموصل إلى جنات النعيم وهي أغلى ما يملكه المرء وأتم وأكمل نعمة امتن الله بها على عباده قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران، الآية [١٠٢].

(٢) سورة النساء، الآية [١].

(٣) سورة الأحزاب، الآيات [٧٠ - ٧١].

(٤) هذه خطبة الحاجة كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه [رقم ١١٠٥]، (ج ٣، ص ٤١٣).

وقال الترمذي: حسن.

(٥) سورة: المائدة، الآية [٣].

وهذه النعمة كغيرها من النعم معرضة للذهاب والزوال إن لم تصن وتحفظ ، فقد يسير المرء في أول عمره على الصراط المستقيم ويسلك طريق الهداية والاستقامة ثم ينحرف عنه في آخر عمره فيسلك طريق الغواية والضلالة فينتكس ويهلك - والعياذ بالله - لقوله صلى الله عليه وسلم : (وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار)^(١).

فالإنسان تنازعه عوامل الخير والشر فينساق إلى أحدهما بدافع داخلي أو بمؤثر خارجي من المحيط الذي يعيش فيه ، وما أكثر من يضل وينتكس عن الصراط المستقيم (فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)^(٢).

وتكمن خطورة هذه الانتكاسة أنها عامة تسري على جميع طبقات الناس وأصنافهم حتى العلماء والدعاة قد يقعون في هذا المزلق الخطير.

فالانتكاسة عن الدين ظاهرة خطيرة وهي ليست مرتبطة بأهل الإسلام الذين بعث فيهم محمد ﷺ فحسب بل إن إبليس أول من انتكس في التاريخ ، وكذلك فإن تاريخ بني إسرائيل مليء بمثل هذه الأخبار والقصص عن هذه الظاهرة الخطيرة ، وفي هذا العصر ظهرت هذه القضية بشكل واضح في هذه المرحلة من تاريخ المسلمين ، وهي ظاهرة تبعث على القلق إذ قد تكون سبباً في دخول النار

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٣١٥٤ ، ج ٣ ، ص ١٢١٢).

(٢) كما قال النبي ﷺ : (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد

يصرفه حيث يشاء). رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٦٥٤ ، ج ٤ ، ص ٢٠٤٥).

كما أنها تمثل تاكلاً من الداخل في وقت ومرحلة الأمة فيها أحوج ما تكون إلى تنامي هذه الدعوة المباركة، كما أن الانتكاسة عن الدين تمثل إهداراً لجهود الدعاة والمصلحين في الدعوة والتربية.

وهذا مما يدعو المسلم الجاد أن لا يقف موقف الحياد تجاهه، فالحاجة تتزايد لدراسة هذه القضية التي تعد من أهم قضايا المسلم على مر العصور والدهور. لذا أرى أن هذه القضية جديرة بالبحث والدراسة للكشف عن أسبابها وسبل علاجها والوقاية منها بما شرعه الله عز وجل من الأحكام والتكاليف التي تحفظ المسلم وتقيه من الانتكاسة.

التعريف بمفردات العنوان :

التدابير:

لغة: جمع تدبير، والتدبير من دَبَّر الأمر وتدبَّره أي: نظر في عاقبته والتدبير في الأمر، أن يتدبر الرجل أمره ويدبره أي: ينظر في عواقبه^(١).
الواقية: من وقى: وقاه الله وقياً ووقاية وواقية أي: صانه، وفي الحديث: (فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار...) (٢). ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى (٣).

انتكاسة: من نكس، والنَّكْسُ هو: قلب الشيء على رأسه والنكس في الأشياء معنى يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله، قال الله تعالى:

(١) لسان العرب، ابن منظور، (ج ٤، ص ٢٧٣)، مادة دبر.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٧٣٧٣، ج ١٦، ص ٣٧٣).

(٣) لسان العرب، (ج ١٥، ص ٤٠١)، مادة وقى.

﴿ثُمَّ تُكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾^(١)، أي: رجعوا عما عرفوا من الحجة لإبراهيم عليه السلام^(٢).

والمراد بالانتكاس اصطلاحاً: انقلاب المرء بعد هداية الله إلى الضلال ومن الرشد إلى الغي ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم^(٣).

والمقصود بالتدابير الواقية في هذا البحث: مجموعة الأمور والأحكام الوقائية التي شرعها الإسلام من باب سد الذرائع لصيانة المسلم من الانتكاسة عن الدين. المسلم: الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقوم بأركان الإسلام وأصول الإيمان وواجباته.

منهج البحث:

أولاً: اتبعت المنهج الاستقرائي^(٤) وذلك من خلال جمع النصوص ذات العلاقة بالموضوع من الكتاب والسنة وأقوال السلف، ثم استخدمت المنهج الاستنباطي^(٥) وذلك بتصنيف ما تم جمعه من النصوص ودراستها من خلال

(١) سورة الأنبياء، الآية [٦٥].

(٢) لسان العرب، (ج ٦، ص ٢٤١)، مادة نكس.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، (ج ٢، ص ٣٨).

(٤) هو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً.

انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن الميداني، (ص ١٨٨).

(٥) هو المنهج الذي ينطلق منه الباحث من قضايا يقينية أو مبادئ ثابتة مسلم بها حتى يستخلص منها قضايا أخرى دون اللجوء إلى التجربة.

انظر: منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبدالمنعم صابر، (ص ٧٣).

كتب التفاسير وشروح الأحاديث وأقوال الأئمة واستنباط التدابير المطلوبة منها والبرهنة عليها وإثباتها.

ثانياً: رتبت موضوعات البحث في فصول والفصول تتكون من مباحث والمباحث تحتها فروع.

ثالثاً: اعتمدت على أمهات الكتب والمراجع الأصلية - غالباً - في التحرير والتوثيق والتخريج ، وإذا نقلت نصاً جعلته بين قوسين [] وإذا تصرفت في النقل أو ذكرته بالمعنى أشرت إليه في الهامش بذكر كلمة انظر.

رابعاً: عزوت الآيات إلى مواضعها من القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.

خامساً: خرجت الأحاديث من كتب الحديث المعتمدة مع بيان الحكم عليها نقلاً من أهل الاختصاص - ما عدا الأحاديث التي وردت في الصحيحين أو أحدهما - فأكتفي بتخريجها فقط لمنزلة هذين الكتابين من الصحة.

سادساً: قمت بإيضاح الألفاظ الغامضة وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة.

سابعاً: اتبعت الرسالة بفهرس للمصادر والمراجع والموضوعات.

موضوعات البحث:

المقدمة وتشمل :

* خطبة الحاجة.

* أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

* التعريف بمفردات العنوان.

* منهج البحث.

* تقسيم البحث.

* الفصل الأول: انتكاسة المسلم (أسبابها وآثارها وحكمها):

* المبحث الأول: مفهوم انتكاسة المسلم.

* المبحث الثاني: أسباب انتكاسة المسلم.

* المبحث الثالث: آثار انتكاسة المسلم.

* المبحث الرابع: حكم انتكاسة المسلم.

* الفصل الثاني: التدابير الذاتية الوقائية من انتكاسة المسلم:

* المبحث الأول: التدابير الذاتية المتعلقة بالعقيدة.

* المبحث الثاني: التدابير الذاتية المتعلقة بالشرعية.

* المبحث الثالث: التدابير الذاتية المتعلقة بالأخلاق والآداب.

* الفصل الثالث: التدابير الأسرية الوقائية من انتكاسة المسلم:

* المبحث الأول: مسؤولية الوالدين.

* المبحث الثاني: مسؤولية الزوج.

* المبحث الثالث: مسؤولية الإخوة.

* المبحث الرابع: مسؤولية عامة الأقارب.

* الفصل الرابع: التدابير الاجتماعية والتعليمية والإعلامية الوقائية من

انتكاسة المسلم:

* المبحث الأول: التدابير الاجتماعية الوقائية من انتكاسة المسلم.

* المبحث الثاني: التدابير التعليمية الوقائية من انتكاسة المسلم.

* المبحث الثالث: التدابير الإعلامية الوقائية من انتكاسة المسلم.

* الخاتمة: وتشتمل على نتائج البحث وأبرز توصياته.

* الفهارس.



الفصل الأول

انتكاسة المسلم

أسبابها وآثارها وحكمها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم انتكاسة المسلم.

المبحث الثاني: أسباب انتكاسة المسلم.

المبحث الثالث: آثار انتكاسة المسلم.

المبحث الرابع: حكم انتكاسة المسلم.





تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

تقديم

يحسن بنا قبل أن نغوص في أعماق هذا البحث وثناياه أن نبدأ بعرض وإيضاح عنوان هذا البحث فنبين مفهوم الانتكاسة وأسبابها وآثارها وموقف الشريعة منها.

لذا سيظهر هذا الفصل في أربعة مباحث كالتالي :

- * المبحث الأول : مفهوم انتكاسة المسلم.
- * المبحث الثاني : أسباب انتكاسة المسلم.
- * المبحث الثالث : آثار انتكاسة المسلم.
- * المبحث الرابع : حكم انتكاسة المسلم.

المبحث الأول

مفهوم انتكاسة المسلم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

مفهوم الانتكاسة اللغوي

النكس: قلب الشيء على رأسه ، نَكَسَهُ يَنْكُسُهُ نَكْسًا فانتكس .
وَنَكَسَ رأسه : أماله .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَكْسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾^(١) يقول : رجعوا عما عرفوا من الحق لإبراهيم عليه السلام وفي الحديث : (تعس عبد الدينار وانتكس..) ^(٢) أي انقلب على رأسه ^(٣) .

وانتكس الشيء : انقلب وجعل أعلاه أسفله ^(٤) .
والنكسُ : يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره ^(٥) .
والولد المنكوس : أي يخرج رجلاه قبل رأسه ^(٦) .
والتُّنْكُسُ : العود في المرض ، تُنْكِسَ في مرضه تُكْسًا ^(٧) .

(١) سورة الأنبياء ، الآية [٦٥] .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٨٨٧ ، ج ٦ ، ص ٨١)

(٣) انظر : لسان العرب ، (ج ٦ ، ص ٢٤١) ، مادة نكس .

(٤) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، (ج ٢ ، ص ٩٥٢) ، مادة نكس .

(٥) تاج العروس ، الزبيدي ، (ج ١٦ ، ص ٥٧٦) ، مادة نكس .

(٦) المحيط في اللغة ، إسماعيل عباد ، (ج ١٦ ، ص ١٨٧) ، مادة نكس .

(٧) العين ، عبدالرحمن الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، (ج ٥ ، ص ٥٣١٤) ، مادة نكس .

فالرجوع والعود والانقلاب والإمالة كلها معان تدخل في مفهوم الانتكاسة. إذاً فالمفهوم اللغوي للانتكاسة يدور حول الانقلاب والإمالة والرجوع والعود.

المطلب الثاني

مفهوم الانتكاسة الاصطلاحي

لقد عرّف العلماء الانتكاسة بعدة تعريفات منها ما ذكره الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره بأنها انقلاب المرء بعد هداية الله إلى الضلال، ومن الرشد إلى الغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم^(١).

ومنهم من فسر الانتكاس بالخور بعد الكور وقال: هو تغير الإنسان من الإيمان إلى الكفر أو من التقوى والصلاح إلى الفجور والسوء^(٢).

ومنهم من فسرها بالردة وقال: هي الردة من الإسلام إلى الكفر^(٣).

ومنهم من قال هي: الرجوع من الهدى إلى الضلال^(٤).

فالمفهوم الاصطلاحي للانتكاسة يدور حول الانقلاب والتغير والرجوع والردة من الهدى إلى الضلال. وذلك باعتبارات مختلفة لدى أصحاب تلك الاصطلاحات منها نوع الحكم الذي يوجه إلى المنتكس.

(١) تيسير الكريم الرحمن، (ج ٢، ص ٣٥).

(٢) الخور بعد الكور، محمد الدويش، (ص ١١).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، (ج ٥، ص ١٥٢). وروح المعاني، محمد الألوسي، (ج ٧، ص ١٩٣).

(٤) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج ٢، ص ٧٨). والكشاف، الزنجشري، (ج ٢، ص ٣٦).

ومن خلال ما ذكر من التعريفات نرى أن أنسبها وأقربها لموضوع البحث: التعريف الثاني، وهو: تغير الإنسان من الإيمان إلى الكفر، أو من التقوى والصلاح إلى الفجور والسوء، لأنه يشمل نوعي الانتكاسة، أحدهما الخروج من الإيمان إلى الكفر، والآخر الخروج من الطاعة إلى الفسق، أما باقي التعريفات فهي عامة ولم تذكر هذين النوعين.

وهذا التعريف مستنبط من تفسير الترمذي لحديث عبدالله بن سرجس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا سافر يقول: (اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنظر... ومن الحور بعد الكور).

فقال - رحمه الله - تعليقاً على جملة: (الحور بعد الكور): «هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية»^(١).

ومناط حديثنا في هذه الرسالة ينصب على هذين النوعين من الانتكاسة التي نراها عند بعض المسلمين، فقد يكون أحدهم على استقامة وصلاح ثم يتبدل حاله فيتخلى عن ذلك ويسلك سبيل أهل الفسق والفساد ويرتكب الصغائر بل ويقع في الكبائر وقد تجره هذه المعاصي إلى ارتكاب المكفرات والعياذ بالله.

ولكي ندرس هذه القضية دراسة جيدة ونهتدي لسبل علاجها لابد أن نبحث عن أسبابها ونشخصها لأن معرفة سبب الداء هي أول مراحل علاجه. لذا سنستعرض - بإذن الله - في المبحث التالي لأهم الأسباب التي يمكن أن تؤدي بالمرء إلى الانتكاسة بعد الاستقامة.

(١) رواه الترمذي في سننه (رقم ٣٤٣٩، ج ٥، ص ٤٩٧).

المبحث الثاني

أسباب انتكاسة المسلم

وفيه تهديد وثلاثة عشر مطلباً:

تهديد

إن للانتكاسة أسباباً تعود إلى المرء نفسه، كما أن للهداية أسباباً تعود إليه أيضاً.

والم تأمل في القرآن الكريم يجد أنه يتحدث كثيراً في مسؤولية الناس عن أعمالهم، وأن الله تعالى لا يظلم أحداً، فمن اهتدى فبفضل الله ومن ضل فبعده: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١).

والله تعالى نهى خلقه عن الضلال وحذرهم من أسبابه، كما دعا خلقه إلى الهدى والأخذ بأسبابه، فأعمال البر تثمر الهدى والتقوى، وأعمال الفجور تؤدي إلى الضلال والفسق.

إذاً ليس لأحد أن يحتج بالقضاء والقدر على الانتكاسة ثم يبرئ نفسه، فزيغ الإنسان عن الهدى سبب لأن يزيغ الله قلبه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ^٢ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^(٣)﴾.

وانصراف المرء عن الهدى سبب لأن يصرف الله قلبه: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا^٤ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ^٥ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ^(٦)﴾.

(١) سورة فصلت، الآية [٤٦].

(٢) سورة الصف، الآية [٥].

(٣) سورة التوبة، الآية [١٢٧].

والذين يتكبرون عن آيات الله، ويغرضون عن الحق بعد أن رأوه يُصرفون عن الانتفاع بها: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(١)، والذي يكثر الذنوب والمعاصي هو الذي يطبع الله على قلبه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) والآيات التي تشير إلى هذا المعنى كثيرة.

فالْحاصل أن الإنسان هو المسؤول عن ضلاله وانتكاسته، وإلا ما كان هناك حساب في الدار الآخرة، فلن يضل الله من أقبل عليه، ولن يصرف قلب من توجه إليه، والعدل من صفاته جل وعلا^(٣) قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ^٤ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).

ولهذا كان لزاماً علينا في هذا البحث أن نبين أهم الأسباب التي يمكن أن توقع المرء في الانتكاسة بعد الاستقامة.

وسيكون الحديث عن ذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

الشبهات

الشبهات: جمع شبهة، وسميت شبهة لأنها تشبه الحق، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبتست فلم تتميز ولم تظهر^(٥).

(١) سورة الأعراف، الآية [١٤٦].

(٢) سورة المطففين، الآية [١٤].

(٣) انظر: الحور بعد الكور، (ص ٢١-٢٢).

(٤) سورة التوبة، الآية [١١٥].

(٥) المصباح المنير، الفيومي، (ج ١، ص ٣٠٤).

والشبهة من الأمور المختلف فيها والتي لا يُدرى هل هي حق أم باطل؟! ومنه قول الرسول ﷺ: (إن الحلال بين، وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)^(١).

والمراد بالشبهات هنا الأمور المشتبهة التي فيها تلبيس وتغطية وتمويه على الناس حتى يظنها الناس حقاً وهي ليست بحق^(٢).

والشبهات من الأمور الخطيرة التي تفتن المسلم عن دينه قال ابن القيم: «الفتنة نوعان: فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات... وفتنة الشبهات تنشأ من ضعف البصيرة، وقلة العلم، وفساد العقيدة، وتنشأ أيضاً من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب.. وفتنة الشبهات تدفع باليقين»^(٣).

لذلك كانت الشبهات من أبرز الوسائل التي استخدمها الأعداء ليفتنوا المسلمين عن دينهم بتوهين عرى الدين، ونزع قداسته من نفوس أهله، وتشويه صورته في أفكارهم وضمائرهم لينسلخوا منه وينفروا من التمسك بأحكامه وآدابه^(٤)، فأخذوا يشككون في مصادره، ويطعنون في الكتاب والسنة، يقول أحد المنصرين: «يجب أن نستخدم كتابهم وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً»^(٥).

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ١٥٩٩، ج ٣، ص ١٢١٩).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح الفوزان، (ص ٩).

(٣) مختصر إغاثة اللهفان، ابن غانم المقدسي، (١٢٤-١٢١).

(٤) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، (ص ٧).

(٥) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر الخطيب، (ص ١٧٤).

ويشيرون التشكيك حول السنة بحجة ما دخل فيها من أحاديث ضعيفة وموضوعة من بعض المفرضين، متجاهلين ما بذله علماء الإسلام من جهد عظيم في خدمة السنة والقيام بدراساتها وتصفياتها من الأكاذيب والأباطيل.

ومن أعظم وأخطر الشبه التي أثرت في هذا العصر شبهة أن الدين مقتصر على العقيدة والعبادة فقط دون الجانب الاجتماعي ليصلوا إلى إقناع المسلمين بأن الإسلام دين لاهوتي فحسب، لينفتح الطريق أمام الغزو المادي في مجال الفكر مما يؤدي إلى تدمير مختلف القيم الأخلاقية^(١)، ويعرضون الحكم الإسلامي على أنه حكم مستبد لا يعرف الحرية والمساواة، وأن المجتمع الإسلامي يقر الرق وتعدد الزوجات، وغير ذلك من مظاهر مهاجمة الحياة الإسلامية والتحقيق من شأنها لخلق العقد النفسية والشعور بالدونية لدى المسلمين^(٢).

فعصرنا هذا هو عصر الشبهات لا سيما في طريق المرأة المسلمة التي استهدفها أعداء الإسلام حيث أخذوا باسم العلم والحضارة والتقدم ينادون المرأة بالتمرد على الإسلام والتحلل من مبادئه وأحكامه^(٣).

والحق أن هذه الشبهات لها آثارها السيئة على شباب المسلمين لا سيما إذا لم تكن لديهم حصانة علمية، ولم يكونوا على درجة من الوعي والبصيرة بدينهم، فقد تخدعهم هذه الشبهات ويقبلونها فتضعف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسهم، ويفقدون الثقة بعقيدتهم وأخلاقهم، وينساقون وراء الحضارة الغربية،

(١) الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي، أنور الجندي، (ص ٣٠).

(٢) الإسلام والغزو الفكري، محمد خفاجي، تحقيق: عبدالعزيز شرف، (ص ٢٠٣).

(٣) شبهات في طريق المرأة المسلمة، عبدالله الجلالي، (ص ٧٠٦).

ويكون ذلك سبباً لانتكاستهم عن دينهم والتاريخ يشهد بذلك، فالشبهات لم تفسد عقائد وأخلاق الأفراد فحسب بل أفسدت دولاً وأممًا بأسرها.

ولعل أبرز نموذج تقدمه في هذا المجال التجربة المصرية، فقد كان للصليبيين عناية خاصة بها بسبب مركزها الحيوي المؤثر في قلب العالم الإسلامي، وبالذات وجود الأزهر فيها، مما جعلها مركز الإشعاع الروحي والثقافي للعالم الإسلامي كله، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً مركزة، وذلك حينما دخلت الحملة الفرنسية مصر عام (١٧٩٨م) تحمل معها أهدافاً محددة ضد الإسلام، وكذا البعثة العلمية التي جاءت تنقب عن آثار الفراعنة للبحث عن حضارات ما قبل التاريخ لذبذبة ولاء المسلمين بين إسلامهم وتلك الحضارات تمهيداً لاقتلاعهم نهائياً من الولاء للإسلام، واستمرت الحرب الفكرية على الإسلام في مصر على يد محمد علي وسياسة الابتعاث التي اتبعها بإرسال الطلاب الشبان إلى أوروبا ليتعلموا هناك ثم يتولوا أمر التعليم في بلادهم حتى استطاع أن ينقل مصر من المركز الإسلامي إلى الخروج من الحيز الإسلامي.

فقد أدت وسائل الحرب الفكرية في حياة المسلمين في مصر إلى تقليص دور الإسلام ولي الأعناق لياً إلى أوروبا بحيث تصبح تدريجياً في الوجهة التي يتجه إليها المسلمون بدلاً عن الإسلام وذلك عن طريق مهاجمة مبادئ الإسلام بحجة أنها تقاليد بالية لا علاقة لها بالإسلام وإثارة الشبهات حوله والتشكيك في مبادئه من خلال مناهج التعليم ووسائل الإعلام.

وقد كانت أخطر النتائج التي أعقبت هذه الحرب الفكرية تلك التبعية الثقافية للغرب، وشيوع روح الانهزامية لدى المسلمين، وفقد المقياس الصحيح للحكم

على الأشياء فأصبح بعض المسلمين يردد ببلاهة وضياع شخصية كلمات الرجعية والتقدمية والتطور والتجديد^(١).

وأصبحنا نسمع من الذين ينتسبون إلى الإسلام من يصف هذا الدين بالرجعية، وأن قطع يد السارق عمل بربري، ومن يقول من المبعوثين العرب إلى جامعات الغرب أنه لم يستطع الدفاع عن قضية الحدود الإسلامية أمام الشباب الغربي.

فالشبهات خطر عظيم وسبب كبير في فقد أولئك المخدوعين الثقة في الإسلام ومن ثم الوقوع في الانتكاسة والبعد عن الدين.

المطلب الثاني

البعد عن الوسطية

البعد عن الوسطية ويتمثل في جانبين، كلاهما طرفا نقيض، إما الغلو والتشدد وتكليف النفس مالا تطيق، أو التساهل والترخص في أحكام الشرع، وكلاهما شر ومزلق خطير. لذا سأحدث في هذا المطلب عن الغلو والتشدد ثم التساهل والترخص.

أولاً: الغلو والتشدد (الإفراط):

الغلو: من الغلا، وأصله الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء^(٢). وفي الاصطلاح: مجاوزة الحد في الأمر المشروع وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده وقصده الشارع العليم الخبير

(١) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، (ص ١٩٧-٢٤٥).

(٢) لسان العرب، (ج ١٥، ص ١٣١).

الحكيم، ويكون ذلك بإلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله، أو تحريم ما أباحه الله على وجه التعبد^(١).

وقد نهى الله عن الغلو في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلَّ آلِ كِتَابٍ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٢) أي لا تتجاوزوا الحد في اتباع الحق^(٣).

والغلو من أسباب انحراف النصارى وضلالهم لذلك حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٤).

فالإنسان له طاقات محدودة عليه ألا يتجاوزها ويشدد على نفسه أو يكلفها ما لا تطيق.

وقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته عليه السلام فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال ثالث: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٥).

(١) الوسطية في القرآن الكريم، على الصلابي، (ص ٥٨-٥٩).

(٢) سورة المائدة، الآية [١٧٧].

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير، (ج ٢، ص ٧٣).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٣٨٧١، ج ٩، ص ٢٧٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤٧٧٦، ج ٥، ص ١٩٤٩).

عن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين. فقال: (ما هذا الحبل؟) قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي ﷺ: (لا. حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعده) ^(١).

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: «أن فيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها» ^(٢) لأن الغلو سبب للملل والسامة ^(٣) وترك العبادة، لذا قال النبي ﷺ: (عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا) ^(٤).

والتشديد على النفس نوع من أنواع الغلو في الدين، وقد بين عليه السلام أن عاقبته الانقطاع، فقال: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وأن ما من مغال في هذا الدين إلا وهو مغلوب منقطع) ^(٥).

ومعنى يشاد الدين يغالبه ويكلف نفسه من الأمور ما لا يأمره الله تعالى بها ولا رسوله عليه الصلاة والسلام ^(٦).

يقول الحافظ ابن حجر في ذلك، والمعنى: «لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب» ^(٧).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٠٩٩، ج ١، ص ٣٨٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (ج ٣، ص ٣٧).

(٣) الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق، (ص ٣٨٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤٣، ج ١، ص ٢٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣٩، ج ١، ص ٢٣).

(٦) عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها، خالد العلك، (ص ١٦).

(٧) فتح الباري، (ج ١، ص ٩٤).

والمكلف مطالب بتكاليف وأعمال شرعية لا بد له منها، فإذا أوغل في عمل شاق ربما قطعه عن غيره^(١)، وقد وقع هذا لبعض صحابة رسول الله ﷺ^(٢).

فالنفس مجبولة على الاعتدال، وحين تنجح بصاحبها إلى الغلو ويشدد المرء على نفسه وقد يسر الله عليه، قد يطيق السير على هذا الطريق برهة من الزمن لكنه حتماً سيكل ويسأم ويستطيل الطريق فيفكر بالتراجع^(٣).

يقول فتحي يكن في ذلك: [والذين يحملون أنفسهم فوق ما تطيق، ولا يقبلون التوسط في شيء، ويصرون على الغلو في كل شيء هؤلاء معرضون بشكل أو بآخر لانتكاسات نفسية وإيمانية]^(٤).

ثانياً: التساهل والترخص (التفريط):

الرخصة في الأمر خلاف التشدد، وقد رُخص له في كذا ترخيصاً فترخص هو فيه: أي لم يستقص^(٥).

(١) الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق، (ص ٣٨٧).

(٢) كما روى أبو جحيفة عن أبيه عليه السلام قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة. فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً. فقال: كل فإني صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم. فقال: نم، فلما كان من آخر الليل. قال سلمان: قم الآن. فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: (صدق سلمان).

رواه البخاري في صحيحه، (رقم ١٨٦٧، ج ٢).

(٣) الحور بعد الكور، (ص ٣٧).

(٤) المتساقطون على طريق الدعوة، فتحي يكن، (ص ٨٥).

(٥) لسان العرب، (ج ٧، ص ٤٠).

والتساهل جانب من جوانب البعد عن الوسطية لأن الشريعة الإسلامية يجب أن تؤخذ كما هي من غير زيادة أو نقص ، فالذي يزيد فيها كالذي ينقص منها .
والذين يتساهلون في أوامر الله والالتزام بأحكام الشرع ، ويبحثون عن الرخص للخروج من الواجبات ، قد تعتاد أنفسهم ذلك وقد يجدون أنفسهم مندفعة من تساهل إلى تساهل ، ومن ذنب صغير إلى كبير ، وهكذا إلى أن يستحوذ عليهم الشيطان .

فالذي يروض نفسه على الرخص في كل حين لن يتمكن من حملها على العزائم في أي حين^(١) .

ولخطورة هذا الأمر جاء الإسلام يحذّر الأمة من التساهل بالذنوب فيقول :
(إياكم ومحقرات الذنوب ، كقوم نزلوا في بطن واد ، فجاء ذا بعود ، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه)^(٢) .

فإن من أعظم ما يسبب الضعف والهوان في القلب المعاصي والذنوب ، فإنها تقلع جذور الإيمان وتسبب الفساد والشرور ، وهي من أعظم أسباب حرمان الطاعة^(٣) ، كما قال ابن القيم : «فلو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله ، وتقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه بالذنوب طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنوب طاعات كثيرة»^(٤) .

(١) انظر: المتساقطون على طريق الدعوة ، (ص ٩١) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (رقم ٢٢٨٦٠ ، ج ٥ ، ص ٣٣١) . وصححه الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، (ج ١ ، ص ٧٤٤) .

(٣) الإمام في أسباب ضعف الالتزام ، حسين ثامر ، (ص ٦٥) .

(٤) الجواب الكافي ، ابن القيم ، (ص ٦٨) .

وقد وعى السلف أثر التساهل بالذنوب على الإيمان والأعمال، فقال الضحاك - رحمه الله - في ذلك: «ما نعلم أحداً بذنب»^(١) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢).

وقال أنس رضي الله عنه يحذر معاشر التابعين من الاستهانة بالذنوب والمعاصي فيقول لهم: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات»^(٣). أي: المهلكات.

كما أن الاستهانة بالذنوب والتساهل بها مدعاة لزيادة الآثام والسيئات، والبعد عن التوبة والاستغفار لأنه لا يستشعر حاجته لذلك.

ويقول ابن القيم: «إن عقوبات الذنوب تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة أو تعوقه أو توثقه وتقطعه عن السير فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه، فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر وينكس الطالب»^(٤).

المطلب الثالث

أمراض القلوب

قد يطرأ على القلب أمراض خطيرة تعوق وصوله إلى طريق الهداية فتنتهي به إلى نتائج وخيمة وردود فعل سيئة تخرجه من الإيمان إلى الضلال، قال الله

(١) آفات على الطريق، محمد نوح، (ج ٢، ص ٣٠٣). وتفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) سورة الشورى، الآية [٣٠].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦١٢٧، ج ٥، ص ٢٣٨١).

(٤) الجواب الكافي، (ص ٩١).

تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(١) وهو نوع فساد يحصل للقلب يفسد به تصويره وإرادته^(٢).

فالقلوب قد يصيبها المرض والاعتلال وإذا ما استشرى فيها ذلك أصيبت بالعمى - والعياذ بالله - قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣).

وأمرض القلوب كثيرة من أعظمها وأخطرها ما يأتي:

أولاً: الرياء:

وهو من راءيت الرجل مُرآة، ورياء: أي أريته أنني على خلاف ما أنا عليه^(٤).

والرياء ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه^(٥)، وهو مرض قلبي خطير يحبط عمل صاحبه، وقل من ينجم عنه.

ولخطورة هذا الداء جاءت الآيات الكثيرة تحذّر منه، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٧) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ^(٧).

(١) سورة البقرة، الآية [١٠].

(٢) أمراض القلوب، ابن تيمية، (ص ١٠).

(٣) سورة الحج، الآية [٤٦].

(٤) لسان العرب، (ج ١٤، ص ٢٩٦).

(٥) التعريفات، الجرجاني، (ص ١٥١).

(٦) سورة الكهف، الآية [١١٠].

(٧) سورة الماعون، الآيات [٤-٦].

والمعنى: يراءون بصلاتهم وأعمالهم الناس فلم يخلصوا لله تعالى في ذلك^(١). وأخبر النبي ﷺ أن المرائي عمله متروك غير مقبول، وذلك في قوله عن ربه جلا وعلا: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)^(٢) وبين النبي عليه الصلاة والسلام خطورة الرياء وعقوبته في الآخرة حيث قال ﷺ: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال: جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن فيك. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: هو عالم وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)^(٣).

والرياء له آثار سيئة على العبد، منها التكاسل والتقاعد عن العبادة^(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).

(١) أيسر التفاسير، (ج ٥، ص ٦١٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٩٨٥، ج ٤، ص ٢٢٨٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ١٩٠٥، ج ٣، ص ١٥١٣).

(٤) انظر: الرياء وأثره السيئ في الأمة، سليم الهلالي، (ص ٣٩).

(٥) سورة النساء، الآية [١٤٢].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى لأنهم لا نية لهم»^(١).

وهذا يدل على أثر الرياء السيئ على العمل الصالح فإن المرائي الذي يتجرد عمله من النية الحسنة والإخلاص الصادق مع الله تعالى، ويعمل رياءً وسمعة، غالباً ما يعتريه الكسل والخمول والتباطؤ عن القيام بما أوجب الله عليه، وهكذا حتى يترك العمل تماماً، لأن أساس العمل وهدفه غير سليم فلا يثبت عليه، فالبعض من الناس يقبل على العمل وينشط أمام الناس لما يسمع من ثنائهم ومدحهم وإذا توارى عنهم تكاسل وتقاعس وترك العمل.

وقد يكون عمل المرء في بداية الأمر خالصاً لله تعالى، لكن قد يطرأ عليه الرياء أثناء العمل ويعجبه المدح والثناء ويسترسل في العمل من أجل ذلك حتى يفسد عمله، وإذا استمر على هذا الأمر وتهاون في تجريد النية لله تعالى خسر وهلك والعياذ بالله.

وقد كان النبي عليه السلام يخشى على أمته من هذا الداء فيقول: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر، قال: الرياء)^(٢). فإذا كان عليه الصلاة والسلام يخافه على صحابته مع قوة إيمانهم وعلمهم فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أكبره وأصغره^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم، (ج ١، ص ٤٨٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (رقم ٢٣٦٨٦، ج ٥، ص ٤٢٩).

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (ج ٢، ص ٦٣٤).

(٣) حاشية كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بقلم عبد الرحمن القاسم، (ص ٢٦٨).

فعلى المسلم الحذر من هذا الداء العضال المفسد للدين ، فالكثير من الناس يستهين بتحقيق الإخلاص ويتساهل في ذلك حتى يقع في الرياء فيقل عمله ويخبو حماسه وتضعف عزيمته فينقطع عن العمل والعياذ بالله.

ثانياً: العُجب والغرور:

العُجب: الزهو، ورجل مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بما يكون منه حسناً أو قبيحاً^(١).

وهو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها^(٢).

والعجب له أثر خطير على الإيمان، ولقد ذمه الله تعالى في كتابه الكريم فقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِيرِينَ﴾^(٣).

وهو عتاب للمؤمنين حينما أعجبوا بعددهم وكثرتهم فقالوا: لن تغلب اليوم من قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة فانهمزموا في أول المعركة^(٤).

والعجب من أسباب هلاك المرء، قال النبي عليه السلام: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)^(٥) وفي رواية: (وهي أشدهن)^(٦).

(١) لسان العرب، (ج ١، ص ٥٨٢)، مادة عجب.

(٢) التعريفات، (ص ١٩٠).

(٣) سورة: التوبة، الآية [٢٥].

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج ٨، ص ١٠٠).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (رقم ٥٤٥٢، ج ٥، ص ٣٢٨). وحسنه الألباني في

سلسلة الأحاديث الصحيحة (ج ٤، ص ٤١٢).

(٦) رواها ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمر رضي الله عنه (رقم ٣٧٥٧٢، ج ٧، ص ٣٠٥).

وهو من أخطر الذنوب كمال قال ﷺ: (لو لم تذنّبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب العجيب)^(١).

والعجب مرض خطير لا يستهان به، فهو من أسباب طرد إبليس من الجنة حينما أعجب بنفسه وقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^(٢).

فانتكاسة إبليس - العنه الله - كان من أسبابها العجب بالنفس حتى وقع في الكبر وأعرض عن أمر الله.

والمرء حينما يعجب بنفسه يشعر بالكمال فلا يرى أن له حاجة في الازدياد من طرق الخير والعمل الصالح، والإيمان يزيد وينقص فإن لم يزد فهو في نقص، وإذا نقص إيمان المرء بقلّة الأعمال الصالحة والوقوع في المحرمات أو شك على الضعف والهلاك.

وإذا استشعر الإنسان الكمال كان سبباً لأن يعجب العبد بعمله الصالح ويدل به على الله وهذا عنوان انسلاخه من عبودية مولاه سبحانه التي مبناها على الخضوع والذل له وحده، والشعور بأن ليس له حول ولا قوة وأن الفضل بيد الله^(٣). ولا شك أن من أعجب بنفسه سيكون ذلك سبباً في كبرائه.

ثالثاً: الكبر:

الكبر نقيض الصغر، كَبُرَ كِبْرًا وكُبِرَ فهو كبير، واستكبر الشيء رأه كبيراً. وهو الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً^(٤).

(١) رواه القضاعي عن أنس رضي الله عنه (رقم ١٤٤٧، ج ٢، ص ٣٢٠) وقد حسنه محقق الكتاب: حمدي السلفي.

(٢) سورة الأعراف، الآية [١٢].

(٣) الحور بعد الكور، (ص ٢٨).

(٤) لسان العرب، (ج ٥، ص ١٢٦)، مادة: كبر.

والتكبر أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم الكبر التكبر على الله سبحانه بالامتناع من قبول الحق والإذعان له^(١)، وقيل هو إظهار العامل إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويرتفع عن قبول الحق منهم^(٢).

والكبر داء عضال، فالنفس مع الكبر لن تقبل النصح والإرشاد من الغير، ولن تنقاد للحق بسهولة، لأن الكبر كما فسرہ النبي ﷺ: بطل الحق، وغمط الناس^(٣)، فقد يكون المتكبر على علم بهذا الحق لكن نفسه لا تطاوعه للانقياد له، كما قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٤).

وإذا أعرض المتكبر عن قبول الحق والنصح والإرشاد والانقياد له والعمل به وقع في الزيف والضلال والانحراف.

ولما كان الكبر بهذه الخطورة على دين المرء حذر الإسلام منه وجعل عقوبته عظيمة، قال النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)^(٥). فصار الكبر حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين صاحبه وبين أخلاق المؤمنين، فلا يقدر على التواضع ولا على ترك الحسد والحقد ولا على كظم الغيظ وقبول

(١) التوقيفات على مهمات التعاريف، المناوي، (ص ٢٠٠).

(٢) آفات على الطريق، (ج ١، ص ١٥١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٩١، ج ١، ص ٩٣).

(٤) سورة النمل، الآية [١٤].

(٥) سبق تخريجه.

النصح ولن يسلم من احتقار الناس واغتيالهم، فما من خلق ذميم إلا وهو عائد إلى الكبر^(١).

والله عز وجل ذم الكبر والتكبرين وأخبر عن هلاكهم في كتابه العزيز ليكونوا عبرة لغيرهم فقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَبِمَا تَقَوَّى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢).

فالكبر إذا دخل القلب واستفحل فيه ولم يستطع المرء مقاومته كان ذلك سبباً لهلاكه وانتكاسته.

ومن أبرز الشواهد التي تدل على ذلك، قصة جبلة بن الأيهم، فهو أحد ملوك غسان، أسلم مع المسلمين، ولكنه كان يحمل في قلبه كبراً عظيماً، فحينما داس على رداءه رجل من مزينة لطمه على خده، فوصل الأمر إلى عمر رضي الله عنه، فقضى بالقود أي بأن يصفعه الأعرابي، فعظم ذلك على نفس جبلة بن الأيهم كيف يصفعه الأعرابي؟ فقال: بش هذا الدين. فارتد عن دينه ولحق بالنصارى^(٣).

وهذه القصة تبين لنا خطورة الكبر على إيمان المرء، وأن المتكبر يمكن أن يرد حكم الله ورسوله بسهولة من أجل الكبر فيهلك ويتنكس.

فالعجب والكبر من أخطر الأمراض على الإيمان والأعمال الصالحة، فإذا أعجب المرء بعمله اكتفى به، ودخله الكبر والاستعلاء عن قبول الحق والانقياد له، وكان ذلك سبباً في انتكاسته عن دينه.

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، (ص ٣٤٢).

(٢) سورة غافر، الآية [٧٦].

(٣) من أخبار المتكسين، صالح العصيمي، (ص ٢٤٥).

رابعاً: الحسد:

والحسد: من حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ وَتَحْسُدُهُ حَسْداً وَحَسْداً، إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبها^(١).

وفي الاصطلاح: تمنى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: «الحسد تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه»^(٣).

والحسد مرض نفسي خطير يضر ويؤلم ويؤذي الحاسد أكثر مما يضر ويؤلم المحسود، لذلك أمرنا الله تعالى أن نتعوذ منه فقال جل وعلا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٤) أي: وتعوذ برب الفلق من شر حاسد إذا حسد أي أظهر حسده فابتغاك بضر أو أرادك بشر أو طلبك بسوء حسده^(٥).

وقد ذكر الحسد في آيات كثيرة على سبيل الذم منها قوله جل وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَمَزَّقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾^(٧).

(١) لسان العرب، (ج ٣، ص ١٤٨).

(٢) التعريفات، (ص ١١٧).

(٣) فتح الباري، (ج ١، ص ١١٧).

(٤) سورة الفلق، الآيات [٥٠-١].

(٥) أيسر التفاسير، (ج ٥، ص ٦٣٠).

(٦) سورة النساء، الآية [٥٤].

(٧) سورة القلم، الآية [٥١].

وحذر النبي ﷺ من الحسد فقال: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا
وكونوا عباد الله إخواناً)^(١).

فهذه الأدلة تبين لنا تحريم الحسد لما له من آثار سيئة على الإيمان والأعمال
الصالحة.

والحسد يدل على عدم رضا الحاسد بما قسم الله لخلقه ولم يسلم لأمره
ويقنع بما آتاه.

فمفاسد الحسد كثيرة، منها: إفساد الطاعات والإفضاء إلى المعاصي، إذ
لا يخلو الحاسد من الغيبة أو الكذب والسب والشتم والإفضاء إلى الإضرار
بالمحسود^(٢)، بل إن أكثر المعاصي كان سببها الحسد، فما حمل إخوة يوسف
على ما فعلوه إلا الحسد، وما كان قتل قابيل أخاه هابيل إلا بسبب الحسد،
ولم يمنع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد فكان ذلك سبباً لانتكاسته وردته
وإبعاده عن رحمة الله.

وهذا العصر مليء بالأمثلة التي تدل على أن أمراض القلوب من الرياء
والعجب والكبر والحسد.. لها أضرار كثيرة وآثار سيئة على إيمان المرء وهي من
أسباب الانتكاسة، ولعل من أبرزها وأشهرها ما يروى من قصة عبدالله القصيمي
الذي نهل من العلم كثيراً وبرع فيه وخاصة العقيدة، وأثنى عليه معاصروه، وقد
جرد قلمه للرد على مخالف في أهل السنة والجماعة وعلى القادحين في أهل العلم،
وله كتاب عن الوثنية يقال: إنه من أروع ما كتب في هذا المجال.

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٥٥٩، ج ٤، ص ١٩٨٣).

(٢) ترك الغل والحسد، أسعد الصاغري، (ص ١٤).

ولكن هذا الرجل كانت به آفات قلبية لعل من أبرزها العجب والغرور واحتقار الآخرين وكانت تنخر به ، فلم يوقف جماحها ، أو يبادر بمعالجتها ، كما لم يحرص على استئصالها حتى قضت عليه قضاءً مبرماً وأردته خارج دائرة الإيمان مرتداً عن الإسلام - كما قيل - وقد شهدت لهذه الآفات أشعاره التي كان يبدأ بها في كتبه ومن ذلك قوله :

فما أنا إلا الشمس في غير برجها وما أنا إلا الدر في لجج البحر
بلغت بقولي ما يرام من العلا فما ضربي نقد الصوارم والسمر
أسفت على علمي المضاع ومنطقي وقد أدركا لو أدركا غاية الفخر
ومن أدلة انتكاسته صحبته لأهل الكفر والغاية والكأس ، بل لقد ألف كتاباً يستهزئ فيه بالتوحيد وأهله^(١).

فالخاص أن أمراض القلوب لها آثار سلبية على الإيمان ، وهي من أسباب الانتكاسة عن الدين.

المطلب الرابع

قلة العلم الشرعي

لاشك أن هذا السبب من أعظم الأسباب خطراً ومن أشدها أثراً ، بل ربما كان سبباً لجميع الآفات التي تؤدي إلى الانتكاسة ، فالجهل بأوامر الله تعالى وأحكامه يوقع المرء في الزيف والضلال ؛ لأن الجاهل لا يعرف أوامر الله وأحكامه فيتهاون بها ويقع في معاصية فينحرف عن الطريق المستقيم ، بل إن أكثر المعاصي إنما تنشأ عن الجهل ، فما حمل إخوة يوسف على ما فعلوه بيوسف إلا الجهل الذي أدى بهم

(١) انظر : من أخبار المنتكسين ، (ص ٢٣٠-٢٣١).

إلى الحسد فالظلم، قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾^(١) وقال تعالى عن الجاهل على سبيل الذم: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْنِمْ الْمَلَكِ كَكَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾^(٢).

كما جاءت الآيات والأحاديث تبين فضل أهل العلم وأهله والحث على طلبه واكتسابه، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣).

وقال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٤).

فالمسلم بحاجة إلى العلم الشرعي الذي يصحح له عبادته وعقيدته وتوجهه إلى الله تعالى ويعرف به الحلال من الحرام، ويحذره من آفات النفوس التي ربما أوقعته في الزلل، لذا كانت انتكاسة العابد الجاهل أيسر بكثير من العالم، فالعالم أشد على الشيطان من مائة عابد، فلا يكفي إيمان بلا علم، بل لابد منهما جميعاً، لأن العلم وسيلة من وسائل الثبات على الدين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقبض الأمانة والإيمان ليس هو قبض العلم، فإن الإنسان قد يؤتى إيماناً مع نقص علمه فمثل هذا الإيمان قد يرفع من صدره كإيمان بني إسرائيل لما رأوا العجل، وأما من أوتي العلم مع الإيمان فهذا لا يرفع من صدره، ومثل هذا لا يرتد عن الإسلام قط بخلاف مجرد القرآن أو مجرد الإيمان

(١) سورة يوسف، الآية [٨٩].

(٢) سورة الأنعام، الآية [١١١].

(٣) سورة المجادلة، الآية [١١].

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٧١، ج ١، ص ٣٩).

فإن هذا قد يرتفع، فهذا هو الواقع لكن أكثر ما نجد الردة في من عنده قرآن بلا علم وإيمان، أو من عنده إيمان بلا علم وقرآن، فأما من أوتي القرآن والإيمان، فحصل فيه العلم، فهذا لا يرفع من صدره. والله أعلم»^(١).

فإيمان الجاهل غير راسخ على أسس متينة ولن يثبت إيمانه إلا بالعلم الشرعي الصحيح، فكثيراً ما نرى انتشار البدع والشركيات والأخطاء في العقائد والجهل بتطبيق الأحكام الشرعية في المجتمعات التي ينتشر فيها الجهل وكثيراً ما تلقي الشبهات والأفكار الهدامة رواجاً في المجتمعات الجاهلة لأن الجاهل قد يغتر بالشبهات ومغريات التضليل وينخدع بها فيضل ويهلك.

والحاصل أن ضعف العلم الشرعي والجهل بأحكام الله سبب رئيس في اقتراف المحرمات وترك الواجبات والوقوع في الشبهات التي تؤدي إلى انتكاسة المسلم وردته عن دينه.

المطلب الخامس

الفتور

الفتور: من فتر، والفترة الانكسار والضعف، وفتر الشيء والحرّ وفلان يفتر ويفتر فتوراً وفتاراً: سكن بعد حدة ولان بعد شدة^(٢).

والفتور في الاصطلاح: هو الكسل والتراخي والتباطؤ بعد الجد والنشاط والحيوية^(٣)، وهو المعنى في حديث النبي ﷺ: (إن لكل عمل شرة ولكل شرة

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، (ج ١٨، ص ٣٠٥).

(٢) لسان العرب، (ج ٥، ص ٤٣).

(٣) آفات على الطريق، (ج ١، ص ٩).

فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك^(١).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فإن كان صاحبها سدد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه)^(٢).
والكسل يصيب الإنسان ولا يخلو حال امرئ من عارض الكسل ولكن لا يلازم المؤمن دائماً، لأن ذلك يؤدي إلى ضعف الإيمان والخور عن الطاعات، وقد يتطور إلى أن يصل إلى مرحلة الجمود^(٣).

ويعتبر الفتور مرحلة وسيطة بين الالتزام والانحراف^(٤)، وهو ظاهرة خطيرة حيث يعد المرحلة الأولى للانتكاسة إن لم يتدارك المسلم نفسه ويحملها على الجد والنشاط والرجوع إلى الاستقامة والعبادة.

والفتور داء يسري في الناس على مختلف طبقاتهم وأعمارهم وأحوالهم ولا يكاد ينجو منه أحد - إلا من سلّم الله - فهو يصيب العلماء والعباد والشيوخ والشباب، فتجد البعض يجتهد في العبادة والطاعة اجتهداً كبيراً ثم يفتر عنها.

كما أن هذا الداء يختلف قوة وضعفاً^(٥) بين الناس فمنهم من يفتر عن النوافل مثل قيام الليل وصلاة الضحى وتلاوة القرآن والأوراد... ومنهم من يفتر عن الفرائض فينام عن الصلاة المكتوبة مثلاً بسبب السهر الذي لا مبرر له ويتخلف

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (رقم ٢١٠٥، ج ٣، ص ٢٩٣).

(٢) رواه رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٣٤٩، ج ٢، ص ٦٢).

(٣) انظر: الإمام في أسباب ضعف الالتزام، (ص ٢٣-٢٤).

(٤) المقصود الالتزام بمنهج الإسلام والانحراف عنه.

(٥) الفتور، ناصر العمر، (ص ١٧-٢٢).

عن الذهاب إلى المسجد، وقد يقع في بعض المحرمات، وشيئاً فشيئاً حتى يعتاد على هذه المحرمات ويهون عنده إهمال الفرائض فينتكس ويهلك.

ولما ذكر عند النبي عليه الصلاة والسلام رجال يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً قال: (تلك ضراوة الإسلام وشرته ولكل ضراوة شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى اقتصاد فنعم ما هو، ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون)^(١).

ويكفي أن الفتور يؤدي إلى قلة رصيد الإنسان من الأعمال الصالحة، وربما قبض المسلم وهو فاتر كسلان فيلقى الله مقصراً مفرطاً، وكان من تأثر الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما مرض مرض الموت إذ جاء أنه لما مرض بكى، فقال: «إنما أبكي لأنه أصابني على حال فترة، ولم يصبني على حال اجتهاد».

ويقصد أن المرض أصابه وهو في حال سكون وتقليل من العبادة والمجاهدة^(٢). وكان النبي ﷺ يتعوذ من هذا الداء ويأمر أصحابه بالتعوذ منه صباحاً ومساءً ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل)^(٣).

فالخاص أن الفتور داء خطير وسبب كبير للوقوع في الانتكاسة لما يؤدي إليه من ضعف الإيمان وقلة الطاعات والوقوع في المحرمات.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (رقم ٦٥٣٩، ج ٢، ص ١٦٥) وقال الألباني: إسناده حسن، (ج ٦، ص ٨٣٧).

(٢) آفات على الطريق، (ج ١، ص ٢٢-٢٣).

(٣) فتح الباري، (رقم ٦٣٦٩، ج ١١، ص ١٧٨).

المطلب السادس

العزلة عن الجماعة

الإسلام دين جماعي لا مكان فيه للعزلة، ومظاهر الجماعة فيه لا تعد ولا تحصى، فالصلاة جماعية والزكاة تعبير عن تضامن اجتماعي بين الأغنياء والفقراء والصيام والحج كذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون)^(١).

ويقول النبي ﷺ: (اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم)^(٢). كما جاءت الآيات والأحاديث أيضاً بدم الفرقة والعزلة والنهي عنهما قال الله تعالى: ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣) وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٤).

ونهى النبي ﷺ عن الوحدة وأن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده^(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة)^(٦) والمراد

(١) رواه الترمذي في سننه (رقم ٦٩٧، ج ٣، ص ٨٠). وقال: حسن غريب.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٥٢٢٤، ج ١٢، ص ٢٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية [١٠٣].

(٤) سورة الأنعام، الآية [١٥٩].

(٥) رواه أحمد في مسنده (رقم ٥٦٥٠، ج ٢، ص ٩١). وصححه الألباني في سلسلة

الأحاديث الصحيحة، (ج ١، ص ١٢٩).

(٦) رواه الترمذي في سننه (رقم ٢١٦٥، ج ٤، ص ٤٦٥). وقال: حسن صحيح غريب.

بالجماعة جماعة المسلمين من أهل السنة والجماعة^(١) وما حذر الإسلام من الفرقة والعزلة إلا لأنها شر عظيم وخطر جسيم على الفرد والأمة، فالمسلم إذا اعتزل المجتمع فاتته منافع عظيمة ومصالح عديدة فهو بحاجة إلى العلم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والإيناس، ومثل الثواب في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب^(٢). وحين ينأى الإنسان بنفسه عن الجماعة ويرضى بالعزلة فإنه يحرم نفسه من هذه الخيرات والتجارب ويبقى ضعيف الأفق قاصر النظر لا يعرف كيف يواجه أبسط المشكلات.

والإنسان بالجماعة قوي النفس نشيط العبادة ويكون معهم في الصلاة والصيام ومواجهة الشهوات والمعاصي أقدر، وتكون ثقته بنفسه أكبر في مواجهة العقبات، فالجماعة قوة والعزلة ضعف، والإنسان في طريقه لوحده وانعزاله عن المجتمع ربما يتعرض لبعض العقبات وتهفو نفسه لبعض المعاصي ويضعف فيتسلط عليه الشيطان وتخور قواه ويدركه الملل والسأم فينقطع عن الطريق.

فالمسلم بحاجة إلى من يذكره وينصحه ويقومه ويعينه ويثبتته حتى يواصل طريقه إلى الجنة، كما أن لزوم الجماعة يقتضي لزوم إمامهم، لذا كان النبي ﷺ حينما يأمر بلزوم الجماعة يأمر بملازمة إمامهم وذلك في وصيته لصحابته بقوله: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد)^(٣).

(١) الفتور، (ص ٦٣-٦٥).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، (ص ١٧٠).

(٣) رواه الترمذي في سننه (رقم ٢٦٧٦، ج ٥، ص ٤٤). وقال: حديث حسن صحيح.

وحتى ولو رأى المسلم من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ولا يفارق جماعته
لحديث: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة
شراً فمات إلا مات ميتة جاهلية)^(١).

فمفارقة جماعة المسلمين والخروج على إمامهم أمر خطير وفتنة عظيمة^(٢).
وقد أوصى النبي ﷺ صحابته عند الفتن وكثرة التفرق بلزوم جماعة المسلمين
وإمامهم فقال أحدهم: يا رسول الله فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال
عليه الصلاة والسلام: (فاعتزل تلك الفرق ولو أن تعض على أصل شجرة
حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)^(٣).

فالعزلة ليست محرمة مطلقاً أو ضارة دائماً بل ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لها فضلاً فقال عليه السلام: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً
يتبع بها شغف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن)^(٤) لكن هذا الأمر
ليس على إطلاقه إنما له حالات خاصة ذكرها النبي ﷺ إذا رأيت شحاً
مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه هنا يجوز للمسلم العزلة
بنية الحفاظ على دينه^(٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٦٤٦، ج ٦، ص ٢٥٨٨).

(٢) لمحة عن الفرق الضالة، صالح بن فوزان الفوزان، (ص ١٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ١٨٧٤، ج ٣، ص ١٤٧٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٥، ج ١، ص ١٥).

(٥) كما في حديث أبي ثعلبة الخشني ؓ: (إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة
وإعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمراً لا يدان لك فعليك بنفسك). (رقم ١٩٩٨٠،
ج ١٠، ص ٩١).

المطلب السابع

الصحبة السيئة

الإنسان مدني بطبعه لا يعيش وحده بل لابد له من جليس يؤنسه ورفيق يسليه.

ولاشك أن هذا الجليس له أثره البالغ على جليسه إما بصلاح أو فساد كما قال النبي ﷺ: (الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة)^(١).

ويقول أيضاً ﷺ: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)^(٢) لأن الجليس الصالح يعين جليسه على الخير ويذكره إذا غفل وينصحه إذا أخطأ، وأما جليس السوء فإنه يشنيه ويبعده عن الخير ويحثه ويشجعه على فعل الشر فالمرء يتأثر بخليله سلباً وإيجاباً.

ويقول ابن قدامة المقدسي في ذلك: «فمجالسة الفساق تبعث على مساوقة طباعهم وأخلاقهم الرديئة، وهو داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين، وذلك أنه قل أن يجالس الإنسان فاسقاً مدة مع كونه منكراً عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لوجد فرقاً في النفور عن الفساد، لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هيناً على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه»^(٣).

(١) رواه البخاري صحيحه (رقم ٢٥١٤، ج ٥، ص ٢١٠٤).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٧٣٢٠، ج ٤، ص ١٨٩) وقال: حديث صحيح.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، (ص ١٦٧).

لذا نهى القرآن الكريم عن مجالسة من يقارف المنكر حتى يتركه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) ، لسئلا يتأثر المسلم بهذا المنكر ويعتاد عليه .

فكم من شاب التزم واستقام على طاعة الله وبتأثير مصاحبة جلساء السوء ومجاملتهم ومداهنتهم تنازل كثيراً عن أمور دينه وبكثرة ما يرى من معاصيهم هانت عنده واعتادها بل ربما فعلها أحياناً مجاملة لهم أو تهاوناً بها ، فتحول من صالح إلى فاسق ظالم لنفسه .

وكان من أسباب نزول قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ ^(٢) يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخُذْ فَلَنَا خَلِيلاً ﴿ ٢٨ ﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ ^(٣) ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن أبا معيط يجلس مع النبي ﷺ لا يؤذيه وكان رجلاً حليماً ، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه ، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام ، فقالت قريش : صبأ أبو معيط . فلما قدم خليله من الشام ليلاً . قال لامرأته : ما فعل خليلي أبو معيط . فقالت : صبأ فبات بليلة سوء ! فلما أصبح أثناه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية . فقال : مالك لا ترد علي تحيتي ؟ فقال : كيف أرد عليك تحيتك ، وقد صبأت . قال : أوقد فعلتها قريش ؟ قال : نعم ؟ قال : فما يبرئ صدورهم إذ أنا فعلت ؟ قال : تأتيه في مجلسه ، وتبزق في وجهه ، وتشتمه

(١) سورة الأنعام ، الآية [٦٨] .

(٢) سورة الفرقان ، الآيات [٢٧-٢٨] .

بأخبث ما تعلمه من الشتم ففعل. فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال: (إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً) فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا. قال: قد وعدني هذا الرجل، إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً. فقالوا: لك جمل أحمر لا يدركه فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين ودخل به جملة في جدد^(١) من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط. فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: (نعم بما بزقت في وجهي) فأنزل الله الآية^(٢).

فهذه الحادثة تبين لنا خطر القرين السيئ على قرينه، وكذا قصة النبي ﷺ مع عمه أبي طالب حينما حضرته الوفاة فدخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: (أي عم. قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبدالمطلب^(٣).

فالصحة منعطف خطير ينبغي أن يتنبه له الإنسان فالقرين السيئ لا يقتصر أثره على إفساد أخلاق وسلوك قرينه فقط، بل قد يخرج من عقيدته كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٠﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لَمَنِ الْمَصْدَقَيْنِ ﴿٥١﴾ أَوْ ذَا

(١) جدد من الأرض أي: الأرض المستوية. انظر: لسان العرب، (ج ٣، ص ١٠٩).

(٢) فتح القدير، محمد الشوكاني، (ج ٤، ص ٧٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣٦٧١، ج ٣، ص ١٤٠٩).

مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿١﴾ وهذا من أثر جليس السوء، ومحاولته إغواء المؤمن وإقناعه بمعتقده وهو التكذيب بيوم البعث وإنكاره قدرة الله على إحياء الموتى^(٢).

فالصحة السيئة لها آثار سلبية على عقيدة المسلم وأخلاقه وهي سبب كبير للوقوع في الانتكاسة.

المطلب الثامن

وسائل الإعلام الفاسدة

أصبح الإعلام جزءاً لا يتجزأ من وجودنا وحضارتنا المعاصرة، وهو ليس بالجديد علينا وإن كانت تسميته مستحدثة في لغتنا العربية.

وقد تجسد هذا الإعلام في وسائل وأساليب وأدوات عديدة متجددة ومتطورة، من هذه الوسائل يمكن أن نسمي الصحافة والإذاعة والتلفاز والإنترنت ودور النشر والمحاضرات والندوات، وفي خدمة ذلك وضعت كل أجهزة الاتصال الحديثة والمؤسسات الإعلامية.

والحقيقة التي لا جدال فيها أن أبرز صفة يمكن أن يوصف بها هذا العصر أنه عصر الإعلام وهو من أعظم الوسائل تأثيراً على الناس بالخير أو بالشر، إلا أن هذا الإعلام المعاصر يبيث من الباطل أكثر مما يبيث من الحق، ولا نبالغ إذا قلنا إن ما يبينه واعظ في مسجد أو معلم في مدرسة أو داعية في منتدى يمكن أن يهدمه الإعلام المعاصر الفاسد في ساعات^(٣).

(١) سورة الصافات، الآيات [٥١-٥٢-٥٣].

(٢) تربية المراهق في رحاب الإسلام، محمد الناصر وخولة درويش، (ص ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٣) أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، منى يكن، (ص ١٣-١٤-٣٠).

وذلك لأن وسائل الإعلام في هذا العصر معظمها بيد أعداء الإسلام، لذا نجدها موجهة ضد الإسلام والمسلمين، ولقد أسهمت هذه الوسائل إسهاماً كبيراً في انتكاسات كثيرة.

وتكمن خطورة هذه الوسائل في تقديم البرامج التي تحمل في طياتها الإغراءات الجنسية والأفلام الهابطة التي تحرك مكامن الشهوة عند الإنسان^(١) وتسعى إلى تحطيم المبادئ الإسلامية التي تمنع الاختلاط وتحرم الفاحشة والانحلال الخلقي، ويتم هذا في وجود الفن الذي يكسب كل شيء جاذبية وجمالاً، ومهما يكن فيه من الشر فهو يحمل القدرة على التأثير، ويعرض ما يعرض في جو من المشاعر تجعل القارئ أو السامع يشارك بخياله مع المشهد المعروض.

وحينما يرى الشاب فيلماً يحوي قصة غرامية يلتقي فيها الفتى والفتاة، ويجري بينهما الكلام والمواقف ما يجري مصوراً بجاذبية الفن وإغرائه، فإنه قد يتمنى في دخيلة نفسه أن لو كان هو صاحب الموقف، في حين يعلم الشاب جيداً أن مجتمعه المحافظ لا يسمح له بذلك، لأنه متمسك بالإسلام وأدابه عندها سينقم ذلك الشاب على هذا المجتمع^(٢)، وربما كره هذا الدين الذي حرم عليه هذا الأمر، وهذا بحد ذاته طامة كبرى على المسلم وإن لم يقترف هذه المعصية. وهناك إذاعات موجهة تدعوا إلى النصرانية وتشيد بأهدافها وتضلل بأفكارها أبناء المسلمين السذج (الذين لم يفهموا الإسلام ولم تكن لديهم تربية واعية) لتشكيك المسلمين في عقيدتهم واث الفتن بينهم لإخراجهم من دينهم^(٣).

(١) من أخبار المنتكسين، (ص ٣٦-٣٧).

(٢) انظر: واقعنا المعاصر، (ص ٢٣٦-٢٣٧).

(٣) رسائل في الغزو الفكري ووسائله وحكم السفر إلى بلاد الكفرة وفتن المجلات، للشيخين عبدالعزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين، (ص ١٦-٢٢).

بل إن بعض المجلات والصحف التي تحمل في طياتها الأفكار الهدامة والدعايات المضللة والصورة العارية الفاتنة تسهم إسهاماً كبيراً في إفساد العقائد والأخلاق..

فوسائل الإعلام لم تفسد على المسلمين أخلاقهم فحسب، بل أفسدت عليهم عقائدهم، مما دعا العلماء إلى تحريم استخدام هذه الوسائل^(١) لما تدعو إليه من الرذيلة والفسق والانحراف.

ومن أخطر هذه الوسائل شبكة الإنترنت التي فاقت جميع وسائل الإعلام ضرراً بما يعرض فيها من التشكيك في العقائد وإثارة الشبهات ونشر البدع والفرق الضالة وما تشتمل عليه من الأغاني ونشر الدعارة بالتواصل بين الفاسقين والفاسقات، والدعاية للخمر وترويج المسكرات، بل إن فيها مواقع تدعو للانتحار وتدل على وسائله، يقول الشيخ محمد المنجد بأنه قد اشتكى عدد من الزوجات بأن أزواجهن الملتزمين قد انتكسوا بعد اشتراكهم في هذه الشبكة^(٢).

المطلب التاسع

الإقامة في المجتمعات الفاسدة

المجتمع هو المحيط الذي يعيش الأفراد في وسطه سواء كان ذلك الوسط الأسرة أو المدرسة أو الجيران، وللمجتمع أثر كبير على عقائد الأفراد وأخلاقهم، وقد شهدت النصوص الشرعية بذلك، منها ما رواه أبو سعيد

(١) انظر: التلغاز وحكمه في الشريعة الإسلامية، عبدالله بن حميد، (ص ١٦-١٧).

(٢) بحث غير مطبوع بعنوان، الإنترنت مصائب ومكاسب، للشيخ محمد المنجد، (ص ٣٧-٣٨).

فهذه القصة تبين أثر المجتمعات على الأفراد سلباً وإيجاباً ، فإذا كان الفرد مثلاً يعيش في أسرة لا تعتنى بأمور الدين ، ولا تهتم بتقويم الفكر والخلق ، وتعج فيها المنكرات والاختلاط والعري ، وكان الفرد يخالط في مدرسته قرناء منحرفين ، بل قد يواجه من هذه المجتمعات نوعاً من الضغط عليه لترك مبادئه وأخلاقه الإسلامية ، فإن كان ضعيف الإرادة لا يملك عزيمة قوية على مواجهة الفتن والمنكرات ، فإنه سرعان ما يتأثر بهذا المجتمع الذي يعيش فيه ، فالبينة لها تأثير كبير على دين المسلم وأخلاقه ، لذا نجد أن الإسلام يأمر المسلم بالهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ لَمْ تَلْبِسْهُمْ ظَالِمًا أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا وَلَئِنْكَ مَا وُفِّيْتُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ (٧) .

(٢) سورة النساء، الآية [٩٧].

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)^(١) والسرف في هذا المنع ما قد يصيب المؤمن من تأثر بهذه البيئات الفاسدة التي ضاعت فيها المبادئ والأخلاق والأديان، فأصبحت مجتمعات بهيمية أسمى أهدافهم تحقيق رغباتهم المادية ونيل شهواتهم قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٢).

ولهذا حرم العلماء السفر إلى بلاد الكفر إلا لضرورة كعلاج أو دراسة أو تجارة، وهذه الضرورة أيضاً لها ضوابط شرعية^(٣)، بل إن التحريم لم يقتصر على البلاد الكافرة فحسب، فشمّل بعض البلاد التي تنتسب إلى الإسلام، وقد صدرت فتوى أهل العلم بذلك^(٤)؛ لأن واقع بعض هذه البلاد في هذا العصر لا يقل فساداً ولا خطراً عن تلك البلاد الكافرة، ففيها المجون والفسق والاختلاط وبيوت الدعارة، والكثير من المسلمين للأسف يسافرون إلى تلك البلاد للنزهة والسياحة بحجة أنها بلاد إسلامية، وأن السفر إليها جائز، ولم يدركوا أن الإسلام لما حرم السفر إلى بلاد الكفر كان بسبب انتشار تلك المعاصي والمنكرات وهي موجودة بعينها في هذه البلاد، بل ربما يكون السفر إلى تلك البلاد أعظم أثراً وخطراً لأن المسلم يذهب إليها بلا حرج ولا غضاضة، فإذا رأى الشاب وشاهد تلك المنكرات والفتن مراراً واختلط بأهلها اعتاد عليها وهانت عليه وقد لا

(١) رواه أبو داود (رقم ٢٦٤٥، ج ٣، ص ٤٥)، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، (ج ٢، ص ٥٠١).

(٢) سورة الأعراف، الآية [١٧٩].

(٣) انظر: المجموع الثمين، محمد العثيمين، (ج ١، ص ٤٩ - ٥٠).

(٤) وهي فتوى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، بتاريخ ١٨/٣/١٤٢١هـ.

يستطيع الشاب مقاومة تلك الشبهات والشهوات فيدب الفتور في أوصاله، ويسري التراخي إلى عبادته، وقد يصل إلى ما وصلوا إليه، لذا نجد بعض الشباب المسلمين يسقطون من أول رحلة إلى تلك البلاد التي تعج بالمنكرات والمعاصي والصور العارية، والعصر مليء بالأمثلة والشواهد على تأثير هذا الداء العضال، فكم من شاب مسلم سافر إلى تلك البلاد لدراسة أو عمل أو نزهة، فعاد بأفكار وأخلاق ومبادئ تغاير وتخالف دينه، فانتكس - والعياذ بالله -.

يقول فتحي يكن في ذلك: «أذكر أن أحد الإخوة سافر إلى أمريكا للدراسة وكان مثال المسلم في بلده والقذوة الحسنة بين إخوانه، ومكث في أمريكا بضعة سنين، وعاد بعدها إنساناً آخر لا يمت بأدنى صلة إلى ماضيه القريب، وإنسان آخر سافر إلى نفس هذه البيئة، ولم يتمكن من التماسك والثبات أكثر من سنة، غرق بعدها إلى فوق أذنيه في المعاصي ثم انقطعت أخباره واختفى أثره»^(١).

فالمجتمعات الفاسدة لها أثرها السيئ على الفرد وهي سبب لضعف إيمانه واقترافه المعاصي ووقوعه في الانتكاسة.

المطلب العاشر

الفتنة بالنساء

الفتنة بالنساء تعد مرض شهوة لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾^(٢) والمراد بالمرض في الآية مرض الشهوة،

(١) المتساقطون على طريق الدعوة، (ص ١٢٠).

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٣٢].

وهو مرض نفساني إذا قوي أثر في البدن^(١)، فالشهوة خطر محقق بالإنسان وغالباً ما تحول بينه وبين ربه.

وفي هذا العصر ظهرت الغرائز أمام الشباب وحاصرتهم وأحاطتهم بشراكها ولم يسلم منها حتى الشباب الأخيار فهم كسائر البشر يواجههم من الغرائز ما يواجهه سائر الناس.

ومشكلة الشهوة أنها تبدأ بأمر يسير من خلال نظرة آثمة أو فكرة طائشة فيبدأ الصراع داخل النفس بين الإيمان وداعي الشهوة، فجانب الإيمان يدعوه للتوبة والإنابة ومقاومة هذه الفتنة، ودافع الشهوة والشيطان يدعوه لها فتصارع القضية داخل نفسه فقد ينتصر داعي الإيمان ويعلو صوت العفة والفضيلة وينجو من هذا المزلق ويمتاز هذه العقبة، وقد ينتصر داعي الشهوة فيضعف إيمانه وتعلو الشهوة لديه فتستحكم في قلبه وتسيطر عليه ويتنازل رويداً رويداً عن بعض مبادئ الإسلام فيسقط أسيراً لشهوته^(٢).

لذا اعتنى الإسلام بسد ذرائع الشهوة المحرمة ومنع الطرق التي توصل إليها فحرم النظر إلى المرأة الأجنبية، وعندما سأل أحد الصحابة عن نظرة الفجاءة أمره النبي ﷺ أن يصرف بصره^(٣)، كما نهى النبي ﷺ عن الخلوة بالأجنبية فقال: (لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان)^(٤).

(١) أمراض القلوب، (ص ٧١).

(٢) انظر: الحور بعد الكور، (ص ٣١٠-٣٠).

(٣) كما في حديث جرير رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري. رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٥٥٧١، ج ١٢، ص ٣٨٣).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٥٥٨٦، ج ١٢، ص ٣٩٩).

وحذر الإسلام من الفتنة بالنساء فقال عليه الصلاة والسلام: (ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء)^(١).

فالشهوة أمرها خطير وشرها جسيم، فكم من عابد لله حولته الشهوة إلى فاسق، وكم من عالم حولته إلى جاهل، وكم أخرجت أناساً من الدين كانوا في نظر من يعرفهم أبعد الناس عن الضلال والانحراف، ولذا قال أحد السلف: «لم يكن كفر من مضى إلا من قبل النساء وهو كائن كفر من بقي من قبل النساء»^(٢).

وقد أورد القرطبي مجموعة من القصص والأمثلة التي تبين مدى خطورة هذا الداء، وأنه سبب قوي للانتكاس والردة، فقد ذكر أن رجلاً ملتزماً مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، وكان مثلاً لأهل الخير والصلاح، وكان يرقى كل يوم المنارة للأذان، وفي أحد الأيام نظر إلى بيت نصراني دمي تحت منارة المسجد فرأى بنت صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار فقالت له: ماذا تريد؟ قال: أريدك أنت. قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبتني لبي وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال: أتزوجك. قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل. فتنصر ليتزوجها، وأقام معها في الدار، وقبل الزواج رقى إلى سطح الدار فسقط منه فمات فلا ظفر بها ولا ظفر بدينه فنعوذ بالله من سوء الخاتمة^(٣).

وذلك مما يؤكد أن الفتنة بالنساء في الحرام موجب للانتكاسة عن الإيمان والاستقامة.

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤٨٠٨، ج ٥، ص ١٩٥٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، (رقم ١٧٦٤٣، ج ٤، ص ٤٦).

(٣) التذكرة في أمور الآخرة، القرطبي، (ص ٤٣).

المطلب الحادي عشر

الفتنة بالدنيا والتعلق بها

أمرنا الله تعالى بالعبادة وأن تكون أعمالنا للآخرة التي من أجلها خلقنا، وجعل لنا الدنيا وسخرها لنا بما فيها من مآكل ومشارب ومساكن ومناحج لنستعملها في طاعة الله ولتكون عوناً لنا على عمل الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

فالحياة الدنيا خلقت لتكون معبراً أو قنطرة يمر الناس من فوقها إلى الدار الآخرة، ولكن جعلها سبحانه بما فيها من زخارف وزينات وشهوات دار امتحان وابتلاء قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَعْنَامِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾^(٢).

فمن ركن إليها ونسي آخرته فقد ضيع نفسه، ومن انتبه إليها وأخذ منها بالقدر الذي يعينه على عمل الآخرة ويسلمه من شرها نجا وغنم.

ولقد جاء القرآن الكريم بالآيات التي تحذر الناس من اللهو والانشغال بالدنيا قال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(٣).

يقول الحافظ ابن كثير في ذلك: «أي شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها»^(٤).

(١) سورة القصص، الآية [٧٧].

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٤].

(٣) سورة التكاثر، الآية [١].

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٧٦.

وكان النبي ﷺ يخشى على أمته من فتنة الدنيا فيقول: (فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)^(١).

ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه)^(٢).

وقوله ﷺ: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)^(٣).
فالفتنه بالدنيا والتعلق بها من أعظم الفتن التي تواجه الإنسان، فكم من رجل باع دينه بحفنة من المال، وكم من إنسان ضحى بدينه والدعوة إلى الله خوفاً على منصبه وخشية على رزقه.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تشير إلى هذا الداء العضال الذي قد يثني ويبعد المسلم عن دينه، منها قول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمَخْلُقُونَ مِنْ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلَوْنَا﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥) فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَلَوْا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ^(٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٩٨٨، ج ٣، ص ١١٥٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٣٢٢٨، ج ٨، ص ٢٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٧٤٢، ج ٤، ص ٢٠٩٨).

(٤) سورة الفتح، الآية [١١].

(٥) سورة التوبة، الآية [٧٥-٧٦].

فكانت النتيجة : ﴿ فَأَعْقَبْتَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ^(١).

فهاتان الآيتان تبيينان أن الفتنة بالمال كانت سبباً في الانشغال عن طاعة الله والتقصير في الإنفاق في سبيله عز وجل.

وهذا العصر مليء بمثل هذا الأمثلة فترى الرجل متمسكاً بأوامر الله مستقيماً على شرعه ، فإذا دخل في أمور الدنيا والتجارة انشغل بها انشغالاً كبيراً عن أمور دينه بل ربما تنازل عن بعض الأمور الشرعية ووقع في الحرام بسبب حبه للمال ورواج تجارته ، إما بقبوله رشوة أو بدخوله في معاملات ربوية وهلم جرا ، وهكذا حتى يضعف إيمانه ويكون ذلك المال سبباً في انتكاسته ، والنبي ﷺ يقول : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس) ^(٢).

ومما يدل على أن المال فتنة للعبد ما رواه أبوهريرة ؓ أنه سمع النبي ﷺ يقول : (إن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ، بدا لله أن يتليهم فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص. فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال : لون حسن وجلد حسن قد قدرني الناس. قال : فمسحه فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً فقال : فأني المال أحب إليك؟ قال : الإبل. قال : فأعطني ناقة عشراء. فقال : بارك الله لك فيها. قال : فأتى الأقرع. فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قدرني الناس. قال : فمسحه

(١) سورة التوبة ، الآية [٦٧].

(٢) سبق تخريجه في.

فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً. قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطي بقرة حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأنتى الأعمى. فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره. قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا فأنج هذان، وولد هذا. قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيراً، فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته. فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته. فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته الله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتكم، فقد رضى عنك، وسخط على صاحبيك^(١). ولعل أبرز مثال لمن انتكس بسبب المال قارون الذي أعطي الأموال الكثيرة فافتن بها ولم يقم بحققها فكانت سبباً لكبره واختياله ويغيه على قومه فخسف الله به الأرض.

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣٢٧٧، ج ٣، ص ١٢٧٦).

ومن جانب آخر، فقد يكون سبب انتكاسة المسلم من أقرب الناس إليه، لما يحملونه عليه من التعلق بالدنيا والغفلة عن الطاعات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية: لهؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين، فهموا أن يعاقبوهما^(٢) فنزلت هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

يقول الحافظ ابن كثير: «أي اختبار وامتحان منه لكم إذا أعطاكموها ليعلم أشكرونها عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها عنه»^(٤). فالزوجة والأولاد فتنة للزوج، خاصة إذا كانت الزوجة غير صالحة فتشغل نفسها وزوجها بالباطل، فكم من شخص نكص على عقبيه بسبب زوجته وأولاده.

وكم نشاهد في هذا العصر أناساً يكونون على استقامة وحرص على طلب العلم والدعوة إلى الله، وما إن يقترنوا بزوجات سوء حتى يفتنوا بهن عن دينهم، إما بإشغالهم عن طاعة الله والدعوة إليه، أو بأمرهم بقطيعة الرحم

(١) سورة التغابن، الآية [١٤].

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ٣٢٩).

(٣) سورة الأنفال، الآية [٢٨].

(٤) تفسير القرآن العظيم، (ج ٢، ص ٢٦٢).

وعقوق الوالدين ، أو بشيهم عن الصدقة والبذل في سبيل الله ، أو بإدخال المنكرات ووسائلها في البيوت فيوافقهن الرجال على ذلك طلباً لإرضائهن أو بعداً عن أذهن.

ولا شك أن هذه المنكرات التي يقع فيها أولئك الرجال ويتهاونون بها لها أكبر الأثر على إيمانهم وتقواهم ، ويكون ذلك سبباً في سقوطهم وانتكاستهم.

يقول فتحي يكن : «إن الذين يتساقطون على طريق الدعوة بهذا السبب كثيرون ولكن القليل الذين يعترفون بذلك ويقولون»^(١).

المطلب الثاني عشر

الفقرة عن تذكر الموت ونسيان الآخرة

لا شك أن نهاية العالم إلى الفناء محسنتهم ومسيئتهم مهما عاشوا في الدنيا من سنوات طوال وسيحاسبون حتماً على ما زرعوه في الدنيا من خير وشر. فإذا تفكر المسلم في ذلك وتأمل هذا الواقع وجعل الموت نصب عينيه ، كان ذلك حافزاً على الاجتهاد والإكثار من الأعمال الصالحة ، وزهد في الدنيا وشهواتها ولذاتها فكف عن المعاصي وأقبل على الطاعات ، فإن غفل الإنسان عن الموت ونسي الآخرة دخلت الدنيا قلبه وافتتن بها ولم يتورع عن شهواتها ولذاتها.

فذكر الموت والأجل عامل قوي للنفس على الإقبال على الآخرة والزهد في الدنيا.

(١) المتساقطون على طريق الدعوة ، (ص ٨١).

ولقد ذم الله تعالى الغفلة عن الآخرة في كتابه الكريم فقال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وجاءت الآيات تحت على الذكرى وتبين نفعها قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) والقرآن مليء بالآيات التي تذكر الخلق بالأجل وأنه آتٍ لا محالة وتحثهم على قصر الأمل والعمل للآخرة قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٤).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في هذه الآية: «هذه الآية الكريمة فيها تزهيد في الدنيا لفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور تفتن بزخرفها وتخضع بغرورها وتغرر بمحاسنها ثم هي منتقلة ومنتقل عنها إلى دار القرار التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار من خير وشر»^(٥).

كما أن ذكر الموت فيه ثواب وفضل عظيم، فإن المنهمك في الدنيا يستفيد بذكر الموت التجافي عنها لأن ذكره ينغص عليه نعيمها ويكدره.

ومهما بلغ المسلم من زهده في الدنيا واجتهاده في الطاعة وإكثاره من الأعمال الصالحة فهو بحاجة دائماً لذكر الموت والآخرة بما فيها من نعيم وعذاب

(١) سورة مريم، الآية [٣٩].

(٢) سورة الذاريات، الآية [٥٥].

(٣) سورة ق، الآية [١٩].

(٤) سورة آل عمران، آية [١٨٥].

(٥) تيسير الكريم الرحمن، (ج ١، ص ٣٠٠).

فالصحابة مع جدتهم في الطاعة وزهدهم في الدنيا وجهادهم في سبيل الله كان النبي ﷺ يذكرهم دائماً بالأجل ويرغبهم في الدار الآخرة ويقول لهم: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات)^(١).

فالإنسان تمر به أحياناً فترات يقسو فيها قلبه ويضعف إيمانه ولا يصبح لتلك الأعمال والطاعات أثر فعال في نفسه وهذا سببه إغفال جانب التذكر، والإنسان إذا غفل عن ذكر الموت ركن إلى الدنيا وانشغل بها وتكاسل عن الأعمال الصالحة ووقع في المعاصي ولم يبادر إلى التوبة والندم.

قال الإمام القرطبي: «من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء، تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة»^(٢).

والغفلة ونسيان الأجل والدار الآخرة عامل كبير لقسوة القلب والتكاسل عن الأعمال الصالحة والوقوع في المعاصي وتسويف التوبة وهذا كله سبب كبير للوقوع في الانتكاسة عن الدين.

المطلب الثالث عشر

الشیطان والنفس الأمارة بالسوء

إن الشيطان ألد أعداء الإنسانية من لدن آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو عدو لدود لكل الناس، وقد أخبر القرآن الكريم بعداوته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٢٩٩٥، ج ٧، ص ٢٦١).

(٢) التذكرة في أمور الآخرة، (ص ١٠).

حِزْبُهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ^(١)، وذلك لأنه يريد لبني الإنسان الشقاوة والخسارة العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، فيبغض إليهم الطاعات والعبادات ويحبب إليهم المعاصي من الشبهات والشهوات وسائر الفتن من الفواحش والبلديات^(٢).

ومن ابتلاء الله للعباد أن جعل لكل إنسان شيطاناً كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع. فقال: مالك يا عائشة أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك. فقال رسول الله ﷺ: (أقْدَ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟) قالت: يا رسول الله أومعي شيطان؟ قال: (نعم). قلت: ومع كل إنسان؟ قال: (نعم). قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: (نعم). ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم^(٣).

وقد فضح القرآن الكريم عداوة الشيطان ومكائده ضد الإنسان وتحريضه له على القبائح والمعاصي قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) والشيطان يعد الإنسان الفقر ويأمره بالبخل وترك الصدقة قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾^(٥).

(١) سورة فاطر، الآية [٦].

(٢) المعاصي وأثارها على الفرد والمجتمع، خالد المصلح، (ص ٧٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٨١٥، ج ٤، ص ٢١٦٨).

(٤) سورة البقرة، الآية [١٦٩].

(٥) سورة البقرة، الآية [٢٦٨].

وكذلك يفسد عليه قلبه ويلقي فيه العداوة والبغضاء ويصده عن ذكر الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَنَرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(١).

كما أن الشيطان يحرش بين المسلم وإخوانه لقول النبي ﷺ: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)^(٢) وبغيره بطول الأمل فكم من عازم على الجد سوفه وكم من ساع إلى فضيلة ثبطه قال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٣).

قال ابن عباس ؓ: (أي: أرغبهم في دنياهم وأشبه عليهم أمر دينهم وأشهي لهم المعاصي)^(٤).

ولم يكتف الشيطان بذلك بل سعى لتشكيك المسلم في عقيدته ودينه كما أخبر بذلك النبي ﷺ في قوله: (يأتي الشيطان أحدكم. فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك، فإذا بلغ فليستعذ بالله ولينته)^(٥) فلا يزال به حتى يضلّه عن الحق ويوقعه في الضلال كما قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٦)، ومن ثم يوقعه في الكفر وهذا غاية

(١) سورة المائدة، الآية [٩١].

(٢) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٨١٢، ج ٤، ص ٢١١٦).

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٦١-١٧٠.

(٤) جامع البيان، (ج ٨، ص ١٣٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣١٠٢، ج ٣، ص ١١٩٤).

(٦) سورة النساء، الآية [٦٠].

منه^(١) قال تعالى: ﴿كَمْثِلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

والنفس الأمارة بالسوء تستجيب لذلك وتلبي رغبات الشيطان وترضى بوسوسته لأنها من أعداء الإنسان تأمره بكل سوء وهذا من طبيعتها، فما تخلص أحد من شرها إلا مارحم الله قال عز وجل: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَآرَجَهُ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه خطبة الحاجة فيقول: (إن الحمد لله محمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا..)^(٤).

فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإذا خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك^(٥).

ومن هنا نخلص أن الشيطان والنفس البشرية من أعداء الإنسان وأنها سبب كل بلية وشر وهما من أعظم أسباب الضلال والانتكاسة عن الدين. فالحاصل أن للانتكاسة عدة أسباب إذا تلبس بها العبد قد تجره للوقوع في الانتكاسة.

(١) تلبس إبليس، ابن الجوزي، (ص ٣٩-٤٢).

(٢) سورة الحشر، الآية [١٦].

(٣) سورة يوسف، الآية [٥٣].

(٤) سبق تخريجه في (ص ٣).

(٥) تزكية النفوس، ابن رجب الحنبلي، ابن القيم، أبو حامد الغزالي، جمع وترتيب: أحمد فريد، (ص ٧٣).

المبحث الثالث

آثار انتكاسة المسلم

تمهيد

الأثر لغة: بقية الشيء، والجمع آثار وأثور، وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء^(١).

واصطلاحاً: الأثر بمعنى النتيجة^(٢). وحصول ما يدل على وجود الشيء^(٣).

والمراد به في هذا البحث: ما يظهر على المنتكس من كفر وفسق ونتائج ذلك عليه.

فالانتكاسة لها آثار عظيمة ونتائج وخيمة في الدنيا والآخرة على الفرد والأسرة والمجتمع وإن كان أعظم الأثر ينصب على المنتكس نفسه. وقد لا نستطيع في هذا المبحث أن نأتي عليها كلها ولكن حسبنا أن نذكر أهمها على سبيل المثال لا الحصر.

وستتناول ذكر هذه الآثار من خلال المطلبيين التاليين:

المطلب الأول: الخروج من الإسلام إلى الكفر.

المطلب الثاني: الخروج من الإيمان إلى الفسق.

(١) لسان العرب، (ج ٢، ص ٥).

(٢) التعريفات، (ص ٢٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص ٣٣).

المطلب الأول

الخروج من الإسلام إلى الكفر

الخروج من الإسلام إلى الكفر يعتبر أكبر جوانب الانتكاسة جرماً وأعظمها خطراً وأشدّها أثراً فيحكم على المنتكس بالردة والكفر، ولا يغفر له إذا مات على ذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾^(١)، وتحبط جميع أعماله الصالحة لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(٣)، ويوجب لصاحبه النار لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾^(٤)، ويخلد في النار لقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٥).

فهذه بعض آثار الانتكاسة على المنتكس في الآخرة.

وأما آثارها عليه في الدنيا، فإن الكفر يجعل صاحبه أضيق الناس صدرًا كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

(١) سورة النساء، الآية [١٦٨].

(٢) سورة الفرقان، الآية [٢٣].

(٣) سورة المائدة، الآية [٥].

(٤) سورة فاطر، الآية [٣٦].

(٥) سورة البقرة، الآية [١٦٧].

صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

وتنقطع صلته بأهله وأقاربه ومجتمعه فيفارق بينه وبين زوجه لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ (٢).

وتسقط حضانته على أولاده إن كان لهذا المرتد أولاد فلا حضانة لكافر على مسلم (٣) ولا يصح تزويجه لأن ولايته على موليته قد زالت برده ، وينقطع التوارث بينه وبين أقاربه فلا يرثهم ولا يرثونه لقول النبي ﷺ : (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم) (٤) ويرد ماله إلى بيت مال المسلمين ، ولا تحل ذبيحته ، ويستتاب ثلاثاً إن تاب وإلا قتل مرتداً (٥) لقول النبي ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه) (٦).

كما أن ردة أحد الزوجين توجب الفرقة بينهما وبالتالي سيتأثر الآخر بهذا الفراق ، وإن كان بينهما أولاد فقد تتعطل حقوقهم وتضيع مصالحهم ، وإن

(١) سورة الأنعام، الآية [١٢٥].

(٢) سورة الممتحنة، الآية [١٠].

(٣) من فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين في إحدى منشوراته التي صدرت عنه.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٣٨٣، ج ٦، ص ٢٤٨٤).

(٥) انظر: المغني، ابن قدامة، (ج ١٢، ص ٢٧٤-٢٧٧). والملخص الفقهي، صالح الفوزان،

(ج ٢، ص ٤٥٣).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٨٥٤، ج ٢، ص ١٠٩٨).

حكم عليه بالقتل فستأثر أسرته بفقده بل حتى ماله سيحرمون منه لقطع التوارث بينهم.

ولا تقتصر آثار الردة على المتكس وأسرتهم فقط، بل تصل إلى مجتمعه أيضاً وزملائه، وجيرانه.

وقد تمتد آثار هذه الانتكاسة إلى المجتمعات الأخرى غير المسلمة حيث ستفقد الثقة بهذا الدين الذي تراجع عنه أهله وتخلّى عنه رجاله، وتقل نسبة المقبلين عليه من غير المسلمين.

فهذه الانتكاسة الخطيرة تحبط العمل وتفسد الدين والدنيا وتسري آثارها على أسرة المتكس ومجتمعه فيخسر الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني

الخروج من الإيمان إلى الفسق

الخروج من الإيمان إلى الفسق بارتكاب المعاصي هو النوع الثاني من أنواع الانتكاسة ولها آثارها وأضرارها كذلك، وإن كانت لا تصل بصاحبها إلى حد الكفر فإن لها آثاراً ومضاراً على المتكس بحسبها، فهي تضر وتضعف إيمانه وتنقصه ويكون صاحبها على خطر عظيم وهو متعرض للعقوبة والعذاب في الآخرة على هذه المعاصي إن لم يتب منها لقول الله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٢).

(١) سورة النجم، الآية [٣١].

(٢) سورة الزلزلة، الآية [٨].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مر النبي ﷺ بمحائط من حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي ﷺ: (يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى. كان أحدهما لا يستتر من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة)^(١).

وأما في الدنيا فإن آثار الانتكاسة وأضرارها تسري على قلب المنتكس وعمله وبدنه ورزقه.

فهي توهن القلب وتضعفه وتحرمه العلم النافع، لأن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور وتعمي بصيرة القلب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢)، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي أستاذه الإمام مالك وأعجبه ما رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه قال له: «إني أرى الله تعالى قد ألقى عليك نوراً فلا تطفئة بظلمة المعصية»^(٣).

وتورث المعاصي وحشة بين العبد وربه، وبينه وبين الخلق وكلما كثرت الذنوب اشتدت تلك الوحشة، ويجد العاصي ظلمة في قلبه بسبب تلك المعاصي، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق)^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢١٣، ج ١، ص ٨٨).

(٢) سورة الحج، الآية [٤٦].

(٣) الجواب الكافي، (ص ٩٦).

(٤) المرجع السابق، (ص ٦٨).

وأيضاً فإن المعاصي تطبع على قلب صاحبها لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

كما أن للمعاصي معيشة ضنكاً في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾^(٢) وبكثرة إتيان المعاصي يألف العاصي المعصية فتهدون عنده حتى يصعب عليه التخلص منها.

فهذه بعض آثار الانتكاسة على قلب المنتكس، وأما آثارها على عمله فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أندرون ما المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من سيئاته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحه عليه، ثم طرح في النار)^(٣)، فالمعاصي تقضي على الأعمال الصالحة وتفني الحسنات وتزيد السيئات.

ومن آثار هذه الانتكاسة على بدن المنتكس ارتكابه المعاصي والجرائم التي يترتب عليها القصاص والديات والحدود والكفارات والتعزيرات.

كما أن المعاصي توهن البدن لأن المؤمن قوته من قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه، وأما الفاجر وإن كان قوي البدن فهو أضعف شيء عند الحاجة، فتخونه قوته أحوج ما يكون إلى نفسه.

(١) سورة المطففين، الآية [١٤].

(٢) سورة طه، الآية [١٢٤].

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٥٨١، ج ٤، ص ١٩٩٧).

قال الإمام ابن القيم: «وتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم»^(١).

ومن آثار المعاصي على الرزق أن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه كما قال النبي ﷺ: (وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣) فكذلك ترك التقوى مجلبة للفقر وهذا مفهوم الآية، فإن من لم يتق الله لا يجعل له الله مخرجاً ولا يرزقه من حيث لا يحتسب، وما استجلب رزق بمثل ترك المعاصي.

والمعاصي أيضاً تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت نعمة عن العبد إلا بذنب، ولا حلت به نعمة إلا بذنب، كما ذكر عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة)^(٤)، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٥).

والمعاصي تزيل البركة في المال وقد تلفه، ومن ذلك أن من كذب في بيعه وشرائه وكتّم العيوب في السلعة عوقب بمحق البركة، فعن حكيم بن حزام عليه السلام عن النبي ﷺ قال: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما

(١) الجواب الكافي، (ص ٦٨).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٨٧٢، ج ٣، ص ١٥٣).

(٣) سورة الطلاق، الآيات ٢٦-٢٣.

(٤) الجواب الكافي، (ص ٩٢).

(٥) سورة الرعد، الآية ١١.

في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما^(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله)^(٢).

وفي الجملة فإن انتكاسة العبد بارتكابه المعاصي لها أثر عظيم في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل والطاعة ، فهي تمحق بركات الدنيا والآخرة قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٣).

ويقول ابن القيم في ذلك : «إن من نتائج المعصية قلة التوفيق ، وفساد الرأي وخفاء الحق وفساد القلب ، وخمول الذكر ، وإضاعة الوقت ، ونفرة الخلق ، والوحشة بين العبد وربّه ، ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة في الرزق والعمر ، وحرمان العلم ، ولباس الذل ، وإهانة العدو ، وضيق الصدر ، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت ، وطول الهم والغم ، وضنك المعيشة ، وكسف البال»^(٤).

كما أن هذه الانتكاسة لها أثرها الكبير على أسرة المنتكس في الاقتداء به لا سيما إن كان المنتكس هو الأب أو الأم ، وستضيع حقوق ومصالح أسرهم بغفلتهم وارتكابهم للمعاصي والآثام ، وستحل بهم وبأسرهم النقم والمصائب

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٩٧٦ ، ج ٢ ، ص ٧٣٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٢٥٧ ، ج ٢ ، ص ٨٤١).

(٣) سورة الأعراف ، الآية [٩٦].

(٤) الفوائد ، ابن القيم ، (ص ٤٢).

وحتى ولو كان المنتكس أحد الأبناء أو البنات فإن أثر انتكاسته حاصلة على بقية أفراد الأسرة بمجالستهم ومصاحبتهم له.

وهذه الانتكاسة لا يقتصر تأثيرها على المنتكس وأسرته فحسب بل تؤثر على مجتمعه أيضاً.

فحدوث هذه الظاهرة وكثرتها في المجتمع وتزايد عدد المنتكسين عن الطاعات إلى المعاصي من أكبر الأسباب في زوال النعم وحلول النقم وهلاك الأمم كما قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(١).

فهذا مثل ضربه الله لكل قرية أو بلدة كانت الخيرات تأتيها من جميع الأماكن، وهي في رغد من العيش والأمن، ولكنها لما تنكرت لنعم الله وآلائه وخالفت أمره واقترفت المعاصي حل بها من الجوع والخوف ما الله به عليم، وهذا مشاهد في كل مكان وزمان.

كما أن انتشار الفواحش كالزنا واللواط واقتراف المحرمات كمنع الزكاة، وتطفيف المكيال والميزان، من أسباب حلول النقم.

فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين... خمس إذا ابتليتم بهن ونزلن فيكم وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا

(١) سورة النحل، الآية [١١٢].

أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء^(١).

وهكذا فإن المعاصي تؤثر على حياة المجتمعات^(٢)، لما تحدثه في الأرض من أنواع الفساد في المياه والهواء والزروع والبحار والمساكن^(٣). قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤).

قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية: «أي استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معاشهم ونقصها وحلول الآفات بها وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك بسبب ما قدمت أيدهم من الأعمال الفاسدة»^(٥).

فالخاص أن الانتكاسة لها آثار خطيرة وأضرار بالغة على الفرد والمجتمع فما يصيب الإنسان في دينه ودنياه من الفتن والمحن والابتلاء بسائر المصائب فهو بسبب الانتكاسة من الطاعة إلى المعصية أو الردة من الإسلام إلى الكفر قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٦).

(١) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٨٦٢٣)، ج ٤، ص ٥٨٣، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) انظر: المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، (ص ١٤١-١٥٥)، وأثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، محمد الصواف، (ص ٥٤-٥١).

(٣) الجواب الكافي، (ص ٨٠).

(٤) سورة الروم، الآية [٤١].

(٥) تيسير الكريم الرحمن، (ج ٤، ص ٩٠).

(٦) سورة الشورى، الآية [١٣٠].

يقول الحافظ ابن كثير في هذه الآية: «مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما عن سيئات تقدمت لكم»^(١).

وكذا قال الشيخ السعدي: «إن ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزاً عليهم إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات»^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ١٠٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، (ج ٤، ص ٤٠٠).

المبحث الرابع

حكم انتكاسة المسلم

المطلب الأول

حكم الخروج من الإسلام إلى الكفر

الخروج من الإسلام إلى الكفر يعني الردة عن الدين ، والردة لغة : من ارتدّ وارتدّ عنه أي : تحوّل^(١). وفي التنزيل : ﴿ وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾^(٢).

والاسم الردة ، ومنه الردة عن الإسلام أي : الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه.

واصطلاحاً : هي الإتيان بما يخرج به عن الإسلام إما نطقاً وإما اعتقاداً وإما شكاً^(٣).

وقيل هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر باختياره ، دون إكراه من أحد^(٤) لقول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٥).

إذا فالردة هي رجوع مسلم بالغ عاقل عن الإسلام إلى الكفر باختياره.

(١) لسان العرب ، (ج ٣ ، ص ١٧٣) ، مادة ردد.

(٢) سورة المائدة ، الآية [٥٤].

(٣) نواقض الإيمان القولية والعملية ، عبدالعزيز عبداللطيف ، (ص ٥١).

(٤) فقه السنة ، السيد سابق ، (ج ٢ ، ص ٥٩٩).

(٥) سورة النحل ، الآية [١٠٦].

حكم الردة:

يحكم على المرتد بالكفر والخروج عن الإسلام بالكلية وذلك إذا أتى ما يستوجب رده. قال صاحب الروض المربع: الذي يكفر بعد إسلامه طوعاً ولو ممزاً أو هازلاً بنطق أو اعتقاد أو شك أو فعل كفر، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته أو صفة من صفاته، أو اتخذ لله صاحبة أو ولداً، أو جحد بعض كتبه أو بعض رسله، أو سب الله أو سب رسوله، أو ادعى النبوة فقد كفر^(١).

فالردة جريمة من الجرائم التي تحبط ما كان من عمل صالح قبل الردة، وتستوجب العذاب الشديد في الآخرة.

الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة:

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِۦ ۖ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾^(٢).

معنى الآية: أن من يرجع عن الإسلام إلى الكفر، ويستمر عليه حتى يموت كافراً يبطل كل ما عمله من خير، ويحرم ثمرته في الدنيا، فلا يكون له ما للمسلمين من حقوق، كما يحرم من نعيم الآخرة، ويخلد في العذاب الأليم^(٣).

(١) الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع، منصور البهوتي، (ص ٤٤٤).

(٢) سورة البقرة، الآية [٢١٧].

(٣) فقه السنة، (ج ٢، ص ٦٠٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنتَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾^(١)، قال ابن كثير في تفسيره: ﴿وَنُزِدُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي في الكفر^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِمِثْلِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٤) أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فترك كتاب الله وراء ظهره ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس^(٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾^(٦).

قال ابن كثير: «أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر»^(٧).

ثانياً: الأدلة من السنة:

قول النبي ﷺ: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض الدنيا)^(٨).

(١) سورة الأنعام، الآية [١٧١].

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج ٢، ص ١٢٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية [١٩١].

(٤) سورة الأعراف، الآية [١٧٥].

(٥) تيسير الكريم الرحمن، (ج ٢، ص ١٧).

(٦) سورة محمد، الآية [٢٥].

(٧) تفسير القرآن العظيم (ج ٢، ص ١٦٠).

(٨) رواه مسلم في صحيحه (رقم ١١٨، ج ١، ص ١١٠).

قال النووي في الحديث: «حث على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل تعذرها والانشغال عنها بالفتن التي قد تقلب الإنسان في اليوم الواحد من الإيمان إلى الكفر»^(١).

فالانتكاسة بالخروج من الإسلام إلى الكفر تكون بارتكاب ما يستوجب الردة سواء كان اعتقاداً أو قولاً أو عملاً وذلك يقتضي الكفر والخروج من الدين بالكلية، وهذا ما دلت عليه الأدلة السابقة.

المطلب الثاني

حكم الخروج من الإيمان إلى الفسق

ويكون ذلك بارتكاب المعاصي التي لا تصل بصاحبها إلى حد الكفر والردة، كالربا والزنا وشرب الخمر وقتل النفس.

فهذه المعاصي وإن عظمت ذنباً وحرمة فإنها لا تخرج فاعلها من الإسلام والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۖ الْحَرَجُ بِالْأَحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ۖ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ۚ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۖ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢١﴾ فلم يخرج القاتل من الدين آمنوا، وجعله سبحانه أخاً لولي القصاص، والمراد بالأخوة: أخوة الدين. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا النووي، (ج ٢، ص ١٣٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٧٨).

أَمَرَ اللَّهُ^١ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا^(١)، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ^٢ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ^(٣)﴾.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف ليس بمرتد، بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، كما قال صاحب الطحاوية: لو أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم بفضله، وإن شاء عذبهم بعدله^(٤).

ولكن مع هذا فإن هذه الكبائر محرمة شرعاً وحرمتها على قدر جرمها عند الله تعالى وهي تضر الإيمان وتضعفه بل ربما ترفعه حين اقرار العبد لها كما قال ﷺ: (لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن)، قيل لابن عباس: كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا. وشبك بين أصابعه، ثم أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه^(٥).

قال الحافظ ابن حجر: «وقوله لا يزني الزاني وهو مؤمن قيد نفي الإيمان بحالة ارتكابه لها، ومقتضاه أنه لا يستمر بعد فراغه، وهذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون المعنى أن زوال ذلك إنما هو إذا أُلْقِيَ الإقلاع الكلبي، وأما لو فرغ وهو مصر

(١) سورة الحجرات، الآية [٩].

(٢) سورة الحجرات، الآية [١٠].

(٣) شرح الطحاوية، أبي العز الحنفي، (ج ٢، ص ٩٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٤٢٤، ج ٦، ص ٢٤٩٧).

على تلك المعصية فهو كالمرتكب ، فينتجه أن نفى الإيمان عنه يستمر^(١) . ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه فيما تقدم : (فإن تاب عاد إليه - أي الإيمان -) .

وهذه المعاصي مع كونها محرمة فهي قد تؤدي إلى ضلال العبد وهلاكه كما قال النبي ﷺ : (إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل)^(٢) .

وقول النبي ﷺ : (من كانت فترته إلى اقتصاد فنعم ما هو ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون)^(٣) .

فالانتكاسة بالخروج من الطاعة إلى الفسق تكون بارتكاب المعاصي التي لا تخرج صاحبها من الإسلام فتكون انتكاسته محرمه بحسب درجة المعصية وجرمها عند الله تعالى ولا يخرج صاحبها من الدين ولكنها تضر الإيمان وتنقصه ، وهذا ما دلت عليه الأدلة .

وهنا يتضح لنا موقف الشريعة الإسلامية من الانتكاسة ، وإن حكم الإسلام على المنتكس يختلف بحسب نوع الانتكاسة ودرجتها .

(١) فتح الباري ، (ج ١٢ ، ص ٥٩) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة



الفصل الثاني

التدابير الذاتية الواقية من الانتكاسة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التدابير الذاتية المتعلقة بالعقيدة.

المبحث الثاني: التدابير الذاتية المتعلقة بالشريعة.

المبحث الثالث: التدابير الذاتية المتعلقة بالأخلاق

والآداب.





تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

تهديد

لقد شرع الإسلام تدابير ذاتية وقائية تحصن المسلم وتقويه من الوقوع في الانتكاسة، والوقاية خير من العلاج، وقديماً قالوا: (درهم وقاية خير من قنطار علاج).

والم تأمل في كتاب الله يجد أنه أولى النواحي الوقائية أهمية كبرى، وأرسى دعائمها، وعمل على وقاية الفرد والمجتمع من الأسباب والعوامل المؤدية إلى الضلال والضياع، كما عمل على تقوية المناعة المكتسبة لدى الناس لحمايتهم وصيانتهم من الوقوع في المعاصي والآثام^(١)، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَلْفَوْحٍ ۚ إِنَّهُنَّ نَفْسٌ نَزَرَتْكُمْ وَإِيَّاهُنَّ لَا تَقْرُبُوا أَلْفَوْحٍ ۚ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وجاءت السنة النبوية بسياجها المنيع لتقي الأفراد والمجتمعات من الوقوع في المحرمات، فقال الرسول ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات). قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)^(٣). وعلى المسلم أن يأخذ بهذه التدابير التي شرعها الإسلام، ويعمل بها ليستفيد منها وتكون وقاية ذاتية له من الانحراف، فكما أنه مطالب بوقاية بدنه

(١) انظر: التدابير الوقائية في الإسلام، فتحي يكن، (ص ٣٩٩).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٥١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٤٦٥، ج ٦، ص ٢٥١٥).

من الأمراض الحسية فهو مطالب من باب أولى بوقاية قلبه وحمايته من الأمراض المعنوية التي تؤدي به في النهاية إلى الضلال.

وسيرد في هذا الفصل - بإذن الله - بيان بأهم التدابير الذاتية المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق والآداب والتي شرعها الإسلام للمحافظة على الفرد والمجتمع من الضلال والوقوع في الانتكاسة.

المبحث الأول

التدابير الذاتية المتعلقة بالعقيدة

المطلب الأول

العقيدة وأثرها في الوقاية من الانتكاسة

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أهمية العقيدة:

العقيدة لغة: مأخوذة من الربط والشد، ومنه الإحكام والإبرام والإلزام يقال: عقد الحبل يعقده: شده، والعقد ضد الحل، وعقد قلبه على شيء لم ينزع عنه^(١).

واصطلاحاً: الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير تردد أو شك^(٢).

وأركان هذه العقيدة هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة التي نزل بها كتاب الله العزيز وبعث بها رسوله ﷺ.

ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب وجميع ما أخبر به الله ورسوله عليه السلام.

(١) انظر: لسان العرب، (ج ٣، ص ٢٩٦)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، (ص ٣٨٣)، والعين (ج ١، ص ١٤٠).

(٢) العقيدة أولاً لو كانوا يعملون، عبدالعزيز القارئ، (ص ١٠).

وأدلة هذه الأصول الستة في الكتاب والسنة كثيرة جداً^(١) منها قول الله تعالى :
﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾^(٢).

ومن السنة ، ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال له : (الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...) ^(٣).

وهذه العقيدة من أهم المهمات وأفضل الواجبات ، فهي أصل الدين وركنه العظيم ، قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة...) ^(٤) فجعل النبي ﷺ شهادة أن لا إله إلا الله المتمثلة في الإيمان بالله وتوحيده أساس الإسلام وركنه الأول ، وحينما بعث عليه الصلاة والسلام معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال له : (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) ^(٥).

فالعقيدة هي القاعدة والأصل لجميع الأعمال الصالحة ، وعليها يتوقف قبول العمل ، فإن كانت هذه العقيدة صحيحة كان ما يتفرع عنها من الأعمال مقبولاً ، وإن كانت غير ذلك كان ما يصدر عنها باطلاً مردوداً ، قال الله تعالى :

(١) العقيدة الصحيحة وما يضادها ، عبدالعزيز بن باز ، (ص ٤-٥).

(٢) سورة البقرة ، الآية [١٧٧].

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٨ ، ج ١ ، ص ٣٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٨ ، ج ١ ، ص ١٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٣٨٩ ، ج ٢ ، ص ٥٢٩).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: «جعل سبحانه الإيمان قيداً في الجزء المذكور لأن عمل الكافر لا اعتداد به»^(٢) لقوله سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٣).

وقال الحافظ ابن كثير في هذه الآية: «أخبر جل وعلا أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها بمنجاة لهم شيء وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها أو المتابعة لشرع الله فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل»^(٤).

والعقيدة هي الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمي الإمام أبو حنيفة أصول الدين الفقه الأكبر، لأن حاجة العباد إلى العقيدة الصحيحة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بمعرفة ربها ومعبودها وفاطرها^(٥).

ولحاجة الخلق إلى العقيدة الصحيحة فطر الله تعالى قلوبهم عليها، قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٦).

(١) سورة النحل، الآية [٩٧].

(٢) فتح التقدير، محمد الشوكاني، (ج ٢، ص ٥٧٠).

(٣) سورة الفرقان، الآية [٢٣].

(٤) تفسير القرآن العظيم، (ج ٣، ص ٢٧٠).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، (ج ١، ص ٦٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٣١٩)، ج ١، ص ٤٦٥.

ولم يكتف جل شأنه بذلك بل أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجلها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾^(١) والقرآن مليء بالآيات التي جاءت تقرر هذه العقيدة في القلوب.

كما جاءت السنة تأكيداً وتفصيلاً لما جاء في القرآن، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: (يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟) وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: (لا تبشرهم فيتكلوا)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر في قوله: (لا تشركوا به شيئاً) المراد به: التوحيد^(٣). وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب: «التوحيد أول واجب على المكلف.. فهو أول واجب، وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا»^(٤)، كما قال ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)^(٥).

(١) سورة النحل، الآية [٣٦].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٧٠١، ج ٣، ص ١٠٤٩).

(٣) فتح الباري، (ج ١٣، ص ٣٥٥).

(٤) تيسير العزيز الحميد، سليمان عبد الوهاب، (ص ٣٧).

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ١٢٩٩، ج ١، ص ٥٠٣)، وقال حديث صحيح

وقد نهى الله عز وجل عن كل ما يهدم هذه العقيدة أو ينافي هذا التوحيد، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(١) فالشرك مفسد للدين محبط للعمل مناف للتوحيد، لذلك كان الذنب الذي لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٢) وهو أعظم ذنب عصي به الله تعالى، فحينما سئل النبي عليه السلام أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً^(٣) وهو خلقك)^(٤).

فعلينا أن نجتنب هذا الذنب العظيم الذي يفسد ذلك الركن العظيم، وأن نعتني بتحقيق جانب التوحيد، وترسيخ العقيدة في القلوب وتنقيتها من شوائب الشرك ومن كل ما يقدر فيها.

الفرع الثاني: عوامل ترسيخ العقيدة:

هناك عوامل ودوافع يتوصل بها إلى ترسيخ هذه العقيدة الإيمانية في النفوس، مثل النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، والعلم بالله وأسمائه وصفاته، وتدبر القرآن الكريم، ودراسة سير الأنبياء والصالحين، والاستماع إلى المواعظ والتأثر بها.

وستتحدث بإيجاز عن هذه العوامل وأثرها في ترسيخ العقيدة من خلال ما يأتي:

(١) سورة الأنعام، الآية [١٥١].

(٢) سورة النساء، الآية [٤٨].

(٣) الند: الشبيه والمثل، انظر: لسان العرب، (ج ٣، ص ٢٦٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٦٢٦، ج ٤، ص ١٦٢٦).

أولاً: النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض:

حث الله عباده على النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض لأنها من أقوى الأسباب المعينة على زيادة الإيمان واليقين قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) وقد أثنى سبحانه وتعالى على المتفكرين في آياته فقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) قال الإمام القرطبي في هذه الآية: «ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال بآياته، إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدوس سلام غني عن العالمين، حتى يكون إيمانهم مستنداً إلى اليقين لا إلى التقليد»^(٣). فبين رحمه الله أن النظر في ملكوت السماوات والأرض يزيد من الإيمان واليقين.

ومما يدل على أهمية النظر والتفكر في آيات الله والاعتبار بها قول النبي ﷺ في هذه الآيات حينما تلاها: (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها، إن في خلق السموات والأرض)^(٤).

فآيات الله دالة على أفعاله وأفعاله دالة على صفاته وذلك يستلزم وجوده وقدرته وعلمه، ومافي هذه الآيات من المصالح والحكم والغايات المحموده دال

(١) سورة يونس، الآية [١٠١].

(٢) سورة آل عمران، الآيات [١٩٠-١٩١].

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (ج ٤، ص ٣١٠).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٦٢٠، ج ٢، ص ٣٨٦٠).

على حكمته، وما فيها من النفع والإحسان والخير دال على رحمته، وما فيها من البغض والانتقام والعقوبة دال على غضبه...^(١)، فالنظر والتفكير في تلك الآيات يملأ قلب المتفكر ووجدانه معرفةً بعظمة الله وهيبته وجلاله، وشعوراً بأنه سبحانه مع عباده جميعاً بعلمه وإحاطته، وهذا يجعل المسلم يتجه بكل أفعاله وأقواله ونواياه وقلبه لله ابتغاء مرضاته والالتزام بأمره^(٢) والبعد عن مخالفته، وهذا مادل عليه قول الله تعالى: ﴿سُرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣).

وهذا مما يؤكد على أن النظر والتفكير في آيات الله له أهمية عظيمة لما له من أثر كبير في زيادة اليقين والإيمان بالله.

ثانياً: العلم بالله وأسمائه وصفاته الحسنى:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤) قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: «فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق ومالك كل شيء يدين له بالربوبية كل ما دونه»^(٥) وقيل: «أي دم يا محمد على علمك بذلك»^(٥).

(١) انظر الفوائد، (ص ٢٨-٢٩).

(٢) الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، عبدود مكرم، (ص ١٢٤).

(٣) سورة فصلت، الآية [٥٣].

(٤) سورة محمد، الآية [١٩].

(٤) جامع البيان، ج ١١، ص ٣٤.

(٥) تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي والسيوطي، (ص ٦٧٥).

وقال الشيخ السعدي: «وهذا العلم الذي أمر به - هو العلم بتوحيد الله - فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائناً من كان»^(١).

والمقصود بالعلم، العلم بالله وأسمائه وصفاته وتنزيهه عن النقائص، وما يستلزمه ذلك من العلم بما يجب على العبد القيام به من أمر دينه، وكذلك العلم بأمور الآخرة من النفخ في الصور إلى دخول الجنة أو النار، فإذا علم العبد ذلك كان أقرب إلى الانقياد لله عز وجل^(٢).

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته من أعظم الأسباب في رسوخ العقيدة وتحقيق التوحيد وكمال الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة)^(٣).

كما أن الجهل وعدم العلم بالله وأسمائه وصفاته والحال بعد الموت وأهوال وأنكال يوم القيامة وعذاب النار ونعيم الجنة من أعظم الضلال والضياع وهذا حال المشركين، وقد وصفهم الله بذلك مبيناً سبب ضلالهم وضياعهم قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنْ حَيَوتِهِمْ وَأَنَّهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

(١) تفسير الكريم الرحمن، (ج ٥، ص ٤١).

(٢) العناية بأحوال الهداية، حمود الجاسم، (ص ٤٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٥٨٥)، ج ٢، ص (٩٨١).

(٤) سورة الروم، الآية [٧].

(٥) سورة التوبة، الآية [٦].

وسيرد الحديث عن العلم وفضله وأثره - بإذن الله - في المبحث الثالث من هذا الفصل.

ثالثاً: تدبر آيات القرآن الكريم:

أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه للتلاوة والتدبر والاعتبار والعمل بما فيه وحث عباده على ذلك، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُواْ ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُواْ أَلُتَّبِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾^(٢). فتدبر القرآن من أعظم الوسائل للاستقامة والثبات على العقيدة، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ^(٤).

وتدبر القرآن وتفهم آياته هو المقصود من القراءة، ليفهم العبد معاني الآيات ويفقه ما فيها من الأوامر والنواهي، وقد ذكر ابن القيم: «أن الإعراض عن تدبر القرآن وتفهم معانيه ومعرفة مراد المتكلم منه نوع من أنواع هجر القرآن الكريم وقد نهى الله عز وجل عن ذلك^(٥) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٥)».

ومما يعين العبد على تدبر القرآن حسن الانصات والاستماع إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنْصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٦).

(١) سورة ص، الآية [٢٩].

(٢) سورة النساء، الآية [٨٢].

(٣) سورة التكوين، الآيات [٢٨-٢٩].

(٤) انظر الفوائد، (ص ٩٤).

(٥) سورة الفرقان، الآية [٣٠].

(٦) سورة الأعراف، الآية [٢٠٤].

ولابد أن يكون ذلك الاستماع والإنصات بقلب حاضر واع، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١).

فتلاوة القرآن بالتدبر من أقوى عوامل زيادة الإيمان وثباته في القلب كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٣).

وأما إذا أعرض العبد عن القرآن وانصرف عنه صرف الله قلبه عن الإيمان والهدى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٤)، لذا أمر الله تعالى بتدبر القرآن في قوله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٥). قال الحافظ ابن كثير: «فهو أمر من الله تعالى لعباده بتدبر القرآن ونهي عن الإعراض عنه»^(٦).

كما أن تدبر القرآن وتفهمه حصن منيع ضد كل ما يقدر في العقيدة وما يثار حولها من شبهات وأباطيل بما فيه من حجج دامغة وأدلة قاطعة ضد افتراءات أعداء الإسلام^(٧).

(١) سورة ق، الآية [٣٧].

(٢) سورة الأنفال، الآية [٢٢].

(٣) سورة التوبة، الآية [١٢٤].

(٤) سورة: التوبة، الآية [١٢٧].

(٥) سورة محمد، الآية [٢٤].

(٦) تفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ١٥٩).

(٧) وسائل الثبات على دين الله، محمد المنجد، (ص ٩).

رابعاً: دراسة سير الأنبياء والصالحين والافتداء بهم:

إن دراسة سير الأنبياء والصالحين، والوقوف على ما فيها من المواقف والابتلاءات والصبر والثبات، مما يعين المسلم على ثبات قلبه وزيادة صبره ويقينه وتمسكه بدينه، وصدق الله تعالى، إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، ولا شك أنها عبرة تزيد الإيمان واليقين في النفوس.

كما أن هذه القصص والمواقف والابتلاءات تسليّة للمؤمنين وتثبيت لهم، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٢) يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور^(٣) في تفسيره: «وتثبيت فؤاد الرسول ﷺ زيادة يقينه ومعلوماته بما وعد الله، لأن كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أمهم معهم يزيده تذكراً وعلماً بأن حاله جار على سنن الأنبياء، ويزيده تذكراً بأن عاقبته النصر على أعدائه، وتجدد تسليته على ما يلقاه من قومه من التكذيب، وذلك يزيده صبراً والصبر تثبيت الفؤاد»^(٤).

فدراسة سير الأنبياء والصالحين تغذي القلوب والعقول بالإيمان والثبات، وتوقظ العواطف والهمم للنهوض، وتجعل المسلم يراجع يقينه ويستصغر عمله

(١) سورة يوسف، الآية [١١١].

(٢) سورة هود، الآية [١٢٠].

(٣) هو المعروف بشيخ الإسلام المالكي بتونس، تولى التدريس بالزيتونة، ورئاسة القضاء، والإفتاء العام، اشتهر بتفسيره التحرير والتنوير، وكتابته مقاصد الشريعة الإسلامية، توفي بتونس سنة ١٣٨٤ هـ.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، محمد بن عاشور، (ج ٦، ص ١٩٢).

ويحتقر نفسه فترتفع همته وتطمح روحه وتتحرك عزيمته للاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(١).

خامساً: الاستماع إلى المواعظ والانتفاع بها:

لقد حث جل وعلا على التذكير والوعظ لماله من أثر عظيم ونفع كبير في استقامة السلوك وزيادة الإيمان والبعد عن المعاصي والآثام، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٣).

فالاستماع إلى المواعظ والانتفاع بها من وسائل الثبات على الاستقامة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾^(٤).
وخير المواعظ كلام الله تعالى وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٥).

وقد وصف الله جل وعلا كتابه الكريم بأنه موعظة لما اشتمل عليه من المواعظ التي ترقق القلب وتزيد في إيمانه وبقينه وثباته، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّهُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) قال

(١) سورة الأنعام، الآية [٩٠].

(٢) سورة الذاريات، الآية [٥٥].

(٣) سورة النساء، الآية [٦٣].

(٤) سورة النساء، الآية [٦٦].

(٥) سورة النساء، الآية [٥٨].

(٦) سورة يونس، الآية [٥٧].

ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «أي زاجرة عن الفواحش، وشافية لما في الصدور من الشبه والشكوك وإزالة ما فيها من رجس وذنس»^(١).

وكان النبي ﷺ يعظ الصحابة ويذكرهم ويتخولهم بالموعظة مع إيمانهم الراسخ وعملهم الصالح، ففي الحديث عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: (وعظنا موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها الدموع)^(٢).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتأثرون بالمواعظ وينتفعون بها، ففي حديث حنظلة رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر. فقال: (كيف أنت يا حنظلة؟ قال. قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا نراها رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات فنسينا كثيراً)^(٣).

قال الإمام النووي تعليقاً على قوله: (نافق حنظلة): معناه أنه خاف على نفسه النفاق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس رسول الله ﷺ عندما يحدثهم عن الجنة والنار فيظهر على حنظلة الخوف والخشية مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج من مجلس رسول الله ﷺ اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا^(٤).

وهذا مما يدل على أثر المواعظ على القلوب وأنها تجدد الإيمان وتزيد من خشية الله تعالى. فالإيمان يخلق ولا بد أن يجدد بالمواعظ، والقلب يقسو ولا بد

(١) تفسير القرآن العظيم، (ج ٢، ص ٣٦٣).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٣٢٩، ج ١، ص ١٧٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٧٥٠، ج ٤، ص ٢١٠٦).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (ج ١٧، ص ٦٦).

أن يرقق بالذكرى. فالمواعظ دافع قوي لحماية الإيمان من الضعف والفتور، وصيانة للعقيدة من الانهيار.

الفرع الثالث: أثر العقيدة في الوقاية من الانتكاسة:

إن رسوخ العقيدة الإيمانية في القلوب له أكبر الأثر وأعظم النفع في استقامة الأفراد والتزامهم بمنهج الشرع القويم، فبصلاحها واستقامتها صلاح القلب واستقامته قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾^(١). قال الزمخشري: «أي يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير»^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٣) قال الإمام الطبري: «أي يرشدهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة»^(٤). وقال ابن حبان: «أي يزيد في هداهم بسبب إيمانهم السابق وتثبيتهم»^(٥).

فإذا استقر الإيمان في القلب كان ذلك سبباً في صلاحه وهدايته، وفي ذلك يقول ابن رجب: «لا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبه وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه وتمتلى من ذلك، هذا هو حقيقة التوحيد، وهو معنى لا إله إلا الله، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تعرفه وتحبه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له»^(٦).

(١) سورة التغابن، الآية [١١].

(٢) الكشف، (ج ٤، ص ٥٥٠).

(٣) سورة يونس، الآية [٩].

(٤) جامع البيان، (ج ٧، ص ٦٣).

(٥) البحر المحيط، ابن حبان، (ج ٥، ص ١٢٧).

(٦) جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب، (ج ١، ص ٤٢).

ومتى صحت هذه العقيدة واستقرت صلحت القلوب، وإذا صلح القلب صلحت الجوارح واستقامت على منهج الشرع كما بين ذلك النبي ﷺ في قوله: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب)^(١).

وصلاح القلوب بقدر ما فيها من الإيمان، فإيمان المرء بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بما فيه من القبر والبعث والجزاء كفيل بأن يملأ قلبه خشية وهيبة من الله تعالى، وهذا من أركان العقيدة الإيمانية، وإنكارها كفر صريح إذ لا يبقى للإيمان كله معنى مادام المرء يعتقد أنه لا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار بل إن تطبيق العبادات الإسلامية والأخلاق الدينية التي كلف بها العباد إنما يتوقف على وجود الجزاء والعقاب، وإلا فالمؤمنون والكافرون يكونون كلهم سواء، وهذا ما نفاه الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَنَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢) حينها لا يبقى للعقيدة أثر في توجيه الإنسان نحو الخير والصلاح.

وقد أبرز القرآن عقيدة البعث والإيمان باليوم الآخر وصور مواقف ومشاهد يوم القيامة أروع تصوير، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٢، ج ١، ص ٢٨).

(٢) سورة الجاثية، الآية [٢١].

(٣) سورة المجادلة، الآية [٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾^(١).

ويصور مشاهد يوم القيامة في سورة الانفطار فيقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾﴾.

كما أثبت القرآن وجود حياة برزخية تبدأ بعد الموت وتنتهي عند قيام الساعة وأن روح الإنسان بعد موته تتعذب وتتألم أو ترتاح وتطمئن حسب إيمانه وعمله في الدنيا^(٢). قال تعالى: ﴿الْأَنَارُ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٤).

وقال ﷺ: (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)^(٥). فإذا اعتقد الإنسان هذا الاعتقاد، وآمن بهذه الآيات، وأيقن بما فيها من حقائق وعظائم ورسخ كل ذلك في نفسه امتلاً لقلبه خشية ورجاء من الواحد القهار، فكان هذا الخوف، وذلك الرجاء وسيلة لتقوى الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٢﴾﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة ؓ المشتمل على بيان السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله)^(٦).

(١) سورة سبأ، الآية [٣١].

(٢) سورة الانفطار، الآيات [١-٤].

(٣) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، أكرم ضياء، (ص ١٢٥-١٣٠).

(٤) سورة غافر، الآية [٤٦].

(٥) رواه الترمذي في سننه (رقم ٢٤٦٠، ج ٤، ص ٦٣٩). وقال: حسن غريب.

(٦) سورة النازعات، الآيات [٤١-٤٠].

(٧) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٤٢١، ج ٦، ص ٢٤٩٦).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(١). فالإيمان بمنزلة السماء محفوظة مرفوعة، ومن ترك الإيمان كان بمنزلة الساقط من السماء عرضة للآفات والبلبات^(٢)، لأن الإيمان يحفظ العبد من الوقوع في المعاصي وهذا ما دل عليه قول النبي ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)^(٣).

فبين ﷺ في هذا الحديث أن الوقوع في المعاصي لا يمكن أن يكون في حال كمال الإيمان، وقوته، ولكن مع ضعف الإيمان يتسلط الشيطان على العبد ويوقعه في المعاصي، وإذا رسخ الإيمان في القلب أورثه قوة وثباتاً ويقظة عند مواجهة الإغراءات والوساوس الشيطانية^(٤)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٥)، معنى الآية أن المؤمن التقي إذا أحس بذنوب ومسه طائف من الشيطان فأذنب تذكر ما أوجب الله عليه فأبصر واستغفر الله تعالى واستدرك ما حصل منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة^(٦).

والإيمان يجعل للعبد نفساً لوامة تحاسبه وتراقبه وتعاتبه على ما قدم وأخر، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) سورة الحج، الآية [٣١].

(٢) تيسير الكريم الرحمن، (ج ٣، ص ٢٩٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: التدابير الواقية من المخدرات في الإسلام، فيصل بن جعفر بالي، بحث غير مطبوع، (ص ١١٢-١١٣).

(٥) سورة الأعراف، الآية [٢٠١].

(٦) تيسير الكريم الرحمن، (ج ٢، ص ١٩٠).

إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ»^(١)، يقول ابن كثير: «أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم»^(٢).

وبهذا تترى النفس، وتتهذب الطباع، وينضبط السلوك، وتخلص النفس من أمراضها التي تهدد ثباتها وتمسكها بعقيدتها، وتتحقق كمالاتها، ويصبح الإنسان ظاهره كباطنه^(٣).

المطلب الثاني

الإخلاص وأثره في الوقاية من الانتكاسة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية الإخلاص:

الإخلاص، لغة: تخليص الشيء وتمحيصه من غيره^(٤).

اصطلاحاً: إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة^(٥).

فالإخلاص هو توجه الإنسان بأعماله إلى الله تعالى للحصول على مرضاته جل وعلا فلا يلتفت إلى المخلوقين ولا ينظر إلى مدحهم أو ذمهم.

والإخلاص هو الأصل في قبول الأعمال عند الله تعالى، فهو للعمل بمنزلة الأساس للبناء وكالروح للجسد، فكما أن البنيان لا يستقر إلا على أساس

(١) سورة الحشر، الآية [١٨].

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ٢٩٩).

(٣) انظر: الصلة بالله وأثرها في النفوس، محمد العلي، (ص ١٧-١٨).

(٤) لسان العرب، (ج ٧، ص ٢٦).

(٥) تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم، (ص ٣٢٢).

سليم، فكَذَلِكَ الْعَمَلُ لَا يَصْلَحُ وَلَا يَسْتَقِرُّ إِلَّا بِإِخْلَاصٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْتَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فالأعمال لا بد لها من نية، ولا بد من الإخلاص في النية، فهي شرط لقبول العمل عند الله تعالى^(٢) قَالَ ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ)^(٣) وقوله عليه الصلاة والسلام: (إِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ) يقتضي أن يكون كل عمل بغير نية لا يجزئ^(٤). فالأخلاق والأعمال والمعاملات لا وزن لها ولا قيمة بلا نية.

وقد جاء الشرع المطهر في الحث على الإخلاص، والترغيب فيه، وبيان فضله في آيات كثيرة وأحاديث عديدة، منها قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾^(٥)، وقال جل شأنه أيضاً: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٦)، وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَغْنَىٰ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)^(٧). وذكر النبي ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، (ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)^(٨).

(١) سورة التوبة، الآية [١٠٩].

(٢) الإخلاص، حسين عواشه، [ص ٦].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١، ج ١، ص ٣).

(٤) الاستذكار، يوسف النمري، (ج ١، ص ٢٦٤).

(٥) سورة البينة، الآية [٥].

(٦) سورة الزمر، الآية [٣].

(٧) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤١٥، ج ١، ص ١٦٤).

(٨) سبق تخريجه.

والإخلاص واجب لا يسقط بحال من الأحوال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأعمال القلبية: «هي أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، والشكر لله، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وهذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق باتفاق أئمة الدين»^(١).

فأعمال القلوب أكد من أعمال الجوارح، ومعرفتها أهم من معرفة أعمال الجوارح، والأعمال إنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، ويدل على ذلك البغي التي سقت كلباً بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يُغفر لها - والله أعلم - وفي ذلك يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله: «رب عمل صغير تكثره النية ورب عمل كثير تصغره النية»^(٢).

بل إن الأعمال المباحة تتحول بالإخلاص إلى عبادة لقول النبي ﷺ: (إذا أنفق الرجل على أهله يحسبها فهو له صدقة)^(٣). فيكون المرء بفضل الإخلاص متعبداً لله في طعامه وشرابه ولباسه وبيعه وشرائه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

والمخلص يكتب له أجر ما نوى وإن لم يعمل له لقول النبي عليه السلام: (من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة)^(٥)، وقول الرسول ﷺ

(١) انظر: الفتاوى، ابن تيمية، (ج ١٠، ص ٦).

(٢) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، (ج ٦، ص ٢٢١)، والحديث رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣١٤٣، ج ٣، ص ١١٠٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٥، ج ١، ص ٣٠).

(٤) سورة الأنعام، الآية [١٦٢].

(٥) رواه البخاري، في صحيحه (رقم ٦١٢٦، ج ٥، ص ٢٣٨٠).

لأصحابه في غزوة تبوك: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم). قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: (وهم بالمدينة). فقال: (حبسهم العذر)^(١).

ومتى تجرد العمل من الإخلاص والصدق مع الله فلا قيمة له ولا ثواب بل صاحبه متعرض للوعيد الشديد كما جاء في حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لي قال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكن تعلمت لي قال عالم وقرأت القرآن لي قال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من صنوف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت، ولكنك فعلت لي قال جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)^(٢).

فهذا الحديث يبين لنا أهمية الإخلاص وأثره على الأعمال الصالحة وأن العمل إذا تجرد من الإخلاص يبطل ويرد على صاحبه ويجازى عليه يوم القيامة.

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤١٦١، ج ٤، ص ١٦١٠).

(٢) سبق تخريجه.

فالإخلاص مناط الأمر كله فليس للإيمان من حقيقة إلا ما يستقر في القلب من إخلاص^(١)، والعمل تابع له يصح بصحته ويفسد بفساده، ومتى أهمل المسلم عمل القلب عاد عليه بالضعف ولم يصل إلى الهدف الحقيقي من عبادته^(٢).

فيجب على المسلم أن يعرف أهمية الإخلاص، ويجاهد نفسه لتحقيقه، ويتقي الأسباب التي تشوش عليه إخلاصه^(٣).

وقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه الاعتصام من لوثات الرياء ليتحقق لهم صفاء القلوب وصحة الأعمال فيقول عليه الصلاة والسلام لأبي بكر رضي الله عنه: (ألا ذلك على شيء إذا فعلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم)^(٤).

الفرع الثاني: أثر الإخلاص في الوقاية من الانتكاسة:

الإخلاص له آثار عظيمة، وثمرات عديدة، فبه تقوى الصلة بين العبد وربّه، فلا يتوجه إلا لله في كل عمل وحركة وسكون فيتحرر بذلك من عبودية الشهوات والأهواء والشبهات، ويسلم من عبودية الذوات والشخصيات فيخلص القلب من كل الشوائب^(٥) كالرياء والنفاق والحسد والحقد، ويدل على ذلك حديث النبي ﷺ في حجة الوداع: (ثلاث لا يغفل عنهم قلب امرئ

(١) انظر: الإخلاص مفهومه ومجالاته، جمعة أمين، (ص ٦٧).

(٢) انظر: الإمام في أسباب ضعف الالتزام، (ص ٣٧).

(٣) الرائد، مازن الفريح، (ج ١، ص ٢٩).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، (رقم ٧١٦، ج ١، ص ٢٥٠).

(٥) انظر: الصلة بالله، (ص ٧٥-٧٠).

مؤمن، إخلاص العمل له، ومناصحة ولادة الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم^(١).

والغل هو: الحقد والشحناء، أي: لا يدخله حقد يزيله^(٢) عن الحق. وذلك لأن المخلص لا ينظر إلا لخالقه فيحقق انتصاراته على نفسه وهواه ويسلم من غواية الشيطان ووسوسته، قال الله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٣) فليس للشيطان سلطان ونفوذ على عباد الله المخلصين.

فالإخلاص وقاية وحفظ من غواية الشيطان ووسوسته، وحماية من السوء والفحشاء، فقد حفظ الله عز وجل يوسف عليه السلام بإخلاصه من الوقوع في الزنا، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٤).

كما أن الإخلاص يوقظ الضمير الديني للمرء فيكون لديه رقابة ذاتية، ومحاسبة نفسية تحفظه من الوقوع في الأخطاء والزلات، وتملأ قلبه خشية ورهبة ورغبة إلى الله فيزداد إيمانه وتنشط جوارحه في العمل لله، ويسارع إلى ما يرضاه الله^(٥)، فيصبح ظاهره كباطنه، ويعبد الله كأنه يراه فيكون ذلك سبباً لثباته وحسن خاتمته لقول النبي ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)^(٦).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٦٨٠، ج ٢، ص ٤٥٤).

(٢) الرائد، (ج ١، ص ٣٥).

(٣) سورة ص، الآيات [٨٣-٨٢].

(٤) سورة يوسف، الآية [٢٤].

(٥) الإخلاص وأثره في الدعوة، عبدالله العمودي، بحث غير مطبوع، (ص ١٣٥).

(٦) سبق تحريجه.

فالإخلاص يصلح القلب لخلوص ما فيه لله تعالى ويلزم من صلاحه صلاح الجوارح ، فإذا كان القلب صالحاً خالصاً لله تعالى وليس فيه إلا إرادة الله سارعت الجوارح إلى ما يرضاه الله وكفت عما يكره وبذلك تصلح الأعمال وتقبل ويضاعف أجرها وبالتالي تصلح حياة الفرد كلها لأنها منضبطة بمنهج الله تعالى^(١).

ومن صلحت نيته صلح عمله وقوي وأمن الضعف وأمن الفتنة في دينه ، وكان في أمان من الزيغ والانحراف^(٢).

فالخلاص أن للعقيدة أهمية عظيمة وأن رسوخها في القلب وتحقيق الإخلاص من أهم أسباب الثبات على الدين والوقاية من الانتكاسة.

(١) انظر: الصلاة بالله ، (ص ٧٠-٧٥).

(٢) الإمام في أسباب ضعف الالتزام ، (ص ١٠).

المبحث الثاني

التدابير الذاتية

التمهيد

الإنسان مركب من الجسم والروح فكما أن جسمه بحاجة إلى غذاء ينميه ويقويه ويمنحه من المناعة ما يقاوم به الأمراض فإن روحه كذلك تحتاج إلى غذاء ينميه ويقومها، وهذا الغذاء كامن في إقامة العبادات على الوجه المشروع^(١).
والعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة^(٢).

والعبادات هي البيان العملي لما استقر في النفس من عقيدة، وعلى قدر سلامة الاعتقاد وصحته تكون استقامة الإنسان على منهج الله بما يؤدي من عبادات^(٣).
والعبادة مكملة لبناء العقيدة إذ العبادة تغذي العقيدة بروحها، وهي المنعكس الذي يعكس صورة العقيدة ويجسمها.
ولكي يظل غرس العقيدة قوياً في النفس لا بد أن يسقى بماء العبادة بمختلف صورها وأشكالها فبذلك تنمو العقيدة في الفؤاد وترعرع وتثبت أمام عواصف الحياة وزخارفها^(٤).

(١) العبادات وآثارها النفسية والاجتماعية، نظام الدين عبد الحميد، (ص ٥٤).

(٢) العبودية، ابن تيمية، (ص ٥).

(٣) الصلاة، عبدالله الطيار، (ص ٣٢).

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، (ص ٢٣).

ومقصود العبادة: التقرب إلى الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ ^(٢).

واختلف الناس في مفهوم العبادة فمنهم من يراها محصورة في ركن من أركان الإسلام أو جانب من جوانبه دون أن يكون لها أثر في تكوين الأفراد وإعدادهم لمهمتهم الأساسية ، ومنهم من ينظر إليها على أنها ممارسة مستقلة بذاتها دون أن يكون لها أي تأثير على السلوك العام وتكوين الشخصية ^(٣).

والحق أن القصد من العبادة كلها التقرب لله بها ، وأما صلاح النفس وزكاة الضمير واستقامة الأخلاق فهي ثمرة لازمة من ثمرات العبادة الحقة ^(٤).

فالعبادة ليست مجرد أفعال وحركات ظاهرة ، وإنما هي تطهير للنفس وتحسين للسلوك قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ

(١) سورة الذاريات ، الآية (٥٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٧).

(٣) أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك ، أسماء فضل ، (ص ١٩-٢٠).

(٤) العبادة في الإسلام ، القرضاوي ، (ص ١١٦).

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾ قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها: «ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا» (٢).

وهذه العبادات لها مكانة كبيرة ومنزلة عظيمة عند الله جل وعلا سواء كانت فريضة، أو نافلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) (٣).

فالعبادات من الفرائض والنوافل سبب لقرب العبد من الله ومحبه له فيحفظ له بها سمعه وبصره وسائر جوارحه عن المعاصي والمنكرات (٤).

والعبادة تجعل الإنسان لا يخضع إلا للحق الذي أوصاه به الله تعالى، وتجنبه الظنون والأوهام والأباطيل، وتحول بينه وبين الوقوع في الزلل، وتفتح أمامه الطريق ليدعوره سبحانه، وهي في الوقت نفسه تذكير بالله تعالى يعمر القلب بمعرفة الله وعظمته، وتوجه النفس إلى البر والخير وتكفها عن الإثم والشر، ومن ثم كانت العبادة ركناً أساسياً في بناء الشخصية المتكاملة التي يريد الله عز وجل وكانت قياماً للمجتمع الصالح وهي الغاية من وجود الحياة البشرية (٥)،

(١) سورة البقرة، الآية [١٧٧].

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج ١، ص ١٨٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦١٣٧، ج ٥، ص ٢٣٨٤).

(٤) فتح الباري، (ج ١١، ص ٣٤٤).

(٥) الصلة بالله، (ص ٥٨).

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

وستتحدث في هذا المبحث عن بعض العبادات وأثرها في الوقاية من الانتكاسة من خلال ما يأتي من المطالب:

المطلب الأول

الصلاة وأثرها في الوقاية من الانتكاسة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية الصلاة:

الصلاة لغة: الدعاء^(٢) واصطلاحاً هي: أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة^(٣)، وللصلاة مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به قال ﷺ: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)^(٤)، والصلاة من أهم الأعمال وأفضلها عند الله تعالى، وحينما سئل النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة لوقتها)^(٥). فهي عماد الدين وركنه العظيم، وقد أمر الله عباده بإقامتها في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ

(١) سورة الذاريات، الآية [٥٦].

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي، (ص ١٥٤).

(٣) التعريفات، (ص ١٧٥).

(٤) رواه الترمذي في سننه (رقم ٢٦١٦، ج ٥، ص ١١). وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٨٥، ج ١، ص ٨٩٠).

(٦) سورة النور، الآية [٥٦].

وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا^(١)، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا^(٢)﴾.

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر^(٣)، وهي الفارق بين المسلم والكافر، قال ﷺ: (بين الرجل وبين الشرك - أو الكفر - ترك الصلاة)^(٤).

الفرع الثاني: أثر الصلاة في الوقاية من الانتكاسة:

الصلاة صلة بين العبد وربّه، فهي تذكره بالله وأوامره ونواهيه، فإن أداها على الوجه المطلوب حفظته من الفواحش والمنكرات، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ^(٥)﴾.

قال القرطبي: «المراد بإقامة الصلاة آداؤها، والقيام بمحدودها، ثم أخبر حكماً أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لما فيها من تلاوة القرآن المشتملة على الموعظة.

والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه، وخشع لربه وذكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه صلحت نفسه وتذلت وخامرها

(١) سورة الإسراء، الآية [١٧٨].

(٢) سورة طه، الآية [١٣٢].

(٣) رواه الترمذي في سننه (رقم ٤١٣، ج ٢، ص ٢٦٩) وقال: حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ج ١، ص ١٣٠).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٨٢، ج ١، ص ٨٨).

(٥) سورة العنكبوت، الآية [٤٥].

ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكذب يفتتر عن ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله»^(١).

والإقبال على الله في الصلاة ومناجاته تكسب العبد صفاء النفس ويقظة المشاعر حيث تظل آثارها في نفسه^(٢) فتتهاء عن الفواحش والمنكرات.

كما أن لصلاة الليل أثر عظيم في القرب من الله والبعد عن الآثام وتكفير للسيئات، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد)^(٣).

لأن في هجر الفراش ومقاومة النوم ومألوفات النفس تربيتها على المجاهدة وتحررها من الخضوع لأهوائها^(٤).

ومن تأمل الواقع وجد أن المصلين هم أبعد الناس عن مقارفة الجرائم والآثام، لأن الصلاة تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا، قال الله تعالى: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٥)، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(٦)، فالعبد إذا اتصل بالله وأدرك أنه لا قوة أمام قوة الله وأنه لا راد لقدره ولا مانع لعطائه سكن قلبه ورضي بقضائه وقدره وهانت مصيبيته واندفع بلاؤه، فالإنسان خلق هلوغاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن، (ج ١٣، ص ٣٤٨).

(٢) انظر: العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية، (ص ٥٥).

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه (رقم ١١٣٥، ج ٢، ص ١٧٦).

(٤) انظر: التربية الروحية والاجتماعية، (ص ٤١).

(٥) سورة البقرة، الآية [١٥٣].

(٦) انظر: رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ١٤٥٥، ج ٤، ص ٣٠٦).

أَلْشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَمْرُ مَنُوعًا ﴿٢﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٣﴾^(١) فاستثنى الله المصلين ؛ لأن المصلي ارتفع بصلاته عن الدنيا وما فيها ، فهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، فلا يكثرث المؤمن لها ولا يجزع من أجلها ولا تكون سبباً لتسخطه على أقدار الله ، فيسلم من القلق والاضطراب اللذين يفتكان بالمجتمعات التي لا تهتم بالصلاة ، إذ تكثر فيها الأمراض النفسية والانتحار بسبب ضعف الإيمان وقلة الاتصال بالله.

كما أن الصلاة تطهر المؤمن وتمحو عنه الذنوب التي تثقله وتمنعه من الأعمال الصالحة ، كما بين ذلك النبي ﷺ حيث يقول : (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ، ما تقول في ذلك هل يبقى من درنه ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)^(٢).

فالصلاة تطهر قلب المؤمن من الأمراض ، وتحفظ جوارحه من المعاصي ، وتذهب الآثام عنه وبذلك تكون وقاية له من الانتكاسة.

المطلب الثاني

الصوم وأثره في الانتكاسة

وفيه فرعان :

الفرع الأول : أهمية الصوم :

الصوم لغة : الإمساك^(٣) . وهو عبارة عن إمساك مخصوص ، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية^(٤).

(١) سورة المعارج ، الآيات ١٩-٢٠-٢١-٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٠٥ ، ج ١ ، ص ١٩٧).

(٣) لسان العرب ، (ج ١ ، ص ١٥٦).

(٤) التعريفات ، (ص ١٧٨).

والصوم ركن من أركان الإسلام الخمسة، وهو من الأعمال الفاضلة ومن العبادات الجليلة التي فرضها الله تعالى في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) وبين الله فضله وحث عليه في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

كما بين النبي ﷺ فضل الصوم في أحاديث كثيرة منها: (من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً)^(٣).

وقال ﷺ: (إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)^(٤).

وللصوم فضيلة ليست لغيره وهي إضافته لله تعالى كما روى النبي ﷺ في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)^(٥).

الفرع الثاني: أثر الصوم في الوقاية من الانتكاسة:

الصوم له منافع كثيرة وآثار عظيمة على المسلم، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦)

(١) سورة البقرة، الآية [١٨٣].

(٢) سورة البقرة، الآية [١٨٤].

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٦٨٥، ج ٣، ص ١٠٤٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٧٩٧، ج ٢، ص ٦٧١).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (رقم ١١٥١، ج ٢، ص ٨٠٧).

(٦) سورة البقرة، الآية [١٨٣].

فالتقوى ثمرة من ثمرات الصيام، قال الحافظ ابن كثير في هذه الآية: «يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين في هذه الآية وأمرأ لهم بالصيام لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة»^(١).

والصوم يربي المؤمن على الإخلاص والصدق؛ لأن الصيام سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه غيره فلا يدخله رياء.

وفيه كسر للنفس، لأن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة فتقسي القلب وتعميه وتستدعي غفلته، وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقة ويزيل قسوته^(٢).

فالصوم جنة ووقاية من الوقوع في المعاصي، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (الصيام جنة فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل وإن امرؤ قاتله وشاتمه فليقل إنني صائم)^(٣)، فهذه ثمرة الصيام لذلك قال النبي ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)^(٤).

فليس الصوم مجرد إمساك عن الأكل والشرب بل هو التزام التقوى، وإذا لم يجتنب الصائم المحرمات لم ينتفع بصومه وليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

ومن آثار الصوم أيضاً أنه يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من بني آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر سورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم وجاء

(١) تفسير القرآن العظيم، (ج ١، ص ١٨٧).

(٢) وظائف رمضان، عبدالرحمن بن قاسم، (ص ١٨-١٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٧٩٥، ج ٢، ص ٦٧٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٨٠٤، ج ٢، ص ٦٧٣).

لقطعه شهوة النكاح^(١) في قوله ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «ومقتضاه أن الصوم قانع لشهوة النكاح»^(٣). فالصوم فيه حفظ للمسلم من فتنة الزنا ودواعيها.

ويقول ابن القيم: «المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وطمأنتها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية، لتسعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها وقبول ما تزكوه بما فيه حياتها الأبدية»^(٤).

والصوم وسيلة قوية لترويض الإرادة على الصمود أمام نوازع الشهوات ودوافع الهوى ومغريات الحياة، فهو أداة لتعويد المسلم على الصبر وتحمل المشاق واستسهال الصعوبات، فما أكثر من ترك التدخين عقب صيام شهر رمضان بالرغم من إدمانهم عليه واعتقادهم استحالة التخلص من شره.

وقد وضع بعض أساتذة الغرب كتاباً في تقوية الإرادة، وجعل أساسه الصوم، وذهب فيه إلى أنه هو الوسيلة الفعالة لغلبة سلطان الروح على الجسد، فيعيش الإنسان مالكاً زمام نفسه لا أسير ميوله المادية^(٥). فالصوم عملية ضبط للنفس والخلق عن الشهوات والمعاصي فيكون سياجاً منيعاً وحصناً قوياً من الوقوع في الانتكاسة.

(١) وظائف رمضان، (٢٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤٧٧٩، ج ٥، ص ١٩٥٠).

(٣) فتح الباري، (ج ٤، ص ١١٩).

(٤) انظر: مختصر زاد المعاد، ابن القيم، (ص ٦٣).

(٥) العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية، (ص ٨٨).

المطلب الثالث

الدعاء وأثره في الوقاية من الانتكاسة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية الدعاء:

الدعاء لغة: من مصدر الفعل دعا، يقال دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته^(١).

والدعاء شرعاً: هو الطلب^(٢) والرغبة إلى الله^(٣).

وقال الإمام الخطابي^(٤): «هو استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده إياه المعونة».

وحقيقة الدعاء: إظهار الافتقار إلى الله، والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سمة العبودية وإظهار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله تعالى وإضافة الجود والكرم إليه^(٥).

(١) لسان العرب، (ج ١٤، ص ٢٥٨).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص ٣٢).

(٣) لسان العرب، (ج ١٤، ص ٢٥٧).

(٤) الإمام الحافظ اللغوي أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضعة عشرة وثلاث مائة، ومن أشهر مصنفاته، شرح البخاري، وشرح سنن أبي داود، وغريب الحديث، توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثة مائة للهجرة.

انظر: سير أعلام النبلاء (ج ١٧، ص ٢٧).

(٥) شأن الدعاء، الخطابي، (ص ٣).

والدعاء يعني السؤال ^(١) كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ^(٢).

والدعاء من أعظم العبادات وأنفعها، وهو يوثق الصلة بين العبد وربّه في سائر الأوقات خلافاً للعبادات الأخرى المحددة بأوقات مخصوصة، والتي تحتاج إلى جهد مادي أو بدني، وهو من أيسر العبادات إذا اعتاد عليه الإنسان ^(٣).

وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات الدالة على فضله والحث عليه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ^(٤)، وقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ^(٥)، وقال أيضاً: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ قَضَرًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ^(٦).

كما جاءت السنة ببيان فضله وآدابه وشروطه ^(٧) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء) ^(٨)، بل أخبر النبي ﷺ: (أن الدعاء

(١) العناية بأحوال الهداية، (ص ٥٠).

(٢) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، (ص ٩٦).

(٤) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٥) سورة البقرة، الآية [١٨٦].

(٦) سورة الأعراف، الآية [٥٥].

(٧) انظر: الدعاء، حمد الحمد، (ص ٥٢، ٢٦).

(٨) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٨٧٠، ج ٣، ص ١٥١).

هو العبادة^(١)، قال الخطابي معناه: «أنه معظم العبادة وأفضل العبادة كقول الرسول ﷺ: (الحج عرفة)^(٢) يريد أن معظم الحج الوقوف بعرفة»^(٣). والدعاء من العبادات المستحبة كما قال النووي: «اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب»^(٤).

الفرع الثاني: أثر الدعاء في الوقاية من الانتكاسة:

الدعاء من أعظم الأسباب أثراً في حصول الخيرات، ومن أقواها نفعاً في دفع النازل من المصائب والابتلاءات، فهو سبب لدفع البلاء قبل نزوله كما قال الرسول ﷺ: (لا يرد القدر إلا الدعاء)^(٥).

قال الشوكاني عن هذا الحديث: «فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة على عبده قضاءً مقيداً بأنه لا يدعوه فإذا دعاه اندفع عنه»^(٦).

وهو أيضاً سبب لرفع البلاء بعد نزوله، كما قال النبي ﷺ: (والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل)^(٧)، وهذا تفنيد لشبهة من يقول ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٨٩٠، ج ٣، ص ١٧٢).

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (رقم ٢٨٢٢، ج ٤، ص ٢٥٧).

(٣) شأن الدعاء، (ص ٥).

(٤) الأذكار، النووي، (ص ٣٤٣).

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ١٨١٤، ج ١، ص ٦٧٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٦) تحفة الذاكرين، الشوكاني، (ص ٢١).

(٧) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ١٨١٥، ج ١، ص ٦٧٠)، وقال الترمذي: حديث غريب.

ويقول ابن القيم في ذلك: «الدعاء من أقوى الأسباب، فإذا قدر وقوع المدعوبه بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء كما لا يقال: لا فائدة من الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب»^(١)، ويكفي في هذا ما ورد من الآيات الدالة على أثر الدعاء وفائدته في حصول المطلوب، قال الله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٢) فأجاب الله دعاءه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى عن ذي النون عليه السلام: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَجَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ^(٥).

وقال تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٦) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ^(٧).

فالدعاء من أقوى الأسباب وأنفعها في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عن المرء أثره، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله

(١) الجواب الكافي، (ص ١٤٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية [٣٨].

(٣) سورة آل عمران، الآية [٣٩].

(٤) سورة الأنبياء، الآية [٨٨٨٧].

(٥) سورة الأنبياء، الآية [٨٤٨٣].

لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله عز وجل، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم وريث الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو، وإما لعدم توفر شروط الدعاء المستجاب^(١).

ولا شك أن من أعظم ما ينزل من البلاء والمصائب على العبد بعده عن الهداية ووقوعه في الغواية والانتكاسة، والدعاء وسيلة نافعة في حصول هذه الهداية وتيسيرها للعبد، كما قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢).

قال الإمام القرطبي: «أي دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تحقيق هذه الآية: «كل عبد مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، وهو هداية الصراط المستقيم، فإنه لا نجاة من العذاب إلا بهذه الهداية ولا وصول إلى السعادة إلا به فمن فاته هذا الهدى فهو إما من المغضوب عليهم وإما من الضالين، وهذا الاهتداء لا يحصل إلا بهدى الله^(٤) القائل: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾»^(٥).

وفي الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)^(٦).

(١) الجواب الكافي، (ص ٣٥٠-٢٢).

(٢) سورة الفاتحة، الآية [٦].

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (ج ١، ص ١٤٧).

(٤) محاسن التأويل، (ج ٢، ص ٢٢).

(٥) سورة الكهف، الآية [١٧].

(٦) رواه مسلم في صحيحه (ج ٤، ص ١٩٩٤).

وكذا كان النبي ﷺ وهو إمام المهتدين يسأل ربه الهدى ويقول: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى)^(١) وهذا يدل على أثر الدعاء ونفعه في تحقيق الهداية للعبد.

كما يحتاج العبد الدعاء دائماً للثبات على هذه الهداية كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَلْوَهَابُ﴾^(٢).

وكذا كان النبي ﷺ يقول: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)^(٣)، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

المطلب الرابع

الذكر وأثره في الوقاية من الانتكاسة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية الذكر:

الذكر من أيسر العبادات وأجلها وأفضلها وقد أمر الله به في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَكْثَرُ الْكَاذِبِينَ﴾^(٦) وفي الحديث عن أبي هريرة ؓ

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٧٢١)، ج ٤، ص ٢٠٨٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية [٨].

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (ج ١، ص ٧٠٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

(٤) سورة البقرة، الآية [١٥٢].

(٥) سورة الأحزاب، الآية [٤١].

(٦) سورة الأحزاب، الآية [٣٥].

قال: قال رسول الله ﷺ: (سبق المفردون). قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرين الله كثيراً والذاكرات)^(١)، وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)^(٢)، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)^(٣).

فليس هناك بعد تلاوة القرآن الكريم عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى.

والذكر باللسان مشروع في سائر الأوقات، وإن كان يتأكد في بعضها، وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية^(٤).

الفرع الثاني: أثر الذكر في الوقاية من الانتكاسة:

الذكر يصل العبد بربه في جميع أحيانه وأحواله، ويطيقه الكبير والصغير والصحيح والمريض، وهو يكفل دوام الصلة القلبية بالله عز وجل ويمنع قساوة القلب ويزيل ما يعتريه من الغفلة التي نهى الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٥)؛ لأن الغفلة من أمراض القلوب التي تفسد الفطرة وتؤدي إلى الهلاك، ولا شيء

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٦٧٦، ج ٤، ص ٢٠٦٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٠٤٤، ج ٥، ص ٢٣٥٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٩٧٠، ج ٦، ص ٢٦٩٤).

(٤) الفوائد، ابن القيم: (ص ٢١٣).

(٥) سورة الأعراف، الآية [٢٠٥].

يزيل الغفلة عن القلب ويحيي فيه اليقظة التي تجعل الإنسان في حركة ونشاط مثل دوام ذكر الله تعالى، فتحل خشية الله ومخافته في القلب، فإذا هم بظلم أو معصية فذكر الله تراجع عنها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(١).

والذكر يلين القلب ويملؤه بالتواضع والسكون والطمأنينة والخشوع^(٢)، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(٤).

والقلب يصدأ بالذنوب والغفلة، وجلاؤه بالذكر والاستغفار، ولهذا قال الإمام ابن القيم: «الذكر قوة قلوب القوم وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها»^(٥).

والذكر يزيل الوحشة بين العبد وربّه تبارك وتعالى، فالغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر، وهو سبب لانشغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل بكل أنواعه، ويورث العبد المراقبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل.

(١) سورة الأنفال، الآية [٢٤].

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، (ص ٨٨٨٧).

(٣) سورة الرعد، الآية [٢٨].

(٤) سورة الحديد الآية [١٦].

(٥) صقالها: من الصقل وهو الجلاء، أي جلاؤها. انظر: لسان العرب، (ج ١١، ص ٣٨٠).

ومن أعظم فوائد الذكر وآثاره أنه حصن منيع ضد الشيطان ؛ لأن الذكر يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره ، فهو حرز من الشيطان لقول النبي ﷺ : (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له بها مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي)^(١).

ودوام ذكر الله عز وجل أمان من النسيان الذي هو سبب لشقاء العبد في معاشه ومعاذه ، فإن نسيان الرب سبحانه يوجب نسيان النفس ومصالحتها^(٢) ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) . والذكر زيادة للإيمان ، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه : (هلموا نردد إيماناً ، فيذكرون الله تعالى)^(٤).

فالذكر له أثر عظيم في زيادة الإيمان ، والثبات عليه ، وحفظ دين المسلم ودنياه ، لذا فإن من الأذكار التي كان يحافظ عليها النبي ﷺ حين يصبح وحين يمسي قوله^(٥) : (اللهم اني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي)^(٦).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٠٤٠ ، ج ٥ ، ص ٢٣٥١).

(٢) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ابن القيم ، (ص ٥٤٠-٤٨).

(٣) سورة الحشر ، الآية [١٩].

(٤) حاشية ابن القيم ، ابن القيم ، (ج ١٢ ، ص ٢٩٢).

(٥) الأذكار ، النووي ، (ص ٧٤).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٩٦١ ، ج ٣ ، ص ٢٤١).

وهذا الدعاء من جوامع الكلم التي تجمع بين خيري الدنيا والآخرة وتقتضي سلامة الدين والدنيا.

والذكر من أعظم ما يثبت الله به المسلم، فقد أمر الله به المجاهدين وهم في أشد الوقت بلاء وفتنة في ساحة القتال فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

فهذه الآية أصل في أن الذكر من وسائل الثبات على الدين في أوقات الفتن ومن أعظم مقويات الإيمان^(٢)، وهو من أسباب النصر على الأعداء. قال الشيخ السعدي في هذه الآية: «أي اثبتوا واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكثيرة التي عاقبتها العز والنصر واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر الله»^(٣).

فالخاص أن العبادات البدنية من صلاة وصيام ودعاء وذكر، لها أثر عظيم في زيادة الإيمان وهي حفظ للمسلم ووقاية من الوقوع في الانتكاسة.

(١) سورة الأنفال، الآية [٤٥].

(٢) رسالة إلى مذهب، أبو الحسن محمد الفقيه، (ص ٢٩-٣٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، (ج ٢، ص ٢١٦-٢١٧).

المبحث الثالث

التدابير الذاتية المتعلقة بالأخلاق والآداب

المطلب الأول

العلم وأثره في الوقاية من الانتكاسة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية العلم:

إن من أفضل الأعمال الصالحة بعد الفرائض وأجلها قدراً وأرفعها منزلة عند الله تعالى طلب العلم الشرعي، ففضل العلم خير من فضل نوافل العبادة؛ لأن العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه ونوافل العبادة يخص نفعها صاحبها^(١).

ولقد جاء القرآن بآيات عديدة تدل على فضل العلم وشرفه، منها قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

فقد أخبر سبحانه في هذه الآية عن رفع درجات أهل العلم والإيمان خاصة، كما نفى التسوية بين أهل العلم وغيرهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣) وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم.

(١) العلم والعلماء، عليم الدين الندياوي، (ص ٧).

(٢) سورة المجادلة، الآية [١١].

(٣) سورة الزمر، الآية [٩].

واستشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده سبحانه فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) وهذا يدل أيضاً على فضل العلم وأهله.

وفي الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر بأن الفقه في الدين هو الفهم في الأحكام الشرعية، وفي الحديث بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس وفضل التفقه في الدين على سائر العلوم^(٣).

وقال أيضاً ﷺ: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)^(٤)، أي بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة^(٥).

ولشرفهم وفضلهم ومنزلتهم عند الله قال عليه الصلاة والسلام عن العلماء: (إن الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وأورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)^(٦).

(١) سورة آل عمران، الآية [١١٨].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٧١، ج ١، ص ٣٩).

(٣) فتح الباري، (ج ١، ص ١٦١ - ١٦٥).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٨٤، ج ١، ص ٢٨٤).

(٥) فتح الباري، (ج ١، ص ١٦٠).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٨٨، ج ١، ص ٢٧٩).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (تعلموا العلم، فإن تعلمه الله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرية، وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة) ^(١).

وقال الإمام الشافعي: «ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم» ^(٢). ولما كان للعلم هذا الشرف العظيم أمر سبحانه وتعالى نبيه أن يسأله مزيداً من العلم، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ^(٣).

والعلم تبقى فائدته ونفعه بعد الموت ^(٤) لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ^(٥).

ففي الحديث بيان فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه والترغيب في توريثه بالتصنيف والإيضاح، وأن المرء ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع ^(٦).

والعلم ليس بمقدار ما يحفظه المرء من المسائل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فتبين أن مجرد بقاء حفظ الكتاب لا يوجب هذا العلم لا سيما فإن القرآن يقرأه الأمي الذي لا يعلم الكتاب إلا أماني»، وقد قال الحسن البصري: «العلم

(١) مختصر منهاج القاصدين، (ص ١٩).

(٢) العلم فضله وشرفه، ابن القيم، (ص ١٣٥).

(٣) سورة طه، الآية [١١٤].

(٤) العلم والعلماء، (ص ٧).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٣٠١٦، ج ٧، ص ٢٨٦).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، (ج ١١، ص ٨٥).

علمان: علم في القلب، وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على عباده^(١).

وقال الإمام ابن القيم: «أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه^(٢) في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾^(٣).

قال الإمام الطبري: «الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله وكتابه»^(٤).

الفرع الثاني: أثر العلم في الوقاية من الانتكاسة:

للعلم أثر عظيم في زيادة الإيمان وصحة الأعمال، فبالعلم يعرف العبد ربه ويوحده، وبه يعرف الحلال والحرام ويصل الأرحام، فهو إمام العمل والعمل تابع له^(٥).

والعلم من أقوى المثبتات على الدين^(٦). قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٧).

(١) الفتاوى لابن تيمية، (ج ١٨، ص ٣٠٤).

(٢) الفوائد، (ص ١١٧).

(٣) سورة الروم، الآية [٥٦].

(٤) جامع البيان، (ج ٢١، ص ٥٧).

(٥) العلم والعلماء، (ص ٧).

(٦) الإمام في أسباب ضعف الالتزام، (ص ٢٢٥).

(٧) سورة فاطر، الآية [٢٨].

قال ابن كثير: «أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى أتم كان الخشية له أعظم»^(١).

فأهل العلم هم أهل خشيته، وكلما كان العبد بالله أعرف وأعلم كان الله أتقى وأخشى.

قال الحسن البصري: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في بصره وتخشعه ولسانه ويده وصلاته وزهده»^(٢).

وهذا من أجل وأعظم آثار وثمرات العلم على العبد، وأهل العلم هم المنتفعون بما في كتاب الله من الأمثال قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٣).

قال ابن كثير في معنى الآية: «أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه»^(٤).

وهذا الأمر يزيد من إيمانهم ويقينهم بالله دون غيرهم من الجهلة، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾^(٥).

(١) تفسير القرآن العظيم، (٣، ص ٤٧٢)

(٢) رواه الدارمي في سننه (رقم ٣٨٥، ج ١، ص ١١٨). وقال الشيخ حسين أسد: إسناده صحيح.

(٣) سورة العنكبوت، الآية [٤٤٣].

(٤) تفسير القرآن العظيم، (ج ٣، ص ٣٥٥).

(٥) سورة الإسراء، الآيات [١٠٧، ١٠٨، ١٠٩].

كما أن طلب العلم من أفضل الحسنات والحسنات يذهبن السيئات فجدير أن يكون طلب العلم ابتغاء وجه الله مكفراً ما مضى من السيئات.

والعلم دواء الأمراض القلبية ؛ لأن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه ، إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته ، وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات ، وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل ، ودواؤها العلم ، كما قال النبي ﷺ في حديث صاحب الشجة الذي أفتوه بالغسل فمات : (قتلوه قتلهم الله ألم يكن شفاء العي^(١) السؤال^(٢)) ، فجعل العي - وهو في القلب - عن العلم مرضاً وجعل شفاء سؤال العلماء.

وأمرض القلوب أصعب من أمراض الأبدان ، لأن غاية مرض البدن أن يفضي بصاحبه إلى الموت ، أما مرض القلب فيفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي ، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم ، ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لأمرض الصدور وقال تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّهُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

كما أن العلم سبيل للنجاة من طرق ومكائد الشيطان ، فالله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدواً عالماً بطرق هلاكه وأسباب الشر التي يلقيه فيها متفنناً فيها خبيراً بها حريصاً عليها لا يفتر عنه يقظة ولا مناماً^(٤) ولا يمكن للإنسان أن يحترز من هذه الأمور ، وينجو منها إلا بالعلم ، ولذلك كان الفقيه أشد على

(١) العي : الجهل ، انظر : لسان العرب ، (ج ١٥ ، ص ١١٣).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٣٦٠ ، ج ١ ، ص ٢٨٥). وحسنه الألباني

(٣) سورة يونس ، الآية [٥٧].

(٤) العلم فضله وشرفه ، (ص ١٢٠).

الشیطان من ألف عابد، لأن الفقيه لا يقبل إغواءه، ويأمر الناس بالخير على ضد ما يأمرهم به الشیطان من الشر، وقد جاء هذا المعنى في عدة أحاديث وردت بأسانيد ضعيفة لكن يتقوى بعضها ببعض^(١)، مثل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فقيه أشد على الشیطان من ألف عابد)^(٢). فهذه الأحاديث إن ضعفت سنداً فهي صحيحة معنى.

ومن ثمرات العلم وآثاره اليقين وهو حياة القلب، وبه طمأنينته وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة، وإذا باشر اليقين القلب امتلاً نوراً وانتفى عنه كل ريب وشك، وعوفي من أمراضه القاتلة وامتلاً شكراً لله وذكراً له ومحبة وخوفاً. واليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يتحول ولا يتغير في القلب، وإذا استكمل العبد حقيقة اليقين صار البلاء عنده نعمة والمحنة منحة، فالعلم أول درجات اليقين قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)^(٤).

فلهذا لم يحصل للعبد هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه، وهذا اليقين لم يحصل إلا بالعلم، والعلم حياة القلوب من العمى ونور للأبصار من الظلمة وقوة للأبدان من الضعف^(٥).

(١) تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ محمد المباركفوري، (ص ٣٧٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه (رقم ٢٦٨١، ج ٥، ص ٤٨). وقال حديث غريب.

(٣) سورة التغابن، الآية [١١].

(٤) رواه البيهقي في سننه (رقم ٦٩٢٥، ج ٤، ص ٦٦).

(٥) العلم والعلماء، (ص ٧).

فالعلم الشرعي والعمل به من أقوى الأسباب التي تعين المسلم على الثبات على دينه وهو الحصن الحصين والسد المنيع من الانتكاسة.

المطلب الثاني

الوسطية وأثرها في الوقاية من الانتكاسة

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية الوسطية:

الوسطية لغة: وسط الشيء ما بين طرفيه، وأوسط الشيء أفضله وخياره^(١) قال الإمام الطبري: «الوسط في كلام العرب الخيار، يقال: فلان وسط الحسب في قومه أي: متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، والتأويل جاء بأن الوسط العدل، وذلك بمعنى الخيار لأن خيار الناس عدولهم^(٢)، ومنه قول النبي ﷺ: (الوسط العدل)^(٣).

واصطلاحاً: الوسط يقال فيما له طرفان مذمومان كالجود بين البخل والسرف، والعدل الذي نسبة الجوانب إليه كلها على السواء فهو خيار الشيء، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال^(٤). والتوسط في شتى الأمور حالة محمودة غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة، وتعصمه من الميل إلى جانبي الإفراط أو التفريط^(٥).

(١) لسان العرب، (ج٧، ص ٤٢٦-٤٢٧).

(٢) جامع البيان، (ج٢، ص ٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (رقم ١١٢٨٩، ج٣، ص ٣٢). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص ٧٢٥).

(٥) الإسلام ينهى عن الغلو في الدين ويدعو للوسطية، الحقيق، (ص ٥٢).

ويشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢).

والوسطية من مبادئ الدين الحنيف^(٣)، ومن أبرز خصائص الإسلام، ومن مميزات أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وبها استحققت أن تكون شاهدة على الناس يوم القيامة^(٤) قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٥)، قال ابن كثير: «وسطاً أي: عدلاً»^(٦).

وقال الشيخ السعدي: «وسطاً أي عدلاً خياراً، وما عدا الوسط الأطراف وهي داخلية تحت الخطر، وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، ووسطاً في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة والمطاعم لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا يبخسون شيئاً ولا يحرمون شيئاً، بل إن أمة محمد طهارتها أكمل طهارة وأتمها وقد أباح لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث،

(١) سورة الفرقان، الآية [٦٧].

(٢) سورة الإسراء، الآية [١١٠].

(٣) الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر العمر، (ص ٧٧).

(٤) الإسلام ينهى عن الغلو ويدعو للوسطية، (ص ٥٢).

(٥) سورة البقرة، الآية [١٤٣].

(٦) تفسير القرآن العظيم، (ج ١، ص ١٦٨).

فلهذه الأمة من الدين أكمله ومن الأخلاق أجملها ومن الأعمال أفضلها فهم كاملين معتدلين»^(١).

يقول سيد قطب في هذه الآية: «إنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي والحسي»^(٢).

الفرع الثاني: أثر الوسطية في الوقاية من الانتكاسة:

إن التزام المرء بمنهج الوسطية في عباداته ومعاملاته عامل كبير في استقامته على الحق واستمراره عليه وثباته على الصراط المستقيم؛ لأن الوسطية تمثل الصراط المستقيم قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣) ثم قال بعدها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٤).

والصراط المستقيم هو دين الإسلام الذي لا اعوجاج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً وهو الجادة؛ لأن باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضل فيه سالكه ولا يتردد ولا يتحير^(٥)، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ج ١، ص ١١٨-١١٩).

(٢) ظلال القرآن، سيد قطب، (ج ١، ص ١٣١).

(٣) سورة البقرة، الآية [١٤٢].

(٤) سورة البقرة، الآية [١٤٣].

(٥) الوسطية في القرآن الكريم، محمد الصلابي، (ص ٧٧).

(٦) سورة الأنعام، الآية [١٥٣].

والسبل هو البعد عن هذا الصراط المستقيم إما بالغلو أو بالتساهل فيه، فالصراط المستقيم هو المنهج الوسط الذي أمرنا باتباعه. والمقياس لتحديد هذا الوسط هو الشرع وليس هوى الناس وما تعارفوا عليه وألفوه، ذلك أن مفهوم الوسطية عند كثير من الناس يعني التنازل والتساهل^(١)، فمن التزم بالصراط المستقيم وتمسك بالكتاب والسنة وصرف عندهم بالغلو وعدم الوسطية.

ونقيض ذلك من يعتقد أن الأخذ بسماحة الإسلام والعمل برخصه تهاون وتساهل^(٢)، وأن الكمال والفضل بالتشديد على النفس وتكليفها ما لا تطيق. وكلا الاعتقادين خطأ ويُعد عن منهج التوسط الذي جاء به الإسلام، فالأكمل من العمل ما يراعى فيه الكمال من جميع جوانبه، فالمنفق مثلاً يجب عليه أن يراعى حاله وحال المنفق عليه في الصدقة، وهو التوسط بين الإسراف والبخل كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣).

ولذلك فإن المعيار في الحكم على الأعمال والأفراد والجماعات هو الكتاب والسنة وليست الأهواء والأعراف والعقول. وقد ضل في هذا الباب أمم وأفراد وجماعات^(٤) بسبب جهلهم وبعدهم عن منهج الوسطية الذي جاء به الإسلام، فكان ذلك سبباً لانقطاعهم عن العمل وانتكاسهم عن الحق والعدل.

(١) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، محمد الصلابي، (ص ٨١).

(٢) انظر: الإسلام ينهى عن الغلو ويدعو للوسطية، (ص ٦٧).

(٣) سورة الإسراء، الآية [٢٩].

(٤) الوسطية في القرآن الكريم، محمد الصلابي، (ص ٦٣).

فالمنهج الوسط هو الاعتدال والقصد والبعد عن التكلف ومقاومة التطرف ومن أبرز مظاهره التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي، فالنفس مجبولة على الاعتدال والتوازن بين حقوق الجسد ومتطلبات الروح.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى العمل في الحياة الدنيا والضرب في الأرض والمشي في مناكبها والاستمتاع بطيباتها بجوار الحث على الاستعداد للآخرة، والتزود ليوم الحساب^(١) قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢).

ومن سمات هذا المنهج كذلك اليسر ورفع الحرج كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٤). وقال الشيخ صالح بن حميد معلقاً على آيات عدم التكليف بما لا يطاق: «ولا شك أن الأحكام الشرعية إذا كانت مطلوبة في حدود الوسع والاستطاعة دون بلوغ غاية الطاقة، معنى ذلك الدلالة الظاهرة على أن الحرج مرفوع، وأن الشريعة مبنية على التيسير وعدم التعسير، فهي حنيفة سهلة سمحة»^(٥)، وقد قال النبي ﷺ: (أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة)^(٦). والوسطية ركن من أركان ديمومة هذا الدين وعالميته^(٧) والالتزام بها سبب للثبات والبقاء.

(١) الإسلام ينهى عن الغلو ويدعو للوسطية، (ص ٧٥).

(٢) سورة القصص، الآية [٧٧].

(٣) سورة البقرة، الآية [٢٨٦].

(٤) سورة البقرة، الآية [١٨٥].

(٥) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن حميد، (ص ٧٣).

(٦) رواء البخاري في صحيحه (رقم ٢٨، ج ١، ص ٢٣).

(٧) الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر العمر، (١٦٥).

فاعتدال هذا المنهج الوسط ويسر تعاليمه حصن منيع من تسرب الغلو المادي ووقاية من الغلو الروحي^(١) الذي يؤدي بصاحبه إلى الضلال والانتكاس عن الدين.

فالحاصل أن للعلم الشرعي والتزام منهج الوسط في الشريعة أهمية عظيمة وأثراً عظيماً في حفظ المسلم وثباته على دينه ووقايته من الانتكاسة.

(١) الإسلام ينهى عن الغلو ويدعو للوسطية، (ص ٥٧).



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة



الفصل الثالث

التدابير الأسرية الواقية من الانتكاسة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مسؤولية الوالدين.

المبحث الثاني: مسؤولية الأزواج.

المبحث الثالث: مسؤولية الإخوة.

المبحث الرابع: مسؤولية عامة الأقارب.





تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

تمهيد

الأسرة هي المحضن الأول للفرد، وفيها ينشأ ويتربى، فهي تعد المدرسة الأولى التي يتخرج منها الطفل، ولها الدور الأكبر في التأثير عليه سلباً وإيجاباً بمن فيها من الوالدين والأزواج والإخوة وعامة الأقارب، ولا شك أن هؤلاء لهم مسؤولياتهم وواجباتهم تجاه بعضهم بعضاً من حيث القيام بواجب النصح والإرشاد، والقيام بالتدابير التي يمكن أن تقي من تحت أيديهم من الانتكاسة.

وهذه التدابير يختلف تأثيرها بحسب أفراد الأسرة وما يتمتعون به من سلطة تخولهم من التصرف تجاه أقاربهم، فالوالدان لهما الأثر الأكبر والدور الأعظم في حماية أفراد الأسرة من الوقوع في الانتكاسة، والزوج له دوره وجهده في حماية زوجته ووقايتها من الانتكاسة، وكذا الزوجة، وكذا الإخوة والأخوات وعامة الأقارب لهم من التأثير على قدر ما عليهم من الواجبات والحقوق.

وستحدث في هذا الفصل عن أهم التدابير الأسرية وأثرها في الوقاية من الانتكاسة من خلال المباحث التالية:

* المبحث الأول: مسؤولية الوالدين.

* المبحث الثاني: مسؤولية الأزواج.

* المبحث الثالث: مسؤولية الإخوة.

* المبحث الرابع: مسؤولية عامة الأقارب.

المبحث الأول

مسؤولية الوالدين

تمهيد

الأب هو رب الأسرة، وله الدور الأول في التربية، فهو عصب الأسرة وأساسها، وقائدها وحاميها، والأم مساعدة له بما جباها الله تعالى من عطف وحنان وصبر على رعاية أولادها، بل قد تكون مسؤوليتها في التربية أهم وأخطر باعتبارها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويتعرع.

فللوالدين أثر عظيم في تنشئة أولادهم على الصلاح والاستقامة والثبات على الدين، كما أن إهمالهم لأولادهم سبب كبير في ضلالهم وضياعهم وانتكاستهم عن دينهم.

والحديث عن مسؤولية الوالدين في الوقاية من الانتكاسة سيكون من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

مسؤولية الوالدين في التربية

إن تربية الأولاد على الدين والخلق من أهداف هذا الدين وغاياته النبيلة التي دعا إليها وحث على حسن أدائها، لأن في صلاح دينهم واستقامة سلوكهم صلاح للمجتمع كله.

وتعتبر التربية الإيمانية من أهم أنواع التربية التي تؤثر في شخصية الفرد تأثيراً كبيراً فتجعله ميالاً للخير، متحلياً بالصفات الحميدة، ملتزماً في سلوكه وتصرفاته

التزاماً ذاتياً مستمراً بالخلق الكريم^(١).

والجدير بالذكر أن مفهوم التربية لا يخص مرحلة الطفولة فقط ، بل إن التربية الإسلامية تُعنى بالإنسان في جميع مراحل عمره ، ولكن مرحلة الطفولة أكثر قابلية للتأثير وأسرع استجابة للتوجيه ، ومن هنا جاء التركيز على العناية بالطفل ؛ لأنه يخرج إلى هذه الدنيا صفحة بيضاء نقية مزوداً بالاستعدادات الفطرية لتقبل الخير والشر^(٢).

فمسؤولية تربية الطفل من أظهر المسؤوليات التي اهتم بها الإسلام ؛ لأنها توجه فطرته التي فطر عليها ، وتكسبها متانة ، وتزيدها قوة وصلابة حتى إذا كبر لا يستطيع أحد زعزعة إيمانه^(٣).

ولا شك أن المحضن الأول لهذا الطفل أبواه ينشأ بينهما ويتربعا في أحضانهما ، ولذلك جعل الإسلام تربيته عليهما وحملهما مسؤولية ذلك قال ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٤).

قال الله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٦).

(١) تربية الأولاد والآباء في الإسلام ، المبروك عثمان ، (ص ١٧٤).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام ، محمد عقله ، (ص ١٥ - ٣٢).

(٣) تربية الأولاد والآباء في الإسلام ، (ص ١٥١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سورة طه ، الآية [١٣٢].

(٦) سورة النساء ، الآية [١١].

وقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: (ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم)^(١).

ومسؤولية التربية مزدوجة بين الأم والأب فليس لأحدهما أن يلقي بالمسؤولية على الآخر قال ﷺ: (الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)^(٢).

فقد جعل عليه الصلاة والسلام مسؤولية تربية الأولاد عليهما جميعاً، وأمرهما أن يقوموا بها لتتم السلامة والنجاة من عذابه لهم ولأبنائهم كما قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُتُولًا مُّفْسِكَةً وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٣) قال قتادة: أي: «تأمرهم بطاعة الله وتنهاتهم عن معصيته، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها»^(٤). وقال علي رضي الله عنه: «أدبوهم وعلموهم»^(٥).

قال الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير علمه ونشأ عليه، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والولي له»^(٦).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٠٥، ج ١، ص ٢٢٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٨٥٣، ج ١، ص ٣٠٤).

(٣) سورة التحريم، الآية [٦].

(٤) تفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ٣٤١).

(٥) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد زغلول، (ج ٦، ص ٣٩٧).

(٦) المذهب من إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (ص ٥٠).

وهنا يظهر لنا أهمية تربية الأبناء وأنها واجب ديني كلف الله به كل أب وأم، إذ أن دورهما في التربية له أثر فعال في صلاح الأولاد واستقامتهم وثباتهم على دينهم، وهذا أمر ظاهر في المجتمعات، فالآباء الذين يقومون بواجب التربية الحق ينشئون أولادهم على الصلاح والتقوى، والفرد الذي يُربى تربية سليمة في أسرة يتمثل فيها الخلق الفاضل والضمير اليقظ غالباً لا ينحرف كلياً نحو القيم الهابطة، ولو تهدم جزء مما بنته تربيته الأسرية سرعان ما يفتن إلى ترميمه وإصلاحه^(١)، ومن يهمل أمر التربية فأولاده أكثر عرضة للضياع والضلال والانتكاس.

المطلب الثاني

الصفات التي يجب أن يتحلى بها الوالدان

هناك جوانب ومقومات وخصائص ينبغي أن يتصف بها الوالدان لشمر تربيتهما ويتحقق صلاح أولادهما.

وسنستعرض في هذا المبحث أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الوالدان من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: العلم:

لا بد أن يكون الوالد عالماً بأمور الدين، محيطاً بالحلal والحرام وأساليب التربية ومبادئ الأخلاق وقواعد الشريعة ليتمكن من تربية أولاده التربية السليمة لأن فاقده الشيء لا يعطيه.

فإن لم يكن عالماً بها وجب عليه تعلم ما لا يعذر بجهله من أمور الدين ليعبد الله على علم وبصيرة، ويعلم أولاده ما يجب عليهم من الأوامر والنواهي

(١) تربية الأطفال في الإسلام، محمد الناصر وخولة درويش، (ص ٣٩).

والحلال والحرام والآداب والأخلاق الإسلامية، فإن لم يفعل ذلك فسوف تكون تربيته ناقصة أو منحرفة، وبالتالي قد ينحرف الأولاد فيكونون عبثاً على المجتمع إذا كبروا، ومن المعروف أن إهمال التربية يعد أهم العوامل صلة بالجرائم^(١).

وهذا الأمر لا يخص الآباء فقط بل إن الأمهات أحوج إلى العلم الشرعي الصحيح والفقه بأمور التربية من الآباء؛ لأن الأم مطالبة كذلك بتعليم أولادها وتربيتهم التربية الحسنة، فقد كان النبي ﷺ يحرص على تعليم النساء أمور الدين، وكان يخصصهن بأيام يعلمهن مما علمه الله، وذلك لما جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: (اجتمعن في يوم كذا وكذا) فاجتمعن فعلمهن مما علمه الله^(٢)، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعي دور الأم ويدرك أهمية تربية الأطفال وتعليمهم.

وقد تحدثنا عن العلم وفضله في المبحث الثالث من الفصل الثاني مما يغني عن إعادته هنا.

الفرع الثاني: القدوة الحسنة؛

القدوة: بالكسر والضم الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به^(٣) والتربية بالقدوة الحسنة تعد من أعظم الوسائل أثراً في إعداد الطفل المسلم، وذلك لوجود الغريزة الفطرية في كيان الإنسان والتي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة لا سيما في المراحل الأولى من عمر الطفل، إذ يعتقد أن كل ما يفعله الكبار صحيح، وأن والديه

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم، عدنان باحارث، (ص ٨٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٨٨٠، ج ٦، ص ٢٦٦٦).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص ٥٧٧).

أكمل الناس وأفضلهم، لهذا فهو يقلدهما ويقتدي بهما، فأثر القدوة أبلغ من تأثير النصيحة، لأنها سلوك عملي مجسم لقيم معنوية، والتلقين المجرد لا يثمر إن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون ترجمة عملية للنصيحة، فالأطفال مهما سمعوا وتلقوا من المربين لن يحملوا في داخل أنفسهم سوى الصورة التي يرونها أمامهم من أنماط السلوك إن خيراً فخير وإن شراً فشر^(١).

ولحكمة الله سبحانه وتعالى وعلمه بأثر القدوة، أرسل لعباده رسولاً هو أكمل الناس وأفضلهم خلقاً، حتى يأخذ الناس عنه ويقتدوا به وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل^(٢)، وحينما سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق الرسول ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن)^(٣) فكان عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة لأُمَّته، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤).

ولقد دعا النبي ﷺ المربين ليكونوا قدوة صالحة لأبنائهم، فعن عبدالله بن عامر قال: دعّنتني أُمِّي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ: (ما أردت أن تعطيه؟) قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها: (أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبه)^(٥).

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم، (ص ٦٥ - ٦٧).

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، (ج ٢، ص ٦٠٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (رقم ٢٤٦٤٥، ج ٦، ص ٩١. وقال شعيب الأرنؤوط:

حديث صحيح.

(٤) سورة الأحزاب، الآية [٢١].

(٥) رواه أبو داود في سننه (رقم ٤٩٩١، ج ٤، ص ٢٩٨). وصححه الألباني في سلسلة

الأحاديث الصحيحة، (ج ٢، ص ٣٧٣).

والوالدان قدوة لأبنائهم، فالابن شديد التأثير والاقتراء بأبيه، ولا بد أن يكون الأب قدوة صالحة لابنه في سلامة العقيدة وصحة العبادة واستقامة السلوك، ولا بد أن تكون هذه العقيدة وهذا السلوك واقعاً عملياً يراه الابن ويعيشه ليكون له أثر في التوجيه والإرشاد.

فعلى سبيل المثال: يأمر الأب ابنه بالصلاة في المسجد، وهو يصليها في البيت، أو ينهاء عن الدخان ويشربه أمامه.

والفتاة شديدة التأثير بأمها، فهي قدوة لها فإذا أمرتها بالحشمة والعفة والستر فلتلتزم هي أولاً بذلك ولا يناقض فعلها قولها.

ولقد ذم الله تعالى هذا السلوك فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

كما استنكر عز وجل هذا الفعل وقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ لَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾^(٢).

وكذلك حذر النبي ﷺ منه فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى. قد كنت آمر بالمعروف ولا آتبه، وأنهى عن المنكر وآتبه)^(٣).

(١) سورة الصف، الآية [٢-٣].

(٢) سورة البقرة، الآية [٤٤].

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٩٨٩، ج ٤، ص ٢٢٩٠).

وسبب هذا التحذير الشديد أن في مخالفة القول للعمل ضرراً نفسياً فادحاً بالمقتدين لا سيما الأطفال الذين لم يكبروا بعد^(١).

فالقذوة عامل كبير في صلاح الولد أو فسادة، فإن كان الوالدان صالحين نشأ الأبناء على الصلاح، وإن كانا فاسدين نشأ الأبناء على هذا، لما أخبر الله تعالى به عن أبناء المشركين حينما دعوا إلى التوحيد قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾^(٢).

وقد تنبه السلف الصالح رضوان الله عليهم إلى هذا الأمر وأهميته، فحينما دفع أحد السلف ابنه لمعلم يريه قال له: [ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبیح عندهم ما تركت]^(٣).

وبهذا يتضح لنا أهمية القدوة وأثرها في نجاح التربية، وأن التوجيهات والنصائح والزواج لا تنفع بدونها. فعلى الوالدين أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهم، لتثمر هذه التربية بإذن الله تعالى.

الفرع الثالث: العدل:

العدل مصدر بمعنى العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق^(٤).

(١) مسؤولية الأب المسلم، [٦٧].

(٢) سورة الزخرف، الآية [٢٣].

(٣) تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، أحمد بن عبدربه (ص ١٢٥).

(٤) التعريفات للجرجاني، (ص ١٩٢).

والعدل سمة من سمات هذا الدين التي بها جاء وأمر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^(١).

فالعدل من أهم عوامل الاستقرار النفسي والاطمئنان القلبي، ولذلك اهتم به الإسلام وحثنا على تطبيقه في حياتنا كلها وخاصة مع أولادنا، قال ﷺ: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)^(٢).

فلا بد أن يتحلى الوالد بذلك، وأن يراعي العدل مع أولاده سواء كان ذلك في الجوانب المادية أو في الجوانب المعنوية كالعطف والمحبة؛ لأن التمييز والتفضيل بين الأولاد من أشد العوامل إثارة للحسد والحقد والشحناء بين الأولاد، بل قد يحقد الولد على أبيه فلا ينتفع بتربيته، ولربما أوقعه ذلك في العقوق. وإذا اتصف الوالد بالعدل وحققه مع أولاده وسوى بينهم في العطية والمعاملة سلمت قلوبهم من الحسد والحقد والضغينة والفرقة.

فالعدل في التربية ضرورة، وما جاءت هذه الأوامر والتوجيهات من رسول الله ﷺ إلا لبيان أهميته.

فإذا كان الوالدان حريصين على سلامة أبنائهما من العقد النفسية ومركبات الشعور بالنقص وآفات القلوب من حقد وحسد وفساد طوية فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمر الرسول ﷺ^(٣): (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) ليشب الأطفال على العدل وتثمر تربيتهم وتستقيم أخلاقهم.

(١) سورة النحل، الآية [٩٠].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٤٤٧، ج ٢، ص ٩١٤).

(٣) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، (ج ١، ص ٣٢٩).

الفرع الرابع: الحكمة والموعظة الحسنة:

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه^(١) وهي من الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم في جميع أموره قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢) والحكمة أي: الدعوة بالقرآن، والمقالة الحسنة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق، والموعظة الحسنة هي مواظب القرآن والقول الرقيق الحسن^(٣).

والمرابي أحوج الناس إليها لأنه يتعامل مع بشر لهم طاقات وقدرات وميول ورغبات ولقلوبهم إدبار وإقبال، فلا بد أن يلتزم بالحكمة مع الأبناء وأن يأخذ بمنهج الاعتدال في معاملته لهم فلا تقوده عواطفه ومحبه لهم لإهمال تأديبهم وكثرة تدليلهم فيفسدهم ويضيعهم، كما لا يدفعه حرصه الشديد على صلاح أبنائه للقسوة عليهم وكثرة عتابه وعقابه لهم والشدة عليهم في تعليمهم وتوجيههم وحرمانهم من حاجاتهم النفسية، بل يكون حازماً وسطاً بين اللين والشدة في تعليمه وتأديبه.

كما يجب عليه أن يراعي فهم ولده، وإدراكه فلا يطالبه التقيد بمعايير الكبار^(٤)، فقد كان النبي ﷺ يراعي ذلك في مخاطبته للغلمان^(٥) ولا يكلفهم إلا بما يطيقون

(١) التعريفات، (ص ١٢٤).

(٢) سورة النحل، الآية [١٢٥].

(٣) أيسر التفاسير، (ج ٣، ص ١٦٩).

(٤) انظر: مسؤولية الأب المسلم، (ص ٧٦).

(٥) دليل ذلك أنه قبل معركة بدر حينما قبض الصحابة على غلام راع لقريش سألوه عن عدد الجيش فإذا به لا يحسن الإجابة فضربوه، حتى أقبل النبي ﷺ فإذا به يسأل الغلام: (كم ينحر القوم من الإبل؟) قال الغلام: بين التسعة والعشرة، فقال ﷺ: (القوم بين التسعمائة والألف). فعرف النبي ﷺ أن الغلام لا يعرف عدد الألف، ولكن طاقته العقلية تدرك عدد العشرات.

حسب قدراتهم وطاقاتهم^(١)، فلا بد أن يكون المربي مقتدياً بالنبي ﷺ في ذلك. كما يجب عليه أن يلتزم بالموعظة الحسنة في توجيهه لهم فالموعظة الحسنة لها أثرها البالغ على الفرد حيث تعتبر من أعظم الدوافع لتربية النفس^(٢). ولا بد للمربي أن يتحين الوقت المناسب لها فلا يكثر منها لأن كثرتها عملة تضعف تأثيرها وتفقد فائدتها، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ في الوعظ^(٣) فقد كان ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة كراهة السامة^(٤)، أي: يتعهدهم ولا يكثر عليهم، أي: لا يفعل ذلك كل يوم رغم رغبتهم وحبهم لسماع مواعظه^(٥)، وكان يختار الوقت المناسب للتوجيه، فأحياناً يكون حديثه وتوجيهه أثناء الطريق^(٦) وأحياناً أثناء الأكل^(٧) وهكذا. قال الحافظ ابن حجر: «إن التعليم بالتدرج

(١) فقد كان أنس رضي الله عنه يخدم النبي ﷺ فإذا لامه أحد من أهل بيته قال رسول الله ﷺ المدرك لطاقته وقدرته: (دعوه فلو قدر - أو قال: لو قضي - أن يكون كان)، مسند الإمام أحمد (رقم ١٣٤٤٢، ج ٣، ص ٢٣١) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح ورجاله رجال الصحيح وفيه انقطاع.

(٢) التربية الإسلامية، سليمان الحقي، (ص ٥٥).

(٣) انظر: مسؤولية الأب المسلم، (ص ٧٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٨، ج ١، ص ٣٨).

(٥) فتح الباري، (ج ١، ص ١٦٣).

(٦) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك).

رواه الترمذي في سننه (رقم ٢٥١٦، ج ٤، ص ٦٦٧). وقال: حسن صحيح.

(٧) كما في حديث عمر بن أبي سلمة وكان غلام في حجر النبي ﷺ، وكانت يده تطيش في الصفحة أثناء الأكل، فقال له رسول الله ﷺ: (يا غلام سم الله، وكل بيمينك).

رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٠٦١، ج ٥، ص ٢٠٥٦).

أخف مؤنة وأدعى إلى الثبات من أخذه بالكد والمغالبة»^(١).

ويمكن أن يجمع المربي بين أسلوبَي الترهيب والترغيب وكذلك التشويق بذكر القصص التي تشتمل على ذلك لما لها من أثر واضح على النفوس. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢) ففي تنوع الأساليب واختيار الأوقات أثر في قبول التوجيه والانتفاع به.

الفرع الخامس: الرحمة والحب:

الرحمة هي رقة في القلب وحساسية في الضمير وإرهاق في الشعور، تستهدف الرأفة بالآخرين والتألم لهم والعطف عليهم، وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين^(٣).

والإسلام دين الرحمة وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله: (لن تؤمنوا حتى تراحموا)، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: (إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة)^(٤) أي: الرحمة العامة التي تعم حتى البهائم، فقد غفر الله تعالى لبغي لأنها سقت كلباً^(٥)، وقال ﷺ: (إنه من لا يرحم لا يُرحم)^(٦).

(١) فتح الباري، (ج ١١، ص ٢٢٨).

(٢) سورة يوسف، الآية [١١١].

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، (ج ١، ص ٣٦٠-٣٦١).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٧٣١٠، ج ٤، ص ١٨٥). وقال صحيح الإسناد.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٦٥١، ج ٥، ص ٢٢٣٥).

وأحق الناس بهذه الرحمة هم الأطفال فهي من الحاجات النفسية لهم، والطفل الذي لا يشبع من هذه الحاجة يعاني من الجوع العاطفي ويشعر أنه غير مرغوب فيه فيصبح سيء التوافق معنوياً ونفسياً^(١)، وعلاقة الوالد بولده قائمة على هذه المحبة والرحمة، فالرحمة هي الدافع الرئيس لقيام الوالدين بشؤون ورعاية الأولاد وهي سبب تعلق الولد بأبيه وإذعانه لتوجيهاته يقول النبي ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا)^(٢).

ولابد أن يتحلى الوالد بهذه الصفة، وأن يظهرها جلية لأولاده مقتدياً بالنبي ﷺ في ذلك، فقد كان ﷺ يخالطهم ويمازحهم ويلاعبهم ويضمهم ويقبلهم مظهرًا محبة ورحمته لهم، فالأطفال لا يدركون كثيراً من الأشياء بعقولهم وأفهامهم، ولكن يدركونها بعيونهم ومشاعرهم بما يشاهدونه ويعيشونه من الملاحظة والحب والمخالطة^(٣).

وقد استفاضت الأحاديث بذكر منهج النبي ﷺ وأسلوبه ومعاملته مع الأطفال، فقد روى عنه أصحابه - رضي الله عنهم - أنهم شاهدوه والحسن والحسين على بطنه أو صدره، وربما بال أحدهما في حجره، وربما جلس لهم عليه الصلاة والسلام كالفرس يمتطيان ظهره الشريف، وربما صلى وهو حامل أحد الأطفال، وكان يقبلهم ويشمهم ويضمهم إليه، وربما خرج على أصحابه وهو حامل الحسن والحسين على عاتقه^(٤).

(١) تربية الأطفال في رحاب الإسلام، (ص ١٩٣).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٢٠٩، ج ١، ص ١٣١). وقال: حديث صحيح.

(٣) انظر: مسؤولية الأب المسلم، (ص ٧٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٦٥٢، ج ٥، ص ٢٢٣٥)، وانظر: (رقم ٢٢١، ج ١،

وكان النبي ﷺ يمازحهم بما يعقلون ويدركون فيقول لأحدهم: (يا ذا الأذنين)^(١) وربما مَجَّ الماء في وجه أحدهم مداعبة له^(٢)، وربما قال لأحدهم: (يا أبا عمير)^(٣).

فالطفل بحاجة إلى العطف والحنان كحاجته إلى الطعام والشراب، وحرمانه من الحنان الأسري يجعله يشعر بأنه مقطوع الأواصر بمن حوله، ضعيف الصلة بأبويه، فينشأ فظاً غليظاً حاقدًا متكرراً لكل من حوله^(٤)، وربما أحس بغيض والديه أو أحدهما له لعدم إظهاره الحب والمودة له، فيتحرف قاصداً أزعاجه والانتقام منه^(٥).

فعلى الوالد أن ينهج منهج النبي ﷺ في معاملته لأولاده، فيفيض عليهم من حبه وحنانه ولا يبخل عليهم ولا ينشغل عن ذلك لأي أمر كان، فهذا النبي ﷺ رغم انشغاله بأمور المسلمين وسياسة الدولة، لم يمنعه ذلك من مخالطة الأولاد بالمحبة والرحمة وإدخال السرور عليهم.

ولا ينسى الوالد أن الرحمة والمحبة خلُق لا بد أن يُربى عليه الولد، فهو الطريق إلى تقوية أواصر العلاقة بين الوالد وولده بزيادة المحبة بينهما، وسبب كبير لتقبل الولد لتوجيهات وإرشادات والده والإذعان لها.

(١) رواه الترمذي في سننه (رقم ٣٨٢٨، ج ٥، ص ٦٨١). وقال حديث حسن غريب صحيح.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٩٩٣، ج ٥، ص ٢٣٣٨).

(٣) رواه البخاري (رقم ٥٧٧٨، ج ٥، ص ٢٢٧٠).

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، محمد عقله (ص ٦٣).

(٥) مسؤولية الأب المسلم، (ص ٧٠).

الفرع السادس: الدعاء:

الدعاء من العبادات الجليلة النافعة التي حث الإسلام عليها وندب إليها قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١).

والدعاء خير ما يتحلى به المربي ويستعين به على صلاح أولاده فقد خص الله الوالدين بفضيلة إجابة دعائهم لأبنائهم قال ﷺ: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة الوالد على ولده)^(٢) الحديث، وهي من سنة الأنبياء والمرسلين، فقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يمنه وذريته عباده الأصنام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(٤) وقد دعا النبي ﷺ لابن عباس وقال: (اللهم علّمه الحكمة)^(٥)، وبسبب دعوة رسول الله ﷺ أصبح ابن عباس في كبره حبر الأمة وترجمان القرآن، ولهذا حرصت الصحايات في الحصول على دعاء النبي ﷺ، فهذه أم سليم والدة أنس تطلب من رسول الله ﷺ الدعاء لأنس فيدعوه فيقول: (اللهم أكثر ماله وولده) فاستجاب الله ذلك، وقال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة^(٦).

(١) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٢) رواه أحمد في مسنده (رقم ١٠٧١٩، ج ٢، ص ٥١٧). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ج ٢، ص ١٤٥).

(٣) سورة إبراهيم، الآية [٣٥].

(٤) سورة الأحقاف، الآية [١٥].

(٥) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٣٥٤٦، ج ٣، ص ١٣٧١).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٧١٧٧، ج ١٦، ص ١٤٢).

فلا ينبغي للوالد أن يترك الدعاء لأولاده أو يقصر فيه لئلا يترك الأثر العظيم على صلاح الأولاد وهدايتهم وثباتهم على دينهم.

وأقبح من ذلك من يدعو بالسوء على أولاده، فكثير من الآباء والأمهات لا يتورعون من الدعاء الذي تقشعر منه الأبدان على أولادهم، وقد نهى عن ذلك النبي ﷺ وحذر منه حيث قال: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)^(١)؛ لأن ذلك مناف للخلق الإسلامي ومخالف للتربية النبوية، وهو سبب لفساد الأولاد وضلالهم عن الحق، وقد ذكر الغزالي: «أنه جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوق ولده فقال له: هل دعوت عليه؟ قال: نعم، فقال عبد الله بن المبارك: أنت أفسدته»^(٢).

فالهداية بيد الله وحده ولا تنال إلا بإذنه ولا تطلب إلا منه، فينبغي للوالد الحريص على صلاح أولاده أن يجتهد في الدعاء لهم بالهداية والثبات، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾^(٣)، أي: مطيعين لك^(٤).

وقال الإمام الطبري: «أي يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام»^(٥).

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٣٠٠٩، ج ٤، ص ٢٣٠٤).

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (ج ٢، ص ٢١٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية [٧٤].

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (ج ١٣، ص ٨٢).

(٥) جامع البيان، (ج ١٩، ص ٥٣).

المطلب الثالث

أثر الوالدين في الوقاية من الانتكاسة

للوالدين أثر عظيم ودور كبير في وقاية أولادهما من الانتكاسة لا سيما أنهما المحضن الأول لهم، وحاجتهم إليهما مستمرة، وبحكم قوة العلاقة الفطرية بينهم، وأنهم المسؤولون عنهم، فكان أثرهم أكبر وأجدى من غيرهم. ويمكن تحقيق هذا الأثر من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: التعليم:

إن من أهم مسؤوليات الوالدين التربوية تجاه أبنائهم مسؤولية تعليمهم العلم النافع المستمد من الكتاب والسنة، وذلك لوقايتهم وحفظهم بإذن الله من الانحراف والرجوع عن الطريق المستقيم.

والابن في سنواته الأولى أكثر استعداداً للتعلم وأقوى ذاكرة للحفظ، والوالدان هما المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأبناء مبادئ العلم والحياة^(١)، ومن هذا المنطلق جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالوصايا والتوجيهات للأباء للاهتمام بتربية أبنائهم وتعليمهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٢) وقال النبي ﷺ لصحابته الذين وفدوا إليه: (ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم)^(٣)، وقال ﷺ: (ما نَحَلَ والد ولداً من نَحْل أفضل من أدب حسن)^(٤).

(١) الطفل في الشريعة الإسلامية، سهام جبار، (ص ٣٨٢).

(٢) سورة التحريم، الآية [٦].

(٣) سبق تخريجه في (ص ١٥٠).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٧٦٧٩، ج ٤، ص ٢٩٢). وقال: حديث صحيح حسن

وقد جاء القرآن الكريم بنماذج حية من التربية والتعليم لتكون نبزاً مضيئاً يسترشد به الوالدان في تربيتهم وتعليمهم لأولادهم.

ومن أشهر هذه النماذج وصايا لقمان عليه السلام حيث قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَبْنَيْهِ وَهُوَ يَعْظُهُ: يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

فقد ابتداء لقمان عليه السلام في وصاياه بالأهم فالمهم، فبدأ بتصحيح العقيدة وغرسها في نفس ابنه.

لذا يجب على المربي الناجح أن يبدأ بتأسيس الركن الأول من الدين، وكان النبي ﷺ يربي الأطفال على التوحيد، ويغرس حب الله والاستعانة به ومراقبته في نفوسهم فعن ابن عباس ؓ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا استعنت فاستعن بالله) الحديث^(٢).

ولابد أن يربي الشباب والأطفال على الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها والتمسك بالمنهج الصحيح، فالطفل المسلم اليوم في مواجهة مع التحديات المعاصرة الكبيرة والخطط والمؤامرات التي تدبر ضده كي تصرفه عن دينه ومنهجه.

وهو في المقابل يحتاج إلى تعلم التضحية في سبيل الله والثبات على المنهج بذكر القصص التي تكون نموذجاً مؤثراً بالنسبة له^(٣)، مثل قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم، وقصص السيرة النبوية والمغازي وسير الصحابة وما فيها من الشجاعة والتضحية.

(١) سورة لقمان، الآية [١٣].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: التربية النبوية للطفل، (ص ١١٤).

وهذا منهج الصحابة رضي الله عنهم كما قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (كنا نعلم أبناءنا السيرة والمغازي كما نعلمهم السورة من القرآن)^(١).

فالعقيدة الصحيحة أهم الأسس التي تقوم عليها الأعمال الصالحة، وهي الرابطة التي تربط العبد بربه في كل حين، فتكون سياجاً منيعاً وحصناً قوياً يحفظ سلوك الأفراد ويوجه تصرفاتهم نحو الخير.

كذلك يجب أن يربى الأطفال على محبة النبي ﷺ حتى يأثمروا بأمره ويتنبهوا بنهيهِ ويحفظوا أقواله ويقتدوا بأفعاله، ولا بد من الاعتناء بالقرآن الكريم، فهو الدستور الأول لهذا الدين، فعلى الوالدين الحرص على تلقين أطفالهم القرآن الكريم وتحفيظهم إياه، وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: «قال لرجل ألا أتخفك بحديث تفرح به؟ قال: اقرأ تبارك الذي بيده الملك، وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك»^(٢).

وللوالدين أجر ذلك كما أخبر النبي ﷺ بقوله: (من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوءه مثل الشمس ويكسى والداه حلقتان لا تقوم بهما الدنيا. فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن)^(٣).

ويبدأ بتعليم الطفل السور القصار من القرآن، ويفهم معانيها ليسهل عليه تدبر القرآن وحفظه والانتفاع به.

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، (ج ٢، ص ٦٣٠).

(٢) مسند عبد بن حميد (رقم ٦٠٣، ج ١، ص ٢٠٦).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٢٠٨٦، ج ١، ص ٧٥٦)، وقال: حديث صحيح على

فقد كان ابن عباس رضي الله عنه يقول لأصحابه: (سلوني عن سورة النساء فإنني قرأت وأنا صغير)^(١).

ويلي العقيدة في الأهمية العبادة، فهي مكملة لبناء العقيدة^(٢)، ومن أهم العبادات الصلاة، وقد اشتملت عليها وصايا لقمان عليه السلام لابنه حيث قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾^(٣).

وقال النبي ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع)^(٤) كي يتدرب عليها الطفل ويعتاد، فالطفولة ليست مرحلة تكليف، وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف، ليسهل على الأطفال أداء الواجبات، وكان النبي عليه السلام يباشر تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة^(٥).

ومن العبادات التي يعود عليها الأطفال أيضاً ليعتادوها: الصيام، فهو عبادة روحية جسدية يتعلم فيها الطفل الإخلاص لله تعالى ومراقبته، وتربى إرادته وقدرته على كبح جماح رغباته فيعتاد الصبر والجلد، وكان الصحابة يهتمون

(١) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٣١٧٨، ج ٢، ص ٣٣٠)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) منهج التربية النبوية، (ص ١٢٣).

(٣) سورة لقمان، الآية [١٧].

(٤) رواه أبو داود في سننه (رقم ٤٩٥، ج ١، ص ١٣٣) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (ج ١، ص ٩٧).

(٥) كما في حديث الحسن بن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلمنا هذا الدعاء: (اللهم اهدني ليمن هديت..) رواه ابن خزيمة في صحيحه (رقم ١٠٩٦، ج ٢، ص ١٥٢).

بصيام أطفالهم فيهيئون لهم اللعب أثناء الصيام ليتسلوا بها فلا يشعروا بطول النهار^(١).

ولابأس أن يعود الطفل على بعض العبادات الشاقة كالحج حتى يتهيأ للتكليف به عند بلوغه فلا يجده صعباً شاقاً عليه وإنما مألوفاً لديه^(٢).

وكان النبي ﷺ يوجه الأطفال للحج ويرشدهم إلى أهمية يوم عرفة، وثبت أن الأطفال شهدوا الحج مع النبي ﷺ وهم أبناء سبع سنين^(٣).

ولابد من العناية بالجانب الأخلاقي لدى الطفل، فإنه ينشأ على ما عوّده عليه المربي في صغره من قيم وأخلاق لتستمر في داخله حتى تصبح هيئة راسخة في نفسه يصعب عليه في الكبر مخالفتها^(٤).

وقد اشتملت وصايا لقمان على بعض تلك الأخلاق في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٥).

وقد فصلت السنة في ذلك فأرشدت إلى الأخلاق والآداب الإسلامية، كآداب السلام والاستئذان والنوم والأكل والشرب... وقد كان النبي ﷺ يعلم

(١) كما في حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت كنا نصومه ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم أعطيناه ذاك... رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٨٥٩، ج ٢، ص ٦٩٢).

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، (ص ١٣٤-١٣٦).

(٣) كما في حديث السائب بن يزيد قال: (حُجَّ بِي مَعَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٧٥٩، ج ٢، ص ٦٥٨).

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، محمد عقله، (ص ١١١).

(٥) سورة لقمان، الآية [١٨].

الأطفال هذه الآداب بنفسه^(١).

كما يجب أن يربى الولد على الأخلاق الحميدة كالصدق والوفاء والأمانة والعفة.. ويتعلم حقوق والديه وإخوته وجيرانه..

وبالجملة يجب تعليم الطفل أحكام الدين وتعاليمه لا سيما تلك المتعلقة بالحلal والحرام في الأقوال والأفعال والمعاملات.

وعلى الوالدين أن يروّحوا عن أولادهما حتى لا يملوا أداء الشعائر الدينية فيعلموهم السباحة والرماية.. كما قال سهل بن حنيف رضي الله عنه كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: (أن علموا صبيانكم العموم..)^(٢).

الفرع الثاني: المراقبة والتوجيه:

ولا تقتصر وظيفة المربي في التعليم على إصدار الأوامر والنواهي فقط، بل لابد من متابعة ومراقبة تطبيقها حتى تجدي وتثمر وتوجه الوجهه السليمة. والمقصود بالمراقبة هنا ملاحظة الولد ومتابعته في الجانب الإيماني والخلقي والسؤال المستمر عن تصرفاته وسلوكه.

وتعد مراقبة الوالدين ومتابعتهم لتصرفات وسلوكيات أولادهما أمراً مهماً في تقويم الأولاد وإصلاحهم، فمن خلالها يمكن للوالدين أن يطلعوا على أخطاء الأولاد ومعاصيهم ومن ثم يقومان بواجبهما في التوجيه واتخاذ ما يلزم قبل أن يتعرض الأولاد للانحراف والضلال، ولا شك أن ذلك من مسؤولية

(١) كما في حديث أبي سلمة رضي الله عنه يقول: كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) سبق تخريجه.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الفرائض، (رقم ٦٠٣٧، ج ١٣، ص ٤٠٠).

الوالدين في التربية وإليها أشار قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١).

ولا ريب أن وقاية الأولاد من النار تُلزم الوالدين بتربية أولادهما ومراقبتهم وتوجيههم، والأمر بالشيء أمر بلازمه^(٢) لذا قال قتادة في تفسيره للآية: «فإذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها»^(٣).

وقال ﷺ: (الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...)^(٤).

ومراقبة الأولاد ومتابعتهم جزء من مسؤولية الوالدين في التربية، وقد كان النبي ﷺ يراقب من تحت ولايته من الأولاد ويوجههم، فهذا عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه كان غلاماً في حجر النبي ﷺ تطيش يده في الصفحة أثناء الأكل فيلاحظ ذلك النبي ﷺ ويوجهه^(٥).

وعلى الوالدين مسؤولية تفقد أولادهما في معاملاتهم وعباداتهم، وتصحيح أخطائهم، وملاحظتهم ومتابعتهم، وتوجيه سلوكهم وتصرفاتهم الوجهة السليمة، ولا سيما ما يتلقونه من مبادئ وأفكار في مؤسسات التعليم وغيرها، فإن وجد الوالد خيراً عزّزه، وإن وجد غيره فعليه إنكار ذلك وتوجيه ولده نحو المبادئ والأفكار الصحيحة السليمة وغرسها في نفسه ليكون الولد بمنجاة من

(١) سورة التحريم، الآية [٦].

(٢) انظر: التدابير الواقية من المخدرات، (ص ١٦٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

الأفكار المنحرفة ، وعليه أيضاً تفقد ما يطالعه الولد من مجلات ونشرات ، فإن كانت تحمل أفكاراً خبيثة وصوراً إباحية حذرته منها ووجهه إلى البديل النافع . وعليه السؤال المستمر عن رفقاء ولده وتتبع أحوالهم ، فإن كانوا من الصالحين وثق علاقته بهم ، وإن كانوا خلاف ذلك حذرته منهم ومنعه من مصاحبته ، ووجهه إلى حسن اختيار الأصدقاء ممن يتحلون بالأخلاق الحميدة ، فالمرء على دين خليله^(١) .

كما عليه أن يراقب ويتابع أخلاقه وسلوكياته ، فإن لاحظ الوالد على ولده اقتناء بعض القصص السلبية ، أو مشاهدة الأفلام الهابطة ، أو رغبة في محادثة النساء والجلوس معهن ، فلا بد من معالجة هذا الأمر بمصادرة تلك الوسائل من المنزل وتوجيه الولد إلى غض البصر والكف عن الحرام ، وإرشاده إلى الصوم وإعانتته وتشجيعه على الزواج المبكر ليحفظه ويصونه من الانحراف . وهكذا البنت أيضاً لا بد أن تُتابع وتُراقب ، فإنها قد تتبادل مع زميلات لها بعض القصص والأشرطة أو غيرها بلا تمييز بين الصالح والفساد منها ، وقد تجالس رفيقات سوء مما يؤدي بها إلى الانحراف .

فالملاحظة والمراقبة من أعظم الطرق في كشف الحقائق المستورة لدى الولد ، حيث تعطي المربي الصورة الحقيقية الكاملة عن أخلاق الولد وسلوكه^(٢) ليتمكن من معرفة الأخطار التي تحيط به فيبعده عنها قبل أن تكون سبباً في انحرافه وانتكاسته عن دينه .

(١) لقول النبي ﷺ : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) سبق تخريجه .

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام ، عبدالله علوان ، (ج ٢ ، ص ٦٩٨ - ٧٠٠) .

الفرع الثالث: التأديب؛

إذا لم يجد النصح والمتابعة والتوجيه مع الولد فهو بحاجة إلى العلاج بالتأديب، كي يعلم بأن الأمر جد لا هزل، ولكي يحس بألم التأديب ويعرف قيمة الحنان والعاطفة من والديه قبل التأديب، وحتى يشعر بضرورة الانقياد والطاعة وحسن الخلق والسيرة^(١).

والتأديب له دوره في تعديل السلوك وتوجيهه^(٢)، وهو أسلوب تربوي جيد يقصده به إنزال العقوبة الفعلية بالإنسان المقصر أو المسيء^(٣).

ولهذا شرعه الإسلام وأمر به عند الحاجة قال ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر)^(٤) وأمر النبي ﷺ بتعليق السوط في البيت^(٥). وقد اختلف التربويون في السن الذي يستعمل فيه العقاب البدني مع الطفل، فقال بعضهم: إن الضرب لا يستعمل مع الطفل إلا عند العاشرة وبعد التدرج معه استناداً إلى أن ضرب الطفل على ترك الصلاة لا يكون إلا عند العاشرة فغيرها من الأمور من باب أولى.

وقيل: بل يشرع الضرب قبل سن العاشرة لتأديب الطفل وتوجيهه لاسيما أن بعض الأطفال قد يكون عنيداً فلا يجدي معه التوجيه فقط.

(١) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، (ص ٣٥٩).

(٢) مسؤولية الأب المسلم، (ص ٨٤).

(٣) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن البابطين، (ص ٦١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم ١٢٢٩، ص ٤٢١).

والتأديب ليس عملاً انتقامياً من الطفل وإنما هدفه تربوي^(١)، وبالتالي على الوالد أن يعي أنه آخر العلاج وألا يكثر منه، فإن اعتاده الطفل عند كل خطأ يقع منه قل تأثيره ونفعه ولم تفلح معه عقوبة.

ويقول الغزالي: «ولا تكثر القول عليه بالعقاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه»^(٢).

ولكي يحقق العقاب أهدافه ومنافعه لابد أن يراعى فيه أمور منها:

أولاً: يصحح الخطأ للطفل^(٣) ليعلم سبب العقاب فيستفيد منه، وهذا منهج النبي ﷺ في التربية؛ إذ حينما أخذ الحسن بن علي - رضي الله عنهما - تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه قال له النبي ﷺ: (كخ كخ ليطحها)، ثم قال: (أما شعرت أنا لا نأكل تمر الصدقة)^(٤)، وكخ كخ كلمة زجر للصبي عن المستقذرات، وكان الحسن ﷺ صبياً^(٥).

ثانياً: إن لم ينتفع الطفل بالتصحيح الفكري كان التأديب حقاً لازماً عليه، ولكن يتدرج معه في العقوبة كالهجر والحرمان من المصروف وغيرها من العقوبات النفسية^(٦).

(١) منهج التربية النبوية للطفل، (ص ٣٦٠).

(٢) مسؤولية الأب المسلم، (ص ٨٤).

(٣) المهذب من إحياء علوم الدين، (ج ٣، ص ٥٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ١٤٢٠، ج ٢، ص ٥٤٢).

(٥) رياض الصالحين، النووي، تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد الدقاق، (ج ١، ص ١٣٠).

(٦) انظر: مسؤولية الأب المسلم (ص ٨٤).

ثالثاً: إن لم تفلح معه هذه الأمور نصل به إلى العقوبات البدنية كشد الأذن، ورؤية السوط^(١) لقول النبي ﷺ: (علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب)^(٢).

وإن لم يجد هذا كله واستمر على العناد والمشاكسة يكون الضرب بضوابطه الشرعية^(٣).

الفرع الرابع: شغل أوقات فراغ الأولاد بالمفيد:

قد تكون أوقات الفراغ لدى الأولاد سبباً في الملل والسآمة ومن ثم صرفها فيما يعود عليهم بالضرر الذي قد يؤدي بهم إلى الانحراف. فبعض الأسر لا تهتم بهذه الأوقات ولا تلقي لها اعتباراً فتضيع هذه الأوقات هدرًا، بل إن من الأسر من تشغل أوقات الأولاد بما يعود عليهم بالضرر، كمشاهدة الأفلام الهابطة وسماع الأغاني الماجنة وزيارة الأماكن السيئة، وهذا الأمر بلا شك يشكل خطراً عظيماً على أخلاق الأولاد وسلوكهم ويكون سبباً كبيراً في ضلالهم وانتكاستهم.

لذا تكون على الوالدين مسؤولية توجيه أولادهما للانتفاع بأوقاتهم واستغلالها بالمفيد والنافع لا سيما في الإجازات الطويلة كتشجيعهم على حفظ القرآن وبعض المتون العلمية وقراءة الكتب النافعة ومكافأتهم على ذلك، أو

(١) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، (ص ٣٦٥-٣٦٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (رقم ١٠٦٧١، ج ١٠، ص ٢٨٤). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (ج ٣، ص ٤٣٢).

(٣) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، (ص ٣٦٧-٣٧٢)، وأساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، (ص ٦٦-٦٧).

طرح مسابقات ثقافية لتوجيههم للبحث عن الإجابات للاستفادة منها، أو ترتيب زيارات للمكتبات والمراكز الإسلامية أو إلحاقهم بالمراكز الصيفية النافعة والأندية الرياضية الهادفة، أو اصطحابهم في رحلات برية للمتعة والفائدة، فإن لم يتمكن الوالدان من ذلك يمكنهما تكليف الأولاد القيام بجزء من الأعمال والمسؤوليات المنزلية لإشغالهم عن الباطل والرفقة السيئة. فاستغلال أوقات الأولاد وشغلها بالمفيد أو المباح يعينهم على الانتفاع بأوقاتهم، ويحول دون شغلها بالباطل أو الوقوع في الحرام المؤدي إلى الانتكاسة. والحاصل أن الوالدين لهما أثر عظيم في حفظ أولادهما ووقايتهم من الانحراف والضلال إذا ما توفرت لهما مقومات الشخصية التربوية وقاما بمسؤوليتهما في التربية خير قيام.

المبحث الثاني

مسؤولية الزوج

تمهيد

الحياة الزوجية ليست منحصرة في إشباع الغرائز فقط، بل هي مسؤولية عظيمة تقع على عاتق الزوج، ومسؤوليته تجاهها من أهم المسؤوليات التي يمكن أن تحقق للزوجة سلامة الدين والثبات عليه، والزوجة أيضاً عليها جزء من هذه المسؤولية، ولها دورها الكبير وأثرها العظيم في إعانة زوجها على دينه وثباته على عفته وطهارته بقيامها بواجباتها وحقوقه عليها. والحديث عن هذه المسؤولية يتحقق من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول

أهمية الزواج

للزواج منافع عظيمة وغايات نبيلة، وهو الأساس الذي تقوم عليه الأسرة نواة المجتمع، لذلك شرعه الإسلام وندب إليه قال الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَّةً وَرَئِيعًا﴾^(١) وامتن به على عباده فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٢) فهي نعمة سيحاسب عليها العبد يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (فيقول الله جل وعلا ألم أخلقك، ألم أجعلك سميعاً بصيراً، ألم أزوجك) الحديث^(٣)،

(١) سورة النساء، الآية [٣].

(٢) سورة الأعراف، الآية [١٨٩].

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (رقم ٧٤٤٥، ج ١٦، ص ٤٧٨).

وهي من سنن المصطفى ﷺ، ففي الحديث: (أما والله إنني أخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(١).

والنكاح مجال اجتماعي يحقق التقارب بين الأسر عن طريق المصاهرة^(٢)، وهو استمرار لبقاء الإنسان، ووسيلة لتكثير سواد الأمة لقول النبي ﷺ: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)^(٣).

وهو الطريق لإشباع الحاجات الجسمية والعاطفية^(٤) للإنسان، فالجسم بحاجة إلى تلبية غريزته الجنسية، والنكاح يشبعها، ومن ثم يقلل من الدوافع الجنسية عند الرجل والمرأة فيقيهما من الانحراف والوقوع في الزنا والمحرمات والأمراض الخطيرة، وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج)^(٥)، ففي هذا الحديث إخبار أن الزواج وسيلة لغض البصر عن النظر المحرم وحفظ للفرج من الوقوع في الزنا.

وفي الزواج كذلك تستقر العواطف وتسكن، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(١) سبق تخريجه.

(٢) الطفل في الشريعة الإسلامية، (ص ١٠٥).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٢٦٨٥، ج ٢، ص ١٧٦). وقال: حديث صحيح الإسناد.

(٤) الطفل في الشريعة الإسلامية، (١٠٥).

(٥) سبق تخريجه.

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^(١)، قال ابن كثير: «لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» أي ليألفها الزوج ويسكن بها^(٢).

«وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً» هي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبه لها أو لرحمته بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك^(٣).

فالنكاح له حكم عظيمة ومنافع عديدة تعود على الزوج والزوجة والأولاد، وهو أمن للمجتمعات من التفكك ووقاية له من الانحرافات والجرائم والأمراض.

المطلب الثاني

أثر الزوج في تحقيق الوقاية من الانتكاسة

والحديث عن أثر الزوج في المحافظة على زوجته ووقايتها من الانتكاسة سيكون من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: قيام الزوج بحقوق الزوجة:

إن من أعظم أهداف الزواج وغاياته السامية تهيئة الحياة الطيبة لعبادة الله والقيام بطاعته واجتناب نواهيه والثبات على ذلك، وقد اشتملت الحياة الزوجية على حقوق ومسؤوليات لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وكُلِّف الزوج بأداء هذه الحقوق والقيام بتلك المسؤوليات تجاه زوجته، ومن أهمها

(١) سورة الروم، الآية [٢١].

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج ٢، ص ٢٣٨).

(٣) المصدر السابق، (ج ٣، ص ٣٦٨).

القيام بواجب النصح والتوجيه ، وإليه أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١) فالآية تطالب الزوج بالقيام بمسؤولية وقاية الزوجة والأولاد مما يوجب دخول النار وبذل الأسباب المعينة على حفظهم وصيانتهم من الانحراف والضلال.

يقول أبو حيان في تفسيره : «لما وعظ أزواج رسول الله ﷺ موعظة خاصة ، أتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم وعطف وأهليكم على أنفسكم لأن رب المنزل راع وهو مسؤول عن أهله ، ومعنى وقايتهم حملهم على طاعته وإلزامهم أداء ما فرض عليهم ، قال عمر : يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا ؟ قال : [تنهونهن عما نهاكم الله تعالى عنه ، وتأمرونهن بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار]»^(٢).

وقال الله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٣) وهذا أيضاً بيان لجزء من مسؤولية الزوج تجاه زوجته بتذكيرها وأمرها بالصلاة. ويؤكد النبي ﷺ هذه المسؤولية بقوله للذين وفدوا إليه وأرادوا الإقامة معه : (ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم)^(٤) وقول علي عليه السلام في تفسير الآية : (قوا أنفسكم وأهليكم). قال : (علموا أنفسكم وأهليكم الخير)^(٥).

(١) سورة التحريم ، الآية [٦].

(٢) تفسير البحر المحيط ، (ج ١ ، ص ٢٩٢).

(٣) سورة طه ، الآية [١٣٢].

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٣٨٢٦ ، ج ٢ ، ص ٥٣٦). وقال حديث صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه.

وقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ زوجته فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل وصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء)^(١).

وفي هذا الحديث حث للزوج على إعانة زوجته للقيام بطاعة الله، وكذا الزوجة فإن لها نصيب كبير من هذه المسؤولية لا يقل أثراً عن مسؤولية الزوج، فهي مطالبة بتذكير الزوج ونصحه إذا ما رأت منه بعض التقصير والتفريط في أمور دينه، والزوج لن يستغني عن نصح زوجته وإعانتها له على أمور دينه ولو كان من أهل العلم والدعوة فهو بحاجة إلى تهئية الجو الذي يؤهله للقيام بواجبه، وعليها أن تصبر وتحسب على انشغاله عنها في سبيل تحصيل العلم والقيام بواجب الدعوة إلى الله، فكم من رجل ترك الدعوة وانقطع عن طلب العلم بسبب انشغاله بزوجته وطلباتها.

وللزوجة - أيضاً - على زوجها حقوق أخرى مادية كالنفقة والمعاشرة بالمعروف لا تقل أهمية عما ذكرنا لما في تحقيقها وأدائها من أثر عظيم في حفظ الزوجة وصيانتها من الانحراف، فعلى الزوج القيام بواجب نفقة زوجته ليغنيها عن السؤال وطلب الحرام، وأن يعاشرها بالمعروف ولا ينشغل عنها أو يتغيب كثيراً ليعفها عن الحرام، فبعض النساء قد تنحرف ويكون سبب ذلك حاجتها المادية أو الجنسية، وهذا بلا ريب بسبب تقصير الزوج في أداء ما عليه من حقوق ومسؤوليات.

والمرأة كذلك لا بد أن تؤدي حقوق زوجها لا سيما ما يتعلق بحاجته الجنسية لتعفه عن الحرام وتبعده عن المعاصي والآثام وتهيء له السكن المريح ليستقر في بيته ويطمئن، ويترك السفر والسهر خارج المنزل.

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (رقم ١١٤٨، ج ٢، ص ١٨٣).

فلا بد أن يدرك كلا الزوجين هذه المسؤولية، وأن يقوموا بما يجب عليهما من حقوق وواجبات تجاه بعضهما من النصيح والمتابعة والتوجيه وأداء الحقوق على الوجه المطلوب، ليتحقق بذلك الهدف المنشود من سلامة الدين والثبات عليه والوقاية من الانتكاسة.

الفرع الثاني: صيانة البيت من دخول عوامل هدم الدين وفساد الأخلاق:

ولكي تتحقق مسؤولية الزوج بوقاية زوجته من الانحراف والضلال لا بد أن يحافظ على بيت الزوجية من دخول عوامل الهدم والفساد إليه، فهو المسؤول الأول عن ذلك قال ﷺ: (والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته)^(١).

ومن أخطر هذه العوامل أثراً وأشدّها ضرراً أجهزة الإعلام اليوم سواءً منها المقروءة أو المسموعة أو المرئية، فهي تهدد بيت الزوجية بالدمار بما تبثه من أفكار منحرفة ومشاهد وصور خليعة تدعو إلى الرذيلة، ففيها قتل للوقت وإضاعة للعمر وتمزق لوحدة الأسر بما تثيره بعض المواد الإعلامية من الأحقاد والمكر بين أفراد الأسرة، كما تعود المسلم على عدم غض البصر بإطالة النظر إلى غير المحارم، مما يؤدي إلى بلادة الحس الإيماني فيسبب كثيراً من المشكلات الاجتماعية التي تصل إلى فراق الزوج لزوجته^(٢).

ولا شك أن هذا كله سيشغل الزوجين عن القيام بمسؤولياتهما داخل الأسرة وهذا وحده يهدد كيانه واستمرارها.

(١) سبق تفريجه.

(٢) انظر: التلفزيون بين المنافع والمضار، عوض منصور، (ص ١٦-١٨-٢١-٣٨).

فالواجب على المسلم أن لا يكون التلفاز ونحوه من وسائل الإعلام الهدامة من مستلزمات تأثيث المنزل، وذلك حفاظاً على نفسه وأهله وذريته^(١). وعلى المرأة أن تقوم بواجب النصح للزوج المتساهل في هذا الأمر وتحذيره من خطورة مشاهدة ما تعرضه تلك الوسائل.

والزوج هو المسؤول الأول عن هذا الأمر، فعليه أن يتقي الله في أهله وولده، وأن يقوم بمسؤوليته خير قيام وأن يصون بيته من هذه العوامل الضارة، وأن يحول دون دخول ما يفسد هذا البيت ويهدمه، كي تتحقق قوامته، وتثمر وقايته لأهله من الانحراف والضلال.

الفرع الثالث: استغلال أوقات الفراغ بالمفيد:

إذا كان الزوج مطالباً بصيانة بيته وحفظه من الوسائل الترفيهية الضارة فعليه أن يُوجد بديل ذلك لشغل أوقات الفراغ لدى الزوج بما ينفعها. فالوقت هو أنفس ما يملك الإنسان، لذلك قال النبي ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)^(٢) ولهذا يجب حفظه واستغلاله فيما يعود على المسلم بالنفع في الدنيا والآخرة. والفراغ ليس سبباً للفساد إلا إذا ضُيِّع في معصية الرحمن والبحث عن المتع والشهوات.

ولذا يجب على الزوج البحث عن السبل التي بواسطتها يشغل وقت زوجته بالمفيد وترغيبها وحثها على كثرة التنفل أو توجيهها إلى القراءة والاطلاع في

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم، (ص ٥٤٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس (رقم ٤٩، ج ٥، ص ٢٣٥٧).

الكتب النافعة، وتشجيعها على القيام بواجب الدعوة بين أخواتها إذا كانت مؤهلة لذلك، أو يشغلها بأنواع من الترفيه المباح وإن لم يكن نافعا حتى لا تقضي هذا الوقت في الباطل.

وإذا لم يستطع الزوج أن يوجه زوجته لهذه الأمور النافعة فعليه أن يشغلها بالأعمال المنزلية كالطبخ والتنظيف والحياكة والعناية بالأطفال حتى لا يجلب الخدم فيفسدون أكثر مما يصلحون.

والزوجة مطالبة أيضاً ببحث زوجها وإعانتة ليستغل وقته بالمفيد من أداء النوافل وتحصيل العلم والقيام بواجب الدعوة، وإن لم يكن من أهل ذلك فلتشغله بالجلوس مع أولاده ومتابعتهم وبزيارة أقاربه.. حتى ينشغل عن كثرة الخروج من المنزل وطول السهر مع رفقاء السوء أو اللجوء للسفر إلى البلدان التي تؤثر على عقيدته وأخلاقه.

فالْحَاصِلُ أن الزوج عليه مسؤولية كبيرة تجاه زوجته وله أثر عظيم في حفظها ووقايتها من الانحراف والانتكاسة عن دينها إذ ما قام بحقوقها وواجباتها خير قيام.

المبحث الثالث

مسؤولية الإخوة

تمهيد

لا تقتصر المسؤولية على الوالدين وحدهم في وقاية أولادهما من الانحراف والضلال بل على إخوانهم داخل الأسرة جزء من هذه المسؤولية لما لهم وعليهم من حقوق وواجبات تجاه إخوانهم.

وستحدث عن هذه المسؤولية من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

القيام بواجب النصح والإرشاد والتحذير من الفساد

تعد النصيحة من أعظم حقوق الأخ على أخيه لما لها من أثر حميد في حفظ الدين ، وسلامة الأخ من الانتكاسة قال ﷺ : (الدين النصيحة). قلنا : لمن ؟ قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(١).

وإذا كان المسلم مطالباً بالقيام بواجب النصح لإخوانه المسلمين فأخوه من أمه وأبيه أولى بهذا الحق وأقرب ونصحه أيسر لمعرفته بأفكاره واتجاهاته وعلاقاته وسلوكياته وبذلك يكون نصحه أوجب وأنفع.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية ذلك وضرب لنا نماذج من نصائح الإخوة النافعة ، منها ما حكاه الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام حيث قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

(١) رواه مسلم في صحيحه عن تميم الداري (رقم ٥٥ ، ج ١ ، ص ٧٤).

الْمُفْسِدِينَ»^(١) فأمره بالإصلاح وحذره ونهاه عن سبل الإفساد، قال ابن كثير في تفسيره: «ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد، وهذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله»^(٢).

وكان أنفع أخ لأخيه^(٣) حينما سأل له النبوة في قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي مَثْرُونًا خِي﴾ ﴿أَشَدُّ بِهِ أَرْزَى﴾ ﴿وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي﴾^(٤) قال الطبري: ﴿وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: واجعله نبياً مثل ما جعلتني نبياً^(٥). وهذا من بركة دعاء موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام، ومن تمام حرصه وإشفاقه عليه دعاؤه له في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٦) فقد دعا موسى علي السلام لأخيه هارون عليه السلام وأشركه في الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة به^(٧).

فينبغي لنا أن نتخذ من موقف موسى مع أخيه قدوة لنا وأن نقوم بمسؤولياتنا تجاه إخوتنا ببذل النصيح والإرشاد والسعي لصلاحهم، وتحذيرهم من الوقوع في برائن الفساد والانحراف ليكون ذلك وقاية لهم من الانتكاسة عن دينهم.

(١) سورة الأعراف، الآية [١٤٢].

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج ٢، ص ٢١٢).

(٣) المصدر نفسه، (ج ٣، ص ١٢٩).

(٤) سورة: طه، الآيات [٢٩ - ٣٠].

(٥) جامع البيان، (ج ١٦، ص ١٦٠).

(٦) سورة الأعراف، الآية [١٥١].

(٧) تفسير الجلالين، (ص ٢١٥).

المطلب الثاني

التعاون مع الوالدين في متابعة الأخ لأخيه وتوجيهه

من المهمات التي ينبغي أن يقوم بها الأخ في سبيل المحافظة على أخيه من الانحراف السعي بالتعاون مع الوالدين في متابعته ومراقبته وتوجيهه، ولا سيما أن الأخ هو ألصق الناس بأخيه وأقوى صلة به لقربه من سنه وأفكاره، وربما أطلعته على أمور لا يطلع والده عليها ولذلك فهو أقدر الناس على اكتشاف علاقاته وسلوكياته، ومعرفة محاسن ومساوئ رفقائه، وأعلم بما يقتنيه من كتب ومجلات وما يحمله من مبادئ وأفكار، وهذه أمور تعين الأخ على تسهيل مهمته وتيسير متابعته لأخيه ومعرفة أخطائه وإطلاع الوالدين على الأمور المهمة منها مع أخذ الحيطة والحذر حتى لا تتأثر علاقته بأخيه، ومن ثم يتعاون مع والديه في تصحيح هذه الأخطاء وتوجيهه إلى البدائل النافعة من الرفقة الطيبة والكتب المفيدة والعمل على سد فراغه وإشغال وقته بالمفيد أو الترفيه البريء ولو بجوائز تشجيعية وحوافز مادية حتى لا يجد له فرصة لاقتراف تلك الأخطاء التي تفضي به إلى الانحراف.

وهذا الواجب يلزم الأخ القيام به في حياة الأب وبعد مماته، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يهتمون بهذا الجانب ويقومون بشؤون إخوتهم ورعاية مصالحهم وتربيتهم في حياة والديهم وبعد مماتهم، كما فعل جابر رضي الله عنه حينما توفي والداه وترك له أخوات صغار، فلما هم بالزواج تزوج ثيباً، فقال له رسول الله ﷺ: (هلا تزوجت بكرةً تلاعبها وتلاعبك؟)، قال: يا رسول الله. توفي والدي وترك لي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهن ولا

تقوم عليهن فتزوجت ثيباً لتقوم عليهن وتؤدبهن^(١)، فلنا في صحابة رسول الله ﷺ قدوة حسنة.

وبذلك يكون الأخ قد قام بمسؤوليته تجاه أخيه بالمحافظة على دينه ووقايته من الانتكاسة.

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٨٠٥، ج ٣، ص ١٠٨٣).

المبحث الرابع

مسؤولية عامة الأقارب

تمهيد

الأقارب هم قرابة الإنسان من قبل أمه وأبيه، ولهم دورهم ومسؤوليتهم وأثرهم في الوقاية من الانتكاسة لالمهم من شأن عظيم ومكانة رفيعة حث عليها الدين.

وستتضح هذه المسؤولية من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول

مكانة الأقارب وحقوقهم في الإسلام

اعتنى الشرع بأمر الأقارب ووصى ببرهم وصلتهم قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١)، قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره للآية: (اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الله في الأرحام فصلوها)^(٢).
وأثنى الله تعالى على الذين يصلون أرحامهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ثم قال عز وجل: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية [١].

(٢) جامع البيان، (ج ٤، ص ٢٢٧).

(٣) سورة الرعد، الآية [٢١-٢٣].

وجاءت السنة تؤكد هذا الحق وتحث على أدائه فقال ﷺ: (من سره أن ييسط له في رزقه وينسأ^(١) له في أثره^(٢) فليصل رحمه)^(٣).

كما حذر الإسلام من الإساءة إلى الأقارب وحرم قطيعتهم قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَوْحَامَكُمْ﴾^(٤).

ولعظم أمر القطيعة وحرمتها، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٥). قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: «والذي رغب الله في وصله وذر على قطعه في هذه الآية الرحم»^(٦). وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث القدسي عن مكانة الرحم عند الله فقال: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، يا رب. قال: فهو لك)^(٧)، والمراد من الحديث: تعظيم شأن الرحم وفضل واصلها وإثم قاطعها^(٨). ففي الحديث وعيد شديد لمن قطع رحمه وضع حقوقها. فهذه النصوص بينت منزلة الأقارب ومكانتهم وعناية الإسلام بحقوقهم والدعوة للقيام بها والتحذير من إهمالها.

(١) ينسأ: النساء: التأخير. انظر: غريب الحديث، ابن الجوزي، (ج ٢، ص ٤٠٤).

(٢) أثره: أي أجله. انظر: المصدر السابق، (ج ١، ص ١٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٦٤٠، ج ٥، ص ٢٢٣٢).

(٤) سورة محمد، الآية [٢٢].

(٥) سورة الرعد، الآية [٢٥].

(٦) جامع البيان، (ج ١، ص ١٨٤).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٦٤١، ج ٥، ص ٢٢٣٢).

(٨) فتح الباري، (ج ٨، ص ٥٨٠).

المطلب الثاني

أثر عامة الأقارب في الوقاية من الانتكاسة

حقوق الأقارب عظيمة والإحسان إليهم ببرهم وصلتهم بالمعروف لا تقتصر على زيارتهم ومساعدتهم على أمور دنياهم، بل إن أعظم برهم والإحسان إليهم إعانتهم على أمر دينهم بنصحهم وتوجيههم وإرشادهم وإنكار معاصيهم وتقويم أخطائهم، لما في ذلك من الأثر الطيب في استقامة سلوكهم وحفظ دينهم وصيانتهم من الضلال، يقول ابن حجر: «إن من حقوق الأرحام تفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم، وتكون صلة الرحم بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالדعاء لهم، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، فإن كانوا فجاراً فصلتهم ببذل الجهد في وعظهم والدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى»^(١).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وأولى الناس بهذه الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف هم القرابة، فالأقربون أولى بالمعروف، والله سبحانه حينما كلف نبيه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام أمره أن يبدأ بعشيرته الأقربين فقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣).

(١) فتح الباري، (ج ١٠، ص ٤١٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية [١٠٤].

(٣) سورة الشعراء، الآية [٢١٤].

فهم أولى لقربهم وصلتهم ، وقال الضحاك في قول الله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ^(١) : « حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرضه الله عليهم ونهاهم الله عنه » ^(٢).

لذا يجب على القريب القيام بهذا الحق تجاه قريبه من حيث النصح والتوجيه والإرشاد ، وإعانتته على ذلك ليتحقق له الوقاية من الانتكاسة.

(١) سورة التحريم ، الآية [٦].

(٢) تفسير القرآن العظيم ، (ج ٤ ، ص ٣٤٢).



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة



الفصل الرابع

التدابير الاجتماعية والتعليمية والإعلامية الواقية من انتكاسة المسلم

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التدابير الاجتماعية الواقية من الانتكاسة.

المبحث الثاني: التدابير التعليمية الواقية من الانتكاسة.

المبحث الثالث: التدابير الإعلامية الواقية من الانتكاسة.





تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosailimiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

تمهيد

تعد المؤسسات الاجتماعية ومراكز التعليم ووسائل الإعلام من المؤثرات التي تؤثر على الفرد سلباً وإيجاباً، فالمؤسسات الاجتماعية كالمساجد والجماعات تعد من المجتمعات الطيبة التي لها دورها الفاعل في صلاح الأفراد وحفظهم ووقايتهم من الانتكاسة بما تبثه من خطب ودروس ومحاضرات وما يقام فيها من عبادات وصلوات.

ويضاف إلى المؤسسات الاجتماعية تجمعات القرناء، فكما أن لها جوانب سلبية فإن لها جوانب إيجابية تتمثل في الرفقة الطيبة والتعاون على الوقاية من الانحراف والضلال.

كما يعد التعليم من أهم الرسائل التربوية التي يتم من خلالها توجيه الأفراد والمجتمعات، وتربيتهم والمحافظة عليهم من الانحراف، فالتعليم رسالة سامية لا يمكن أن تغفل أثرها في الوقاية من الانتكاسة.

ولوسائل الإعلام أيضاً مكانة مؤثرة بين أنظمة الدول وقوانينها نظراً لأهميتها البالغة في التأثير على الفرد والمجتمع.

وستحدث في هذا الفصل عن هذه الجوانب وأثرها في وقاية الأفراد من الانتكاسة من خلال المباحث التالية:

* المبحث الأول: التدابير الاجتماعية الوقائية من الانتكاسة.

* المبحث الثاني: التدابير التعليمية الوقائية من الانتكاسة.

* المبحث الثالث: التدابير الإعلامية الوقائية من الانتكاسة.

المبحث الأول

التدابير الاجتماعية الواقية من الانتكاسة

تمهيد

المجتمع هو الوسط الذي يعيش فيه الفرد مع جماعة تربطه بهم روابط مادية ومعنوية، من التجمع والتعاطف والاشتراك في الأغراض والمصالح والرعاية للأهداف العامة، ولذلك يوصف الناس بكونهم يعيشون في مجتمع عندما تجمعهم مصالح مشتركة ونظم اجتماعية ونمط ثقافي معين وتضمهم بقعة محددة^(١).

وهذا المجتمع تحكمه نظم وعادات وتقاليد تؤثر في أفرادهِ سلباً وإيجاباً، فالأفراد يتأثرون إلى حد كبير بالوسط الذي يعيشون فيه^(٢)، ولقوة هذا الأثر جاءت النصوص الشرعية توضحه وتؤكد عليه.

ومن أشهر هذه النصوص ما جاء في السنة النبوية من قصة الرجل الذي قتل مائة نفس^(٣) فهذه القصة تبين أثر المجتمع على سلوك الفرد، وأن المجتمع يعين أفرادهِ على الخير أو الشر.

وقد دل القرآن على ذلك حينما قرر عقوبة الزانية وإصلاحها بحبسها في البيت ومنعها من مخالطة الناس، ثم نسخ هذا الحكم بأفضل منه وأقوى أثراً في الإصلاح وهو التغريب عن البلد كما قال تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ

(١) التربية ومشكلات المجتمع، سيد إبراهيم الجيار، (ص ١٦-١٧).

(٢) التدابير الواقية من المخدرات، (ص ١٩٥-٢٢١).

(٣) سبق ذكرها وتغريبها.

نَسَآبِكُمْ فَاسْتَشْرِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ ۖ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ هُنَّ سَبِيلًا ۖ»^(١) ثم نسخ بقول النبي ﷺ: (فقد جعل الله لهن سبيلاً الشيب بالثيب، والبكر بالبكر، الثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة)^(٢).

وهكذا في جريمة الحراية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٣).

فالنفي والتغريب المقصود منه البعد عن أفراد المجتمع الذين وقعت بينهم الجريمة وهذا يعد علاجاً واستصلاحاً لهذا الفرد المنحرف.

وهذا يبين لنا قوة تأثير المجتمع على سلوك الأفراد سلباً وإيجاباً، فالمجتمع المحافظ المتمسك بالإسلام والأخلاق الفاضلة سيتأثر أفراد به بذلك، وهم في الغالب لن يخرجوا عن مجتمعهم بعادات وتقاليدهم مخالفة، أما إذا كان المجتمع له ديانات وعادات سيئة فسيؤثر أفراد به بذلك.

وهذا المجتمع إنما يقوم على أفراد الأسر والأحياء، ويحصل الاجتماع بينهم إما بسبب القرابة كما في الأسر أو بسبب الاشتراك في دراسة أو مهنة كما في المؤسسات التعليمية^(٤)، أو بالاجتماع في عبادة كما في المساجد، أو بالتجمع الحاصل بين القرناء في أي مكان وبهذا تتكون المؤسسات الاجتماعية.

(١) سورة النساء، الآية [١٥].

(٢) رواه مسلم، في صحيحه (رقم ١٦٩٠، ج ٣، ص ١٣١٦).

(٣) سورة المائدة، الآية [٣٣].

(٤) التدابير الواقية من المخدرات، (ص ٢٢٢).

وسيكون الحديث في هذا البحث عن مجتمعات المساجد وتجمعات القرناء فقط ، نظراً لأن مجتمع الأسرة قد سبق الحديث عنه في الفصل الثالث ، أما المؤسسات التعليمية فستحدث عنها في البحث الثاني من هذا الفصل ، وستكون دراسة هذا البحث من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول

أهمية المسجد وأثره في الوقاية من الانتكاسة

المسجد يعد من أهم المؤسسات الاجتماعية التي اعتنى بها الإسلام وحث على بنائها حيث قال ﷺ : (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)^(١) وقد اختصها الله بشرف العبادة الخالصة قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢) ولذلك كانت أحب البقاع إلى الله لقول النبي ﷺ : (أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)^(٣).

والمسجد مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي المحسوس فلا تكتمل الجماعة إلا بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض^(٤) ، ليلتقوا ويتعارفوا ويتآخوا ويتباحثوا شؤونهم ، ويتحقق بذلك أهداف كثيرة^(٥) ، وهو منطلق الحياة الإسلامية الصحيحة ، ومركز التوجه إلى الله ، ومنه يعرف الناس أمور دينهم ،

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٤٣٩ ، ج ١ ، ص ١٧٢).

(٢) سورة الجن ، الآية [١٨].

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٦٧١ ، ج ١ ، ص ٤٦٤).

(٤) المساجد ، حسين مؤنس ، (ص ٤٣).

(٥) من أجل مسجد فاعل ، عبدالرحمن اللعبون ، (ص ٩).

ويتلقون كل ما يأتي من خلاله بالقبول^(١)، وهو مؤسسة تعبدية تقام فيه الصلاة وتؤدي فيه الشعائر الدينية، وهو ساحة اجتماعية، ودار علمية، ومدرسة تعليمية، ومركز توجيه وتربية، ومكان للقاء والمصالح، فالمسجد مجتمع متكامل مترابط متأخ يربط الحياة الدنيا بالآخرة^(٢).

وللمسجد أثر عظيم على سلوك الأفراد وإيمانهم، فهو مكان للصلاة، وتقام فيه كثير من العبادات، وفيه الجو الإيمانى الذي يزيد من نشاط المؤمن في طاعة الله تعالى وعبادته فيقوى إيمانه ضد وساوس الشيطان وخطراته^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٤).

ولو تصفح الإنسان التاريخ وقلب صفحاته لوجد أن العصور التي كانت للمساجد فيها مكانتها ونشاطها تميزت بقلّة المنكرات بقدر ما ارتفعت فيها مكانة المساجد، وأن العصور التي انخفضت فيها هيبة المساجد في نفوس الناس كثرت فيها المنكرات بمقدار قلة هيبة المساجد^(٥).

وهذا الأثر إنما يتحقق بما يلقي في المسجد من الخطب والدروس والمحاضرات وما يؤدي فيه من العبادات والشعائر الدينية، ومن أهم هذه العبادات فريضة الصلاة وقد سبق الحديث عن أهميتها وأثرها في وقاية المسلم من الانتكاسة، فيبقى الحديث هنا عن آدائها جماعة في المسجد، وأثر ذلك في وقاية المسلم من الانتكاسة.

(١) الوسائل الأساسية لنشر الدعوة الإسلامية، (ص ٤٩-٥٠).

(٢) انظر: منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم، أبو أسامة محيي الدين، (ص ٣٠-٣١).

(٣) التدابير الواقية من المخدرات، (ص ٢٠٢).

(٤) سورة الحجر، الآية [٤٢].

(٥) انظر: المسجد ودوره في الإسلام، أحمد خليفة الحمادي، (ص ٦٧).

وسيكون الحديث عن هذا المطلب من خلال الفرعين التاليين :

الفرع الأول: أهمية صلاة الجماعة وأثرها في الوقاية من الانتكاسة :

لقد اهتم الإسلام اهتماماً عظيماً بفريضة الصلاة، وحذر من تركها والتهاون بها، وشرع لها اجتماعاً في المساجد، كل يوم وليلة خمس مرات للصلوات المفروضة، وكل أسبوع لصلاة الجمعة، واجتماعين سنوياً لصلاة العيدين.

وجاء الإسلام بالحث عليها وبيان فضلها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً)^(١) وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لو يعلم الناس ما في النداء، والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا)^(٢).

ولم يبح الشارع الحكيم التخلف عن هذه الجماعة، ذلك فقد أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال : يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد وسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فيصلّي في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال : (هل تسمع النداء بالصلاة؟) فقال : نعم، قال : (فأجب)^(٣).

وعن عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه قال : يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع. فقال رسول الله ﷺ : (أسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح؟) قال : نعم. قال : (فحيها)^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٢٠، ج ١، ص ٢٣٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٥٩٠، ج ١، ص ٢٢٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٦٥٣، ج ١، ص ٤٥٢).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (رقم ٩٠١، ج ١، ص ٣٧٤). وقال صحيح الإسناد.

ولم يكتف النبي ﷺ بهذا التأكيد بل همّ بتحريق البيوت على المتخلفين عن صلاة الجماعة، كما روى أبو هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم)^(١).

وهكذا كان اهتمام الصحابة بصلاة الجماعة، فقد قال ابن مسعود ؓ: (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم... إلى أن قال: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف)^(٢).
فصلاة الجماعة فرض على الرجال في الحضر والسفر وفي حالة الأمان وحالة الخوف^(٣).

وصلاة الجماعة تربية اجتماعية رشيدة تهدف إلى تحقيق مصالح ومنافع للمسلمين باجتماعهم في مكان واحد، تذوب فيه الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون ويحصل فيه من التعارف ما يحقق الألفة والمودة بين المسلمين^(٤)، لذلك كان النبي ﷺ يسوي صفوف أصحابه، ويقول: (استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم)^(٥) لأن تسوية الصفوف وإلحاق المناكب بالمناكب والأقدام بالأقدام يؤدي إلى ربط القلوب المؤمنة برباط من العواطف الإيمانية الخالصة.

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦١٨، ج ١، ص ٢٣١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٦٥٤، ج ١، ص ٤٥٣).

(٣) الملخص الفقهي، (ج ١، ص ١٣٣).

(٤) انظر: الصلاة، عبدالله الطيار، (ص ٣٢٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٤٣٢، ج ١، ص ٣٢٣).

وفي حضور هذه الجماعة تعليم للجاهل وتذكير للغافل ، حيث يتلقى النصح والإرشاد من إخوانه المسلمين ، ويقتدي بأهل العلم في صلاتهم وعباداتهم فيصح من أخطائه في صلاته^(١).

كما أن صلاة الجماعة أكبر معين للمحافظة على الصلاة في أوقاتها^(٢) ، وهذا من أحب الأعمال إلى الله^(٣) وأفضلها وهي تزيد من نشاط المسلم في العبادة والصلاة بمشاركة إخوانه له ، وهذا ما يشاهد على بعض المسلمين في صلاة التراويح حيث نجده يصلي مع الإمام في المسجد بكل نشاط حتى يفرغ إمامه من الصلاة ، بخلاف صلاته في بيته فقد يطرأ عليه العجز والكسل عن أدائها كما كان يصلي في المسجد مع الجماعة ، بل ربما يتحقق له من الخشوع والاطمئنان في صلاته مع الجماعة ما لا يتحقق له في صلاته منفرداً.

وصلاة الجماعة إرغام للشيطان لما لها من الأجر والأثر في زيادة الإيمان والقرب من الله ، فمن ترك الجماعة استحوز عليه الشيطان^(٤) لحديث أبي هريرة **ﷺ** : (مامن ثلاثة نفر في قرية ولا بدو فلا تقام فيهم الصلاة إلا استحوز عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية)^(٥).

(١) يا من فقدناه في صلاة الجماعة ، عبدالله السكاكر ، (ص ١٦).

(٢) واركعوا مع الراكعين ، عبدالله المانع ، (ص ١٥).

(٣) كما في حديث عبدالله بن مسعود **ﷺ** قال : سألت رسول الله **ﷺ** : أي العمل أفضل . قال :

(الصلاة على ميقاتها..). رواه البخاري في صحيحه (رقم ٢٦٣٠ ، ج ٣ ، ص ١٢٥).

(٤) يا من فقدناه في صلاة الجماعة ، (ص ١٧).

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه (رقم ١٤٨٦ ، ج ٢ ، ص ٣٧١).

وارتباط المسلم بالصلاة مع الجماعة يشغل وقته بالخير والعمل الصالح، فلا يجد الشاب فراغاً يستهويه للمحرمات، وذلك بسبب ما تأخذه الصلوات الخمس مع الجماعة من وقت يصعب معه وجود فراغ يشغله في الباطل، حيث تحتاج إلى وقت كبير للتهيء لها بالطهارة والاستعداد والوصول إلى المسجد، وتكرر ذلك خمس مرات في اليوم^(١).

فالصلاة مع الجماعة تعين المسلم على الطاعة، وتبعده عن المعصية، وتحفظه من تسلط الشيطان واستحواذه.

والواقع يشهد بذلك، حيث إن المسلم المحافظ على صلاة الجماعة أكثر إقبالاً على طاعة الله وأبعد عن معصيته، بخلاف المتهاون بصلاة الجماعة فهو أكثر وقوعاً في المعصية وبعداً عن الطاعة.

ولو عملت إحصاءات دقيقة عادلة في كل عصر لوجد أن المواظب على صلاة الجماعة في المساجد أقل ارتكاباً من غيره للمخالفات والجرائم^(٢)، لذا فإن من آثار صلاة الجماعة حفظ المسلم ووقايته من الانحراف والضلال والانتكاسة.

الفرع الثاني: أهمية الخطب والدروس والندوات وأثرها في الوقاية من الانتكاسة:

إن من أهم الرسائل التي يقوم بها المسجد والوظائف التي تؤدي فيها بعد صلاة الجماعة رسالة التعليم التي من أبرز وسائلها الخطب والدروس والندوات، وهي من الوسائل المهمة في ميدان التربية والتعليم، ولها مكانتها في

(١) انظر: التدابير الواقية من المخدرات، (ص ٢٠٧).

(٢) المسجد ودوره في الإسلام، (ص ٦٨).

الإسلام، إذ جعل الخطب شعيرة ثابتة من شعائر الدين، وعبادة يثاب المسلمون على أدائها سواء منهم الخطيب والمستمع، وشرعها الإسلام وسيلة لهداية الناس وتربية للأمة وتوجيهاً للمجتمع وصياغة للإنسان الصالح^(١).

لذلك اهتم بها الإسلام اهتماماً كبيراً فأمر بالتبكير في الذهاب إليها، وأمر بالانصات لها وحرم الانشغال عنها بالحديث أو الحركة الزائدة^(٢).

كما اعتنى الإسلام بمجالس الذكر وحلقات العلم في المسجد، فقد روى واقد الليثي رحمه الله فقال: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد، والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوفقا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خلفهم، وأما الثالث: فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم: فأوى إلى الله عز وجل فأواه الله، وأما الآخر: فاستحى فاستحيا الله منه، وأما الآخر: فأعرض فأعرض الله عنه)^(٣).

وعن عقبة بن عامر رحمه الله قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان^(٤) أو العقيق^(٥) فيأتي بناقتين

(١) انظر: خطبة الجمعة أهميتها وتأثيرها، محمد عبداللطيف الرفاعي، (ص ١٣٦).

(٢) لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٨٩٢، ج ١، ٣١٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٦، ج ١، ص ٣٦).

(٤) بطحان: موضع بالمدينة. انظر: لسان العرب، (ج ٢، ص ٤١٤).

(٥) العقيق: واد بظاهر المدينة. انظر: مختار الصحاح، (ج ١، ص ١٨٧).

كوماوين^(١) في غير إثم ولا قطع رحم؟) فقلنا يا رسول الله كلنا نحب ذلك. قال: (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم - أو يقرأ - آيتين من كتاب الله تعالى خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل)^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)^(٣).

فالخطب والدروس والندوات في المسجد ضرورة للأمة الإسلامية حيث تحقق الركن الأول للدعوة الإسلامية وهو العلم^(٤) بما تشتمل عليه هذه الدروس من المسائل الفقهية والتوجيهات والإرشادات، فلا يمضي على المسلم فترة وجيزة إلا وقد جمع علماً كثيراً، وهي سبب عظيم لتقوية الإيمان والرغبة في العمل الصالح بما تحويه هذه الخطب من مواعظ ورفائق، والوعظ تذكير والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) فيستفيد المؤمن ويستيقظ إيمانه وتشحذ همته ويعيش أيامه في يقظة روحية وإيمان يقظ^(٦).

(١) كوماوين: أي ناقة مشرفة السنام عاليتها. انظر: لسان العرب، (ج ١٢، ص ٥٢٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٨٠٣، ج ١، ص ٥٥٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٦٩٩، ج ٤، ص ٢٧٤).

(٤) المسجد ودوره التعليمي، عبدالله الوشلي، (ص ١٩).

(٥) سورة الذاريات، الآية [٥٥].

(٦) تربية الشباب المسلم، خالد الشتوت، (ص ٥٤).

وتعالج هذه الدروس والمجالس الإيمانية كثيراً من الأمراض والأدواء التي تنخر جسد هذه الأمة، إلى جانب أنها تزيد من إدراك المسلم وحبه للتعلم، فينهل من هذا العلم لينقله إلى أهل بيته وأصدقائه وزملائه في العمل^(١).

ويتحقق هذا الأثر العظيم من الخطب والدروس والندوات في المسجد أكثر من غيره من الدور الأخرى، لما يشتمل عليه المسجد من جو عبادي يشعر فيه رواده بأنهم أقرب إلى الإخلاص والتجرد والنية الحسنة في التفقه في الدين والعمل به والدعوة إليه، لذلك نجد غزارة العلم وحفظه وإتقانه عند كثير من علماء المساجد في أوقات قصيرة بخلاف طلاب المدارس، فإنهم في الغالب لا يصلون إلى مرتبة علماء المساجد في العلم، والواقع التاريخي يشهد بذلك^(٢).

لذا فلا غرو أن يتخرج من هذه الدروس والحلق العلمية خير الأجيال وأفضلها، وظهر فيها من يجمع بين العلم والسياسة والقيادة والاجتماع، بل ظهر متخصصون^(٣) في شتى المجالات من العلوم الدينية والدنيوية^(٤)، ومن المسجد تخرج الدعاة المخلصون، وانطلقوا للدعوة^(٥)، فكان سبباً لنجاح دعوتهم وثباتهم عليها.

(١) انظر: من أجل مسجد فاعل، (ص ٣٨-٣٩).

(٢) المسجد ودوره في الإسلام، (ص ٥٠).

(٣) كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل إلا إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) رواه ابن حبان في صحيحه، (رقم ٧١٣١، ج ١٦، ص ٧٤).

(٤) المسجد ودوره التعليمي، (ص ٣٤-٣٣).

(٥) المسجد ودوره في الإسلام، (ص ١٦).

فالتربية والتعليم في أجواء المساجد لا يعدلها غيرها من التربية، لذلك كانت سبباً مهماً في حفظ المسلم ووقايته من الانتكاسة.

المطلب الثاني

أهمية القراء وأثرهم في الوقاية من الانتكاسة

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: أهمية القراء وتأثيرهم على الأفراد:

جماعة الأقران مرحلة انتقالية من الأسرة إلى المجتمع، فهي خطوة ضرورية نحو الرشد، وهي من الحاجات الاجتماعية الملحة التي يبحث عنها الفتى، وينتقيها من مجتمع المسجد أو المدرسة أو الشارع، ويكون لهم أثر كبير على فكره وسلوكه وتكوين شخصيته قد يفوق تأثيره بوالديه وأسرته فمجتمع الأقران من الجماعات المهمة التي تؤثر على المسلم سلباً وإيجاباً.

والفتى الصالح إذا جالس رفقة سيئة اكتسب منهم الفكر السيء والسلوك المنحرف، وإذا التحق بمجموعة صالحة اكتسب منهم القيم الفاضلة والسلوك الحسن، فالمرء على دين خليله^(١) كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ وأكد ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافع الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافع الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً متنتنة)^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وهو تشبيه بليغ من النبي ﷺ لأثر الجلوس على جلسائهم، فهو يشبه المجلس الصالح بحامل المسك - وهو أجود أنواع الطيب - لأن جلسيه ينتفع به، ويستفيد منه إما بإهداء من المسك، أو بالشراء منه بعوض، أو يجد منه ريحاً طيبة، وكذلك الحال بالنسبة لتأثير المجلس الصالح فهو إما أن ينفع جلسيه ببذل النصيحة والتوجيه له، وإما أن يتبادلا النصيحة، أو يجد فيه القدوة الحسنة فينتفع بها ويكتسب بمجالسته سمعة طيبة.

كذلك شبه جلسي السوء بناfox الكير الذي يحرق ثياب جلسيه بما يتطاير من شرر ناره، وهكذا جلسي السوء يؤثر على جلسيه ويحرق إيمانه بأقواله وأفعاله السيئة ودعوته إلى الحرام، وإما أن يجد المجلس من نافخ الكير رائحة كريهة منتنة، وكذلك المجلس السيء أقل ما يجد من جلسيه سماع الأقوال والأفعال المؤذية، واكتساب السمعة السيئة.

قال النووي بأن الحديث المذكور: «فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والبروة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة»^(١).

لذلك دعا الإسلام إلى مجالسة الصالحين، وحث على مصاحبتهم قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) أي: كل صداقة وصحة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه^(٣).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (رقم ٢٦٢٨، ج ١٦، ص ١٧٨).

(٢) سورة الزخرف، الآية [٦٧].

(٣) تفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ١١٩).

وجاء الترغيب في زيارتهم في الله، وجعلها سبباً في محبة الله للعبد، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته^(١) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها^(٢) عليه؟ قال: لا. غير أنني أحبيته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبيته فيه)^(٣).

فالصحبة الصالحة لا تأتي إلا بخير فهم الجلوس لا يشقى بهم جليسهم ولا يندم مخالطهم، ففيهم من الأخلاق الحميدة والصفات الجليلة ما يعين المسلم على دينه^(٤).

وبالمقابل نهى الإسلام عن مجالسة الأشرار ومخالطة الفساق فقال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٥)، أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق وهجره، وهو الذي وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا فذاك لا خير فيه^(٦)، لأن مجالسة أهل السوء والفساد من أعظم أسباب الانحراف والضلال.

وقد سبق الحديث عن هذا الجانب بشيء من التفصيل في الفصل الأول مما يغني عن إعادته هنا.

(١) المدرجة: ممر الأشياء على الطريق. انظر: لسان العرب، (ج ٢، ص ٢٦٧).

(٢) تربها: أي تقوم بأسباب دوامها. انظر: غريب الحديث، ابن الجوزي، (ج ١، ص ٣٧١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٢٥٦٧، ج ٤، ص ١٩٨٨).

(٤) انظر: صفة المجلس الصالح والمجلس السوء، عمرو سليم، (ص ٨).

(٥) سورة النجم، الآية [٢٩].

(٦) تفسير القرآن العظيم، (ج ٤، ص ٢٢٤).

الفرع الثاني: أثر القرناء في الوقاية من الانتكاسة:

لَمَّا كَانَ للقرين هذا التأثير العظيم، فإن للقرين على قرينه حقوقاً وواجبات أوجبها عليه الدين الحنيف، فمسؤوليته تجاه قرينه عظيمة؛ حيث إنه من أقدر الناس على التأثير على قرينه لأن مجالسته له وملازمته قد تفوق مجالسته لوالديه بسبب طبيعة عمله أو دراسته، لذا كان القرين من أعرف الناس بسلوك قرينه وشخصيته، ومعرفة مواطن الضعف فيها، فهو أسرع اكتشافاً لأخطائه وانحرافات.

كما أن تقبل القرين لتوجيهات قرينه وإرشاداته أكثر من تقبله لتوجيهات والديه في الغالب؛ لأنه يستشعر بأن توجيهات والديه وأوامر والشباب - غالباً - لا يتقبلون الأوامر بسهولة ولو كانت من أحب الناس إليهم، بينما تكون توجيهات القرين كاقترح وهذا أحب إلى نفسه، وأكثر استجابة، فعلى القرين استغلال هذا الجانب والإفادة منه في توجيه قرينه وإرشاده، فإذا وجد خطأ أو معصية فعليه المبادرة بتقويمه وإصلاحه، وهو من الواجبات الدينية عليه، عملاً بقول المصطفى ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(١).

ويقوم ببذل النصح والتوجيه لقرينه، حتى لا يتسرسل في المعاصي فينحرف ويسقط، فالنصيحة واجبة على كل مسلم كما قال النبي ﷺ: (الدين النصيحة)^(٢)، والقرين من أولى الناس بالنصح والتذكير بالله والتخويف من

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٤٩، ج ١، ص ٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

عقابه، بذكر الآيات والأحاديث التي ترقق قلبه وتزيد من إيمانه، وتكون حصناً له من إغراءات الشيطان ووسوسته، وإن كان ممن لا يجيد الوعظ والرقائق، فيمكنه أن يهديه شريطاً أو كتاباً نافعاً مؤثراً يجره عن المعصية ويوجهه للتوبة والإقلاع عن الذنب، مع كتمان أسرار وأخطائه، وعدم نشرها في المجالس لتدوم خلته ورفقته.

وعليه أن يحافظ على سلوك وأخلاق قرينه بتحذيره من ارتياد أماكن اللهو والفساد وينهاه عن ذلك عملاً بقول النبي ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً؟! قال: (تحجزه أو تمنعه من الظلم)^(١)، ويبحث له عن البديل لاستغلال وقته بالمفيد، كدعوته لحضور مجالس العلم وحلق الذكر، ويتعاون معه على ذلك كما كان عمر بن الخطاب يفعل مع قرين له حيث قال عمر رضي الله عنه: «كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جثته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك»^(٢).

ولابد أن يكون القرين قدوة صالحة لقرينه؛ لأن محاكاة القرناء ثابتة وظاهرة ملموسة، ولا ينسى القرين جانب الدعاء لأخيه في ظهر الغيب فهو مستجاب لقول النبي ﷺ: (دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة)^(٣).

(١) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٥٥٢، ج ٦، ص ٢٥٥٠)

(٢) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٨٩، ج ١، ص ٤٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن أم الدرداء، (رقم ٢٧٣٣، ج ٤، ص ٢٠٩٤).

وبهذا يكون القرين قد قام بمسؤوليته تجاه قرينه وأدى حقه عليه ، وعمل على تقديم الأسباب التي يمكن أن تقي قرينه من الانتكاسة.

فالحاصل أن المجتمع بما فيه من المؤسسات الاجتماعية من المساجد والجوامع وتجمعات القرناء له أثر كبير في حفظ الأفراد ووقايتهم من الانتكاسة ، بتوفيق الله تعالى.

المبحث الثاني

التدابير التعليمية الواقية من الانتكاسة

تهديد

تعد المدرسة من أهم المؤسسات التعليمية التي لازمت المجتمع منذ عرف المجتمع ذاته، وأدرك حاجاته، وتطلع للمحافظة على ثقافته، وتنمية حضارته، ويراد بالمدرسة دور العلم عامة من مدارس ومعاهد وجامعات.

والتعليم نظام حياتي يمتد بامتداد حياة المجتمع، لذا فالمدرسة التعليمية ليست مشروعاً وقتياً، بل نظاماً قائماً يدوم بدوام المجتمع، ولها مستقبلها الذي تعقد عليه الآمال في تثقيف المجتمع وتنميته وتطويره^(١).

فالمدرسة تحتل موقعاً استراتيجياً كبيراً في المجتمع، لما لها من أثر في تربية الناشئة، وإعدادهم على أحسن وجه، للقيام بخدمة دينهم وعمارته دنياهم. ولا شك أن هذا الأثر يسهم إسهاماً كبيراً في المحافظة على دين المسلم وخلقه، وصيانه من الانحراف، ووقايته من الانتكاسة.

وسوف نتحدث عن هذا الأثر من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول

أهمية التعليم

إن من أهم الحاجات البشرية التي تتطلبها الحياة للعيش في هذا الكون العلم الذي يستعين به الإنسان لتحقيق أهدافه الدنيوية والأخروية، فالإنسان يخرج للحياة جاهلاً لا علم عنده، كما أشار ذلك الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ

(١) انظر: المدرسة والمجتمع، مصطفى محمد متولي ونور الدين عبد الجواد وآخرين، (ص ٥).

مِنْ بُطُونِ أُمَمٍ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ^١ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾.

ووهبه الله الوسائل من السمع والبصر ليستعين بها على تحصيل هذا العلم، ومن ثم يسعى لتطبيقه، فيسعد في الدنيا ويفوز بالآخرة، وبدون هذا العلم يعيش الإنسان حياة بهيمية بلا قيود ولا ضوابط ولا معالم يعرف بها طريق الخير من الشر، فيكون ذلك سبباً في انحرافه عن الصواب، وانحداره في مهاوي الضلال الذي تعود عليه وعلى مجتمعه بالشر والفساد.

وهذا ما يشهد به الواقع الملموس، فالمجتمعات المتعلمة - وأخصها بالعلم الشرعي - راقية ومتقدمة فكراً واقتصادياً بسبب استقامة أفرادها وصلاتهم ونضج عقولهم، بخلاف المجتمعات المقصرة في العناية بالعلم، فهي مجتمعات متخلفة متأخرة ضعيفة فقيرة بسبب جهل أفرادها وتخلفهم وبعدهم عن العلم، ويكثر بينهم الفساد الخلقي وتنتشر الجرائم على مختلف صورها فتعم الفوضى ويقل الأمن.

فالعلم بالمبادئ والقيم والأخلاق التربوية يضبط السلوك، ويوجه الشعوب للنهوض، واكتساب المعارف والفنون في مختلف العلوم، ويؤهل الأفراد لخدمة مجتمعاتهم والرقى بها وازدهارها، ويوفر لهم من المادة ما يغنيهم ويعفهم عن الحرام والوقوع في الاختلاسات والجرائم، لذا اعتنى الإسلام بالعلم وحث عليه وبين فضله، وأشاد بالعلماء ومنزلتهم وشرفهم^(٢)، ولما كان للعلم

(١) سورة النحل، الآية [١٧٨].

(٢) لقد سبق الحديث عن فضل العلم، وموقف الإسلام منه في المبحث الثالث من الفصل الثاني مما يغني عن إعادته هنا.

والتعليم هذا الأثر في تنمية شخصية الأفراد والمجتمعات علمياً وسلوكياً، اهتمت به الأمم والشعوب، وأصبحت القضية التعليمية إحدى القضايا التي شغلت وما تزال تشغل أذهان الناس في الشعوب المختلفة.

المطلب الثاني

أهمية المؤسسات التعليمية في الوقاية من الانتكاسة

لقد أدركت الأمم والشعوب دور العلم والتعليم، وأثره في إثراء الفكر وغمو المعرفة ورفي الأمم وتوجيه الناشئة نحو مستقبل زاهر، فاهتمت به على اختلاف أنظمتها، وجندت الطاقات والإمكانات، وفتحت دور التعليم، وقررت المناهج، وعينت المدرسين والمرشدين، وأسست الجهاز الإداري للإشراف على هذه المؤسسات التعليمية.

فالمؤسسات التعليمية بما فيها من المناهج والمدرسين والإداريين والطلاب لها إسهام كبير، وأثر ظاهر في تحقيق الوقاية من الانتكاسة.

ويمكن أن يتضح لنا هذا الأثر من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: أهمية المناهج الدراسية في الوقاية من الانتكاسة.

الفرع الثاني: أهمية المعلم في الوقاية من الانتكاسة.

الفرع الثالث: أهمية الإدارات المدرسية في تحقيق الوقاية من الانتكاسة.

وقد تم الاقتصار هنا على الحديث عن أثر المناهج والمعلم والمدير والمرشد الطلابي، لأن دورهم مع الطلاب أكبر وأثرهم أظهر، ولكن لا يعني ذلك إلغاء أثر بقية العاملين في المدرسة، كالوكيل أو المساعد وبقية الإداريين.

الفرع الأول: أهمية المناهج الدراسية في الوقاية من الانتكاسة:

المقررات الدراسية والمناهج العلمية هي صلب العمل المدرسي، وهي محور العملية التعليمية، لذا كان من الضروري الاعتناء بها وإعدادها إعداداً تربوياً

هادفاً وفق الشريعة الإسلامية، لتمنح الفرد المسلم زاداً ثقافياً يستعين به في تحقيق أهدافه الدنيوية والأخروية، فالشريعة قد كفلت للإنسان تربية متوازنة لا تظلم بالفرد في سبيل الجماعة ولا بالجماعة في سبيل الفرد، وهذا التوازن الدقيق في التربية الإسلامية لا يمكن أن تبلغه أي فلسفات أو قوانين بشرية أو تجارب إنسانية عبر مر العصور.

ومن هنا فنحن مطالبون بأن نشق أهدافنا التربوية، وبالتالي أهداف المناهج الدراسية من الشريعة الإسلامية^(١).

ولابد لكل طالب علم مسلم أن يعلم علماً صحيحاً غير مشوه عن الإسلام، وأن يكون على علم وبصيرة من دينه، حتى لا يتعرض في حياته الفكرية أو الاجتماعية لمعارف مشوهة عن الإسلام فيقع ضحية الغزو الفكري المعادي للإسلام والمسلمين.

ولابد من تنوع المناهج الإسلامية، لأن الدين الإسلامي عقيدة وفقه وسلوك، وهذا يقتضي تنوعها وشمولها لجميع مبادئ الإسلام وأسسها.

والمواد التي تقوم عليها التربية الإسلامية هي القرآن الكريم والحديث الشريف والتوحيد والفقه والتفسير والقصص القرآني والسير والمغازي الإسلامية.

فالتوحيد يصل الطالب بعقيدته وصلاً قوياً ويرسخ إيمانه بربه، والفقه يعرف به الأحكام والتكاليف التي شرعها الله للمسلم، وأما القصص القرآنية والسير والمغازي النبوية فهي من عوامل غرس الفضائل والمثل والقيم العليا وتنميتها وإثرائها في نفوس الطلاب، والقرآن الكريم كتاب الله وعمدة الشريعة وحفظه أو حفظ ما تيسر منه ضرورة إسلامية^(٢).

(١) المنهج التربوي من منظور إسلامي، يعقوب نشوان، (ص ٩٨).

(٢) انظر: التربية الإسلامية بين المنهج والمدرس، محمد العروسي، (ص ١١-١٤-٣١).

ولا يقتصر على حفظ هذه العلوم فقط ، بل لابد من تربية شاملة تهتم بثقافة المسلم وسلوكه فالدين ليس علماً محصوراً بجانب واحد من جوانب الدين ، ولكن منهج حياة شاملة تنظم حياة الفرد والمجتمع ثقافياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ، حتى لا تقع فيما وقع فيه الآخرون من عزل الدين عن الحياة العامة للمجتمع ، فالدين تنظيم لسلوك الفرد والمجتمع كما شرع الله تعالى^(١).

والعلوم الدنيوية كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والآداب الإنجليزية يجب أن تدوّن تدويناً إسلامياً وتشبع بالروح الدينية ، وتستخرج منها نتائج لا تعارض الدين ، بل تؤيده وتبعث على اليقين والإيمان بالله ، حتى لا يكون لأهل التشكيك والشبه مدخل لإفساد عقائد المسلمين.

فالتربية الإسلامية جمعت بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم فهي تعتني بالتربية الدينية والعلمية والجسمية ، لذلك كان لها الأثر العظيم في تقويم الناشئين وإسعادهم في مستقبلهم ، وهي كفيلة بتزكية النفوس وتطهير القلوب وتربية الضمائر وطبعها على جميل الخصال ونبل الفعال ، وهي التربية التي تعصم من النزوات النفسية وتحمي من سلطان الميول الجاحمة وطموح الأهواء المردية ، وتنير للناشئين طريق الهدى والصلاح^(٢).

فالمناهج الدراسية السليمة المنتقاة من الشريعة الإسلامية لها أكبر الأثر في توعية عقول الطلاب وتوجيه سلوكهم ، وإيجاد الحصانة المعنوية من الانحرافات والانتكاسات الدينية.

(١) انظر: المنهج التربوي من منظور إسلامي ، (ص ٢٣٠-٢٣١).

(٢) انظر: التربية بين المنهج والمدرس (ص ١٢-١٣).

الفرع الثاني : أهمية المعلم في تحقيق الوقاية من الانتكاسة :

إن المناهج العلمية والمقررات الدراسية مهما كانت جيدة فإنها لا تحقق أهدافها وتؤتي ثمارها إلا بالمعلم الناجح الذي ينفذ العملية التعليمية.

والمعلم يعد من أهم أعضاء المجتمع المدرسي ؛ لأنه يقوم بأعظم الأدوار التعليمية ، وهو أكثر احتكاكاً بالتلاميذ ، وأقرب تفاعلاً معهم ، فيتم التأثير به سلباً وإيجاباً ، ومن هنا كان المعلم حجر الزاوية في العملية التعليمية^(١).

والتربية والتعليم ليست مادة تدرس أو تلقيناً مجرداً ، ولكنها فهم وسلوك وعمل ، والمعارف الدينية تفقد قيمتها إن لم تنعكس آثارها على حياة التلميذ ، وتصبح سلوكاً عملياً يتجلى فيه يقظة الضمير ، وسمو الوجدان ، والنهوض بالواجبات ، والتسامي عن الرذائل باقتناع وإيمان.

والموضوعات المقررة في المناهج ليست إلا نقطة ارتكاز للمدرس ينطلق منها إلى آفاق بعيدة يرى في ارتيادها مع تلاميذه تنمية للروح الدينية ، وإيقاظاً لمشاعرهم ، وتهيئة لقلوبهم ، وتوجيهاً لسلوكهم.

ومن هنا تبدو أهمية المعلم ، وما ينبغي أن يكون عليه من المستوى الثقافي والمستوى السلوكي اللذان يؤهلانه للرسالة التي أنيطت به ، فلا يكفي أن يكون واسع الاطلاع ، عميق النظر في فهم مادته ، بل لابد له من أمرين معاً ، وهما : الكفاءة العلمية والكفاءة السلوكية ، لتكون استقامة سلوكه أول السبل إلى تنشئة تلاميذه.

(١) انظر : المدرسة والمجتمع ، (ص ١٧٠-١٧١).

واستقامة السلوك لا تكتسب بسرد المواعظ وإلقاء الأوامر فقط، وإنما بالقدوة الصالحة، وبتطبيق ما يقرره ويقولُه نظرياً، لأن التقليد غريزة تتحكم في سلوك الفرد فيقلد ما يراه من الحسن والقيح.

فالمعلم يتحمل عبئاً كبيراً ومسؤولية عظيمة، فلا بد أن يجتهد في المادة التي يدرّسها، ويعمل على إيصالها إلى أذهان التلاميذ على الوجه المطلوب، ويحرص على نفع وإفادة الطلاب بها، ويربطها بواقعهم، ويركز على القضايا المعاصرة التي تشغل أفكارهم والتي تثيرها وسائل الإعلام المختلفة، وبخاصة التيارات الإلحادية والعلمانية التي قد تضر بأفكارهم وأخلاقهم وتفسد دينهم ويناقشها معهم مناقشة علمية جادة^(١)، ليوّظ أفهامهم وإحساسهم ووعيهم، حتى تكون لديهم حصانة علمية وإيمانية تجاه الشبهات والشهوات.

فالمعلم الكفء يستشعر هذه المسؤولية لأنه مسؤول عن تلاميذه وراع لهم، وكل راع مسؤول عن رعيته، فلا يدخر وسعاً في نصّحهم وتوجيههم وإرشادهم إلى الأخلاق الحسنة، والأفعال الحميدة، كما يزرعهم عن الرذائل والمعاصي القبيحة، ويحول بينهم وبين أسباب الانحراف، والوقوع فيها ليكون ذلك سبباً منيعاً لهم من الوقوع في الانتكاسة.

الفرع الثالث: أهمية الإدارة المدرسية في تحقيق الوقاية من الانتكاسة:

الإدارة المدرسية جزء من الإدارة التعليمية العامة، وهي الكيفية التي ينجز بها العمل التربوي في المؤسسة التعليمية إنجازاً تتحقق به أهدافها على أتم وجه وبأقل جهد وفي أقصر وقت^(٢).

(١) انظر: التربية الإسلامية بين المنهج والمدرس، (ص ١٥-١٧-٣٨).

(٢) الإدارة المدرسية أصولها وتطبيقاتها، عبدالله العرفي، (ص ٩).

ومن خلال هذا التعريف تبرز أهمية الإدارة وما تتحمله من مسؤوليات في القطاع التعليمي ، فهي الجهاز الفاعل الذي تتحقق من ورائه الأهداف التعليمية المنشودة^(١) ، من خلال تخطيطه للبرامج التعليمية ، وتنظيمه الأعمال ، وتوزيعها بين العاملين ، وتنسيقها بينهم .

وأبرز عناصر الجهاز الإداري تتمثل في مدير المدرسة والمرشد الطلابي ، فلهما الدور الأكبر في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة ، ورفع كفاءة الطلاب العلمية والسلوكية ، وتتمثل مسؤولياتهما وواجباتهما في التالي :

أولاً: مدير المدرسة:

مدير المدرسة هو الرئيس المباشر لمدرسته ، وهو القائد التربوي الذي يشرف على أوجه النشاط العلمي والتربوي فيها ، ونجاح المدرسة في أداء رسالتها يتوقف بصورة أساسية على شخصية المدير وقدرته على التعاون المثمر والتعامل الإيجابي مع المجتمع المدرسي^(٢) ، ولا يقتصر دوره على النواحي الإدارية فقط ، بل يشمل النواحي الإدارية والفنية دون فصل بينهما ، لتحقيق التنمية العلمية والسلوكية للطلاب .

كما تقع على المدير مسؤولية اختيار المعلمين الأكفاء في علمهم وعملهم ، وإشعارهم بالمسؤولية تجاه طلابهم ، ورفع روحهم المعنوية بمنحهم الثقة في أدائهم ومساندتهم ومساعدتهم في تحقيق أهدافهم التربوية التي أنشئت المدرسة من أجلها ، ولا بد أن يكون هناك يقظة مستمرة من مدير المدرسة ، ومداومة

(١) انظر: التدابير الواقية من المخدرات ، (ص ٢٥٥).

(٢) المدرسة والمجتمع ، (ص ١٦٤).

الاتصال بالمعلمين ، والإشراف عليهم بزيارتهم في فصولهم ، للوقوف على أدائهم وليتعرف على مواطن القوة لديهم ومن ثم يعمل على تنميتها ، كما يحدد مواطن الضعف عندهم ويعالجها.

وكذلك يقوم بعقد اجتماعات معهم ، لمناقشتهم حول سلوكيات وأخلاق طلابهم ومستواهم الدراسي ، كما يعقد لقاءات مع أولياء أمور الطلبة ، ويدعوهم لمتابعة أبنائهم لتوحيد الجهود المدرسية والأسرية في توجيه الأبناء لمصالحهم^(١).

ولابد من العناية بالجانب الروحي والفكري الذي يتم من خلاله استقامة الطلاب وصلاحهم وذلك بدعوة المختصين من رجال العلم والدعوة إلى الله الذين عرفوا بالأسلوب الحسن المؤثر ، واستضافتهم لإلقاء المحاضرات ، وعقد الندوات ، لتوعية الطلاب بضرورة المحافظة على دينهم وخلقهم ، للحصول على خيري الدنيا والآخرة ، وتنفيرهم من الرذائل والمعاصي ، وتحذيرهم من أسباب الانحراف والسقوط^(٢).

ومثال ذلك : أن الرئاسة العامة لتعليم البنات بالملكة العربية السعودية قد قامت بإنشاء وحدة التربية والتوعية الإسلامية ، وهو قسم متخصص للقيام بتوعية الطالبات وإرشادهم من خلال إلقاء المحاضرات ، وعقد الندوات في مدارس البنات بالتنظيم مع إدارات المدارس ، وكان له أثره العظيم على المعلمات ، واستقامة كثير من الطالبات اللاتي أوشكن على الانحراف ، وهو جهد عظيم له آثار ملموسة.

(١) انظر الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية ، د. سليمان الحقييل ، (ص ٦١-٧٠-٧٩).

(٢) انظر : التدابير الواقية من المخدرات ، (ص ٢٥٨).

ومن مسؤوليات المدير المهمة المحافظة على مجتمعه المدرسي، وملاحظة المعلمين، واستبعاد غير المؤهلين خلقياً إذا تبين له سوء أخلاقهم^(١)، حتى لا يتأثر بهم غيرهم، وكذلك فإن الطلبة المنحرفين خلقياً لابد من استبعادهم للمحافظة على الطلاب الآخرين ووقايتهم من الانحراف.

ثانياً: المرشد الطلابي:

وهو من أهم العناصر الإدارية المساعدة في الجهاز الإداري للمدرسة، ويطلق عليه مسميات مختلفة وإن كان دوره لا يختلف باختلاف هذه المسميات، فتارة يطلق عليه الأخصائي الاجتماعي، وأحياناً يطلق عليه المشرف الاجتماعي أو المرشد الطلابي، وهو يؤدي دوراً مهماً في المدرسة الحديثة، فهو الصلة بين جميع أفراد المجتمع المدرسي.

ومن أبرز مسؤولياته تجاه الطلاب الإرشاد الديني الذي يهتم بتوعية الطلاب توعية إسلامية، ويحثهم على أداء الفرائض والعبادات كأداء صلاة الظهر جماعة مع الطلاب في مصلى المدرسة، ويدعوهم للتمسك بالقيم والأخلاق الإسلامية، والبعد عن الأخلاق الرذيلة والسلوكيات المنحرفة^(٢)، والتعاون مع الطلاب في حل مشكلاتهم فبعض الطلاب يعاني من مشكلات أسرية، وتعثره أزمات نفسية تثير فيه الحيرة والقلق، وربما يتعرض لهزات عصبية وعواقب خطيرة إذا لم يسعفه العلاج الذي يسكن ثائرتة، ويشفي قلبه، ويرده إلى الاستقرار والاطمئنان النفسي، فلا بد أن يفسح المرشد الطلابي المجال للطلاب

(١) انظر: التربية الإسلامية بين المنهج والمدرس، (ص ٣٩).

(٢) انظر: المدرسة والمجتمع، (ص ١٧٣-١٧٥).

ليفضوا إليه بما يؤرقهم ويشغل بالهم، ويكون لهم أباً حانياً ورائداً حكيماً، ويتخذ من تعاليم الإسلام شفاء لصدورهم المخرجة^(١).

فالإدارة المدرسية تتحمل عبئاً كبيراً ومسؤوليات عظيمة وواجبات كثيرة، ولا شك أن هذه المسؤوليات، وتلك الواجبات لا تتحقق آثارها، ولا تؤتي ثمارها إلا بامثال الإدارة المدرسية لها والتزامها بها، فالإدارة المدرسية قدوة للمجتمع المدرسي بما فيه من معلمين وتلاميذ.

فإذا نجحت الإدارة المدرسية في القيام بمسؤولياتها وواجباتها على الوجه المطلوب، وكانت قدوة حسنة في ذلك، تكون قد حققت أثراً عظيماً في وقاية الطلاب من الانتكاسة.

فالحاصل أن المؤسسات التعليمية لها دور كبير وأثر عظيم في حفظ الطلاب، ووقايتهم من الانحراف والانتكاسة.

(١) التربية الإسلامية بين المنهج والمدرسة، (ص ١٧-١٨).

المبحث الثالث

التدابير الإعلامية وأثرها في الوقاية من الانتكاسة

الإعلام لغة: مأخوذ من العلم وهو ضد الجهل، يقال: علم يعلم إذا تيقن. وجاء بمعنى المعرفة، يقال: علم بالشيء إذا عرفه وتيقنه^(١).

والإعلام اصطلاحاً: هو عملية نشر الحقائق والأخبار الصادقة، خدمة للصالح العام، وتتسم هذه العملية بالأمانة والموضوعية، وهدفها النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري والارتقاء بمستوى الرأي العام بتنويره وتثقيفه^(٢).

والإعلام لا يخدم قطاعاً واحداً بل يخدم الثقافة وينمي المجتمع ويدعم التربية ويمد بالمعلومات والبيانات والعلم الكبير والصغير والمرأة والرجل، فهو على هذا الأساس وثيق الصلة بالتربية^(٣).

فالأسرة والمدرسة لم تعد المؤثر الوحيد في سلوك الأفراد والمجتمعات، وإنما أخذ الإعلام يقوم بالدور نفسه في عالمنا المعاصر، بل يُعدّ من أعظم وسائل التأثير على الأفراد فكرياً وسلوكياً، لاسيما بعد أن تطورت وتعددت وسائله المختلفة، فهو سلاح ذو حدين يستخدم للخير والشر^(٤)، فيمكن أن يكون أداة شر وهدم، كما هو حال الإعلام الغربي الذي يستخدم في بث ونشر الأفكار

(١) انظر: المصباح المنير، (ج ٢، ص ٤٢٧)، مادة علم.

(٢) الإعلام والبيت المسلم، فهمي نجار، (ص ٢٣).

(٣) وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، (ج ٢، ص ٤٨).

(٤) انظر: الإعلام والبيت المسلم، (ص ٢٤).

والمبادئ الهدامة الخطيرة التي تهدد وتحارب القيم والمبادئ الإسلامية، وقد يكون أداة خير وبناء يساعد على رقي المجتمع وصلاحه بنشر المثل والقيم الإسلامية العليا.

وقد تناولنا في الفصل الأول الحديث عن الجانب السيئ لوسائل الإعلام، وأثره في فساد الأفراد والمجتمعات والوقوع في الانتكاسة، وفي هذا المبحث سنتحدث عن الجانب الإيجابي وأثره في صلاح الأفراد والمجتمعات، وتحقيق الوقاية من الانتكاسة من خلال مطلبين اثنين.

المطلب الأول

وسائل الإعلام وأهدافها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: وسائل الإعلام:

للإعلام وسائل تعينه على تحقيق أهدافه في المجتمع تسمى وسائط أو أجهزة تؤدي وظائفها الإعلامية، وكان قديماً يعتمد على المحاضرات والخطب، وفي هذا العصر تطورت هذه الوسائل وتعددت أنواعها بسبب التقدم التكنولوجي في اختراع الأجهزة الحديثة الدقيقة التي يمكن من خلالها مخاطبة الملايين في اللحظات اليسيرة.

ومن أبرز هذه الوسائل في العصر الحاضر ما يلي:

[١] وسائل بصرية (أي مقروءة):

وتتمثل هذه الوسيلة في الصحف والمجلات والكتب والنشرات والخرائط والرسومات، وسميت هذه الوسائل بهذه التسمية لاعتمادها على حاسة البصر

كمصدر رئيس في الإعلام فهي وسيط إعلامي يرتبط بتلك الحاسة المهمة في حياة الإنسان، حيث إن المشاهدة العينية للشيء تضيف قوة في الإثبات والمعرفة لهذا الشيء المشاهد.

وتعد الصحف من أهم الوسائل التي تنقل المكتوب بما يحويه من أخبار وتجارب وخبرات وأفكار وألوان ثقافية متعددة إلى القراء في كل مكان، وتتميز بعنصر الحداثة والتنوع والتشويق وسرعة الانتشار، فهي تنقل آخر الأخبار السياسية والاجتماعية والعلمية، بخلاف الكتاب الذي يحوي معلومات عن وقت مضى، ويخاطب فئة معينة من أهل المعرفة والرأي، بينما الصحيفة تتعامل مع جميع مستويات الناس.

كما أن هذه الوسائل تمتاز بسهولة الخط والاقتناء والاطلاع والقراءة^(١)، وتؤدي رسالتها بشكل مريح لا يحكمه عامل الوقت، ولا ضغط البرامج كما هي حال الوسائل الأخرى^(٢).

[٢] وسائل سمعية:

وسميت بهذه التسمية لاعتمادها على حاسة السمع في إيصال المعلومات التي يراد إعلام الناس بها، ومنها المذياع وآلة التسجيل، وهي من أكثر الوسائل شيوعاً في حياة الإنسان، لسهولة انتشارها وتنوع برامجها وقدرتها على مخاطبة جميع المستويات والفئات من الأطفال والكبار على حد سواء من المتعلمين والأميين.

(١) انظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، عبد الفتاح أبو معال، (ص ١٤-١٠٩-١١٠).

(٢) انظر: الإعلام أولاً، أسعد السحمراني، (ص ٥٠).

وتستطيع الإذاعة أن تصل إلى أماكن بعيدة من خلال الصوت الذي ينتقل عبر الأثير، ويتجاوز حدود الأماكن الجغرافية بسرعة فائقة مما أكسبها الشهرة والانتشار.

كما أن هذه الوسائل - غالباً - رخيصة الثمن سهلة الاستخدام^(١) والاستماع إليها في أي مكان، فلا تحتاج متابعتها إلى تفرغ كما هي حال الوسائل الأخرى^(٢).

[٣] وسائل بصرية سمعية:

وسميت بهذه التسمية لاعتمادها على حاستي السمع والبصر في وقت واحد، وتتمثل في التلفاز - وهو من أهمها - والسينما والمسرح. وهي الوسائل الأكثر وضوحاً وأبلغها تأثيراً، وقد ثبت علمياً بأن اشتراك أكثر من حاسة في الاطلاع على الشيء تكون المعرفة والعلم به أكثر من سواء، حيث تصل الصورة والصوت من خلاله إلى الناس.

وهي من أكثر الوسائل انتشاراً وشيوعاً بين الناس، لاسيما التلفاز ونقصه به الشاشة التي يتلقى فيها المشاهد البرامج سواء أكان ذلك عن طريق البث على الهواء أم عن طريق دائرة سلكية مغلقة أو عن طريق أشرطة الفيديو لما تمتلك من القدرات الفنية التي تعينها على تحويل الخيال إلى واقع مرئي، والقصص والروايات إلى صور متحركة، وتستطيع أن تنقلهم إلى أماكن لا يمكنهم الوصول إليها مثل أعماق البحار والفضاء، ونقل المناسبات والأحداث الكبرى على الهواء مباشرة، فيؤثر في الناس ويجذب اهتمامهم.

(١) انظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، (ص ٨٥).

(٢) انظر: الإعلام أولاً، (ص ٦٦).

لذا كان أثر وسائل الإعلام السمعية المرئية أكثر من غيرها، كوسائط يعتمد عليها الإعلام في نقل مفهومه إلى جمهوره من المشاهدين والمستمعين في آن واحد^(١).

[٤] وسيلة مقروءة مسموعة مرئية:

وهي من أحدث الوسائل الإعلامية التي يمكن لها أن تجمع بين الوسائل السابقة، وتقوم بوظائفها على حد سواء.

وتتمثل هذه الوسيلة في الإنترنت، وهو الشبكة العالمية للمعلومات التي تظهر بواسطة الحاسب الآلي، ومن خلاله يمكن للفرد الاطلاع على الصحف والكتب والنشرات وقراءتها، والاستماع إلى الإذاعات التي يريدها، ومشاهدة البرامج التلفزيونية، والأفلام السينمائية، فضلاً عن خدماته الأخرى، مثل الحصول على معلومات هائلة في المجالات العلمية والتعليمية والتربوية، بل يمكن الحصول على آخر ما توصلت إليه مراكز الأبحاث العلمية في الجامعات والمؤسسات العلمية والتقنية، ويمكن عن طريقه الاتصال وتبادل الرسائل المكتوبة والملفات المختلفة بين الناس في أنحاء العالم، ويمكن لمستخدمه إجراء محادثات وحوارات كلامية وخطية في اللحظة نفسها مع من يشاء من العلماء ورجال الأعمال وطالبي الوظائف والمتخصصين، كما يمكنه عقد مؤتمرات ولقاءات أكثر من شخصية وهم في أماكن متعددة، وعلى الرغم من تعدد فوائدها وكثرة خدماتها، فهي تتميز بالسهولة في استخدامها والانتفاع بها من قبل الأفراد والمستخدمين.

(١) انظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، (ص ١٤-٤١).

وهذه الوسيلة رغم حداثتها، وقرب عهدها^(١) إلا أن الإقبال عليها بالملايين، فلا غرو في ذلك، فهي تشمل جميع مجالات الحياة، مثل: التعليمية والإعلامية والتجارية والرياضية^(٢).

الفرع الثاني: أهداف وسائل الإعلام:

لقد أنشئت وسائل الإعلام واستحدثت لتحقيق أهداف مهمة ووظائف معينة لخدمة الجمهور وتلبية لحاجات المجتمع، ومن أبرز هذه الأهداف والوظائف:

[١] تجميع الأخبار ونقلها:

إن من أهم أهداف وسائل الإعلام ووظائفها تجميع الأخبار ونقلها للجمهور، وتعد هذه الوظيفة محور العملية الإعلامية لا سيما الصحف فإن نجاحها يتوقف على نشر الأخبار^(٣) التي تهتم المجتمع، وهذه تعتبر خدمة مهمة تقدمها وسائل الإعلام للمجتمع، فمن خلالها يستطيع الفرد فهم ما يدور في عصره وما يقع فيه من أحداث.

وكلما كانت هذه الوسائل أسبق في نقل أخبارها إلى الناس، كلما كان ذلك سبباً في نجاحها، وشهرتها في المجتمع، كما أن عامل المصداقية والواقعية في نقل الأخبار أدعى لثقة الجمهور بها وحافزاً للإقبال عليها.

[٢] التسلية والترفيه:

الترويح هدف من أهداف وسائل الإعلام التي يسعى لتحقيقها من خلال الصحف أو المذياع أو التلفاز، فيقوم بعرض صفحات أو زوايا أو أفلام

(١) بدأت شبكة الإنترنت في عام ١٩٦٩ م. انظر: الإعلام والبيت المسلم، (ص ٩٩).

(٢) انظر: مذكرة الإنترنت، رياض فايز الشهري، مذكرة غير مطبوعة، (ص ٤).

(٣) انظر: الاتصال الجماهيري، جون. د. بيتر، ترجمة: عمر الخطيب، (ص ٦٩).

تحتوي على عنصر الفكاهة، لغرض الترفيه عن القراء أو المستمعين أو المشاهدين^(١).

والتلفاز بلا شك هو الوسيلة الإعلامية التي تمثل الصدارة في مجال الترفيه والتسلية، فهو أولاً وأخيراً وسيلة ترفيهية أكثر منه وسيلة لنقل الأخبار والمعلومات.

كما أن هذا الترفيه يكون أحياناً مصحوباً بجوانب هادفة، كتقديم بعض الأخبار والمقالات والتحليلات الجادة لاستغلال العنصر التشويقي الفكاهي وحب الناس له، وإقبالهم عليه مما يسهل عليهم فهم واستيعاب المضمون والجوهر الحقيقي لهذا البرنامج المعروض بأسلوب فكاهي، فوسائل الإعلام تسهم إسهاماً كبيراً في تسلية الناس وترفيههم والترويح عنهم.

[٣] التعليم والتثقيف:

لقد أثبتت العديد من الدراسات أن وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها وأشكالها تقوم بدور التعليم والتثقيف، مؤكدة أن ما يعرض فيها من معلومات مختلفة يؤدي إلى تعليم الناس وتثقيفهم، وهناك بعض الدراسات المتخصصة تفيد بأن وسائل الإعلام لها دور تخصصي في عرض أمور تعليمية هادفة، فكثيراً من البرامج يخدم المنهاج المقرر والأبحاث والمواد الدراسية في المراحل التعليمية، وتكون هذه البرامج مخططة النسق المنهجي، ويقوم بإعدادها تربويون متخصصون^(٢)، وهناك كليات وجامعات أمريكية عديدة تقوم بتقديم مقررات

(١) انظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، (ص ٢٣).

(٢) انظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، (ص ٢٤).

خاصة عن طريق المذياع، كما أن محطة دليوبي بجامعة بوردو تمنح تقديراً دراسياً مبنياً على امتحان للمقررات التي تدرس بواسطة المذياع^(١)، كما أن التلفاز والأفلام التسجيلية تقوم بدور كبير في إيضاح المواد العلمية وشرحها عن طريق عرض الصور والبيانات التي تزيد من فهم واستيعاب المادة العلمية.

وهي تعد وسيلة تثقيفية بما تحويه في مضمونها من معلومات تدخل في باب تعزيز ما ورد في مناهج التعليم في مراحل معينة، ويتنفع بها الطلبة بشكل غير مقصود؛ لأنها برامج عامة ليست مقصودة بذاتها، تقوم بدور التثقيف^(٢).

كما يتم فيها عرض برامج لتزويد ربات البيوت بالمهارات المختلفة الضرورية لإدارة المنزل وتربية الأطفال، وتقوم أيضاً بعرض برامج صحية وقائية تثرى الثقافة الصحية وترشد إلى العناية بالصحة والاحتراز من الأمراض، بالإضافة إلى إجراء مسابقات ثقافية عامة تسهم في رفع المستوى الثقافي للشعوب بدفعهم إلى البحث والتعلم، وتسهم إسهاماً كبيراً في نمو المعرفة وإثراء الفكر^(٣).

[٤] الإعلان:

الإعلان عنصر مهم في ترويج التجارة، وكلما تعقدت الحياة الإنسانية بتقدم الاختراعات وازدياد السكان واتساع الرقعة المسكونة من الأرض، ازدادت الحاجة للإعلان عن السلع، فوسائل الإعلام تقوم بدور مهم في الإعلان عن حاجات الناس ورغباتهم على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم سواء منهم المنتج أو

(١) انظر: الاتصال الجماهيري، (ص ١٥٩).

(٢) انظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل، (ص ٢٤).

(٣) انظر: من قضايا الفكر في وسائل الإعلام، محمد بكر العليان، (ص ٤٢-٤٣).

المستهلك، فالإعلان عن البضائع ومصادرها وأماكن بيعها ومجالات استعمالها وطرق استخدامها ييسر المهمة على المستهلك في البحث وال شراء.

كما أن لها مردوداً إيجابياً للمنتج؛ حيث إن الإعلان منشط للإنتاج ومروج للسلع، فكم من منتجات أشهرها الإعلان، ورسخ وجودها في مناطق لم تعرفها أصلاً^(١).

وهناك إعلانات تقوم بمهمات أخرى مثل إعلانات الخدمة العامة، وتصممها المؤسسات غير التجارية لتجيب عن حاجة عامة، كما تسعى إعلانات المسؤولية الاجتماعية والصحية إلى تحذيرنا من مخاطر استعمال سلعة ما كالتحذير من التدخين مثلاً، وكذلك الإعلان المضاد والذي يركز على تحذير المستهلكين من الغش أو التضليل في الإعلان^(٢).

ويتوقف نجاح وتحقيق هذا الهدف على كفاءة وسائل الإعلام في طريقة العرض وما تحمله من جمال الشكل واختيار اللون والإبداع في الأسلوب، ليتحقق الحظ والترغيب والاقتناع والإقبال على ما تريده.

[٥] الخدمات العامة:

وتقوم وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة بتقديم خدمات عامة للجمهور، كتقديم النشرة الجوية لبيان حالة الطقس، وإذاعة الأذان، ونشر مواقيت الصلاة، والتعريف بالمؤسسات التعليمية والاجتماعية والصحية، والصيديات المناوبة، وتقديم الاستشارات الدينية والاجتماعية والطبية... الخ.

(١) أثر التلفزيون في تربية المراهقين، نزهة الخوري، (ص ٥٣).

(٢) الاتصال الجماهيري، (ص ٣٤١).

المطلب الثاني

أهمية وسائل الإعلام في تحقيق الوقاية من الانتكاسة

الإعلام له منافع عظيمة وفوائد عديدة، ويعتبر أحد الروافد التي تشارك في عملية البناء إذا ما سخرت برامجه ووظائفه ووجهت أهدافه لخدمة العملية التربوية^(١) التي تهدف للتمسك بالقيم والأخلاق الإسلامية.

ويمكن أن يتحقق ذلك بانتقاء الكفاءات للعمل في الإعلام بما يتماشى مع الدور الخطير الذي يقومون به^(٢)، والعمل على تجنيد برامج الإعلام ووظائفه وتسخيرها لخدمة الدين، وذلك ببث الأفكار والقضايا التي تدعو للتمسك بالإسلام، ونشر الفضائل والأخلاق والقيم الإسلامية وتعزيزها لدى الجمهور، والتنفير من الرذائل والأخلاق المذمومة، والتحذير منها ليتحقق بذلك الهدف المنشود من وقاية المسلم من الانتكاسة.

وستحدث عن أهم البرامج التي لها أثر ويمكن الاستفادة منها في تحقيق ذلك.

وفيه ستة فروع:

الفرع الأول: أهمية البرنامج الإخباري:

تعتبر البرامج الإخبارية محور العملية الإعلامية، لأن معرفة الأخبار وما يقع في المجتمع من أحداث يشكل جزءاً مهماً في حياة الناس، وعليها يقبل السواد الأعظم من المجتمعات، فلا بد من تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة مع

(١) انظر: وقائع ندوة: ما يريد التربويون من الإعلاميين؟، (ص ٢٩٩).

(٢) المرجع نفسه، (ص ٤٥).

التوعية والتعبئة النفسية والعقلية في نبرة ترفض الزيف والتمويه والمغالاة والإثارة الخطابية^(١)، كما أن تقديم الأخبار الصحيحة عما يدور في العالم الإسلامي خاصة والعالم كله تمكن المسلم من القيام بواجبه تجاه إخوانه، وكذلك فإن هذه الأخبار يمكن الانتفاع بها واستغلالها وتسخيرها في التأثير على الناس لكسب قلوبهم وعقولهم وتوجيهها وإصلاحها.

ويمكن أن يتحقق هذا التأثير والتوجيه من خلال الإخبار عن المخالفين من المجرمين المنحرفين سلوكياً المفسدين في الأرض الذين وقعوا في يد السلطة وصدر في حقهم الحكم الشرعي والتنديد والتشهير بهم مع مراعاة الضوابط الشرعية في ذلك^(٢)، كما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿الزَّائِنَةُ وَالزَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وهو منهج النبي ﷺ في قصة ماعز حينما أقر بالزنى وفيه: (فأمر به رسول الله ﷺ فرجم في المصلى)^(٤)، للتأثير على الناس، وردع ضعاف النفوس منهم.

-
- (١) وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟، (ص ١٥٤).
- (٢) على وسائل الإعلام مراعاة الصدق، والحقيقة في نشر المعلومات، والثبت من صحتها، وعدم الاستعجال في نشرها قبل التأكد منها، مع مراعاة الدقة في النقل، والالتزام بالنقد الهادف، مع تجنب إطلاق الألقاب الكبيرة على المجرمين حتى لا يكونوا كالأبطال أمام بعض الشباب لا سيما صغار السن، فيدفعهم ذلك إلى الاقتداء بهم. انظر: التدابير الواقية من المخدرات، (ص ٣٠٧-٣٠٩).

(٣) سورة النور، الآية [٢٢].

(٤) رواه البخاري في صحيحه (رقم ٦٤٣٤، ج ٦، ص ٢٥٠٠).

قال الماوردي: «لأمر إذا رأى من الصلاح في ردع السفلة أن يشهرهم وينادي عليهم بجرائمهم، ساع ذلك»^(١)، وما شرع الله عز وجل ذلك إلا لحكمة عظيمة وأهداف جلية، لأن التشهير بأهل المعاصي من خلال نشر العقوبات الصادرة في حقهم والإخبار عن إيقاعها بهم، يؤدي مهمة عظيمة في تنفير الناس من أفعالهم، وأخذ العظة والعبرة بأحوالهم وما صاروا إليه.

وهذا ما تقوم به المملكة العربية السعودية بالإخبار عن تنفيذ حدود القصاص في النفس فيمن تقرر في حقهم من عقوبات شرعية صارمة. وهذا بلا شك له أثر كبير في نفوس الأفراد، بتنفيرهم وتحذيرهم وتخويفهم من الوقوع في هذه المعاصي والجرائم التي عاقبتها ما رأوه وسمعوه، وهذا يحقق وقاية لهم من الوقوع في هذه الانحرافات التي تؤدي بهم إلى الانتكاسة.

الفرع الثاني: أهمية البرنامج الترفيهي:

الترويح عن النفس أمر مشروع في الإسلام، وهو أمر يتلاءم مع الفطرة السليمة^(٢)، وقد ورد في الأثر عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «روحوا القلوب ساعة ساعة»^(٣).

وهو يحدد نشاط الإنسان ويبعث فيه المرح ويريح ذهنه من الضغوط والتوتر ومشاكل الحياة اليومية، لذلك فإن أغلب الناس يقضون فراغهم في الاستمتاع بالمواد الترفيهية التي تقدمها وسائل الإعلام كالمسلسلات التلفزيونية والأفلام

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، (ج ٢، ص ٤٥٤).

(٢) الإعلام والبيت المسلم، (ص ٦٣).

(٣) مسند الشهاب (١/ ٣٩٣).

السينمائية والمجلات المصورة والمقالات المتنوعة والرسم الصحفي الساخر... وغير ذلك من الأمور التي تشكل دوراً مهماً في الترويح عن الناس. ولقد أدركت الأمم أن الترفيه ليس برامج محايدة هدفها الترويح والتنفيس عن الجمهور المتعب، ولكنه قوة فاعلة في نقل القيم والأفكار والمعلومات، ولها آثارها العميقة المتشعبة^(١).

لذا يرى كثير من المفكرين أن المادة الإعلامية الترفيهية يجب أن تضرب عصفورين بحجر واحد ترفيه عن الجمهور، وفي الوقت نفسه تؤثر في نحو المجتمع، ويطلق على هذا النوع من الترفيه (الترفيه الموجه) حيث تستغل رغبة الناس في قضاء وقت طيب بتقديم مبادئ أو اتجاهات مرغوبة داخلية في المادة الترفيهية^(٢). وهذا يشير إلى ضرورة إنشاء برامج إعلامية ترفيهية للجمهور لتنمية مواهبهم وزيادة ثقافتهم وشغل أوقاتهم بالمفيد الممتع.

ومجال الترويح واسع، ولكن ليس من الترويح المشروع اللجوء إلى الأغاني الرخيصة المائعة أو الموسيقى الصاخبة أو المسلسلات الهابطة كما هو حال كثير من وسائل الإعلام اليوم^(٣).

فالترفيه يمكن أن يتحقق من خلال المسابقات الثقافية، والأناشيد الجيدة، والشعر النزيه، والقصة الهادفة، والمسرحية المفيدة، بل إن المسلسلات والتمثيلات من أهم البرامج الترفيهية التي تحظى بإقبال واهتمام الجمهور لما تشتمل عليه من الحركات والحوارات التي تتخلل القصة، وهذا مما يجعل أثرها

(١) انظر: دور الإعلام في توجيه الشباب، أبحاث الندوة العلمية الخامسة، (ص ٢٩-٤٢).

(٢) وقائع ندوة: ماذا يريد التربيون من الإعلاميين؟، (ص ٣١٠-٣١١).

(٣) الإعلام والبيت المسلم، (ص ٦٤).

قوياً على أفكار وأخلاق المجتمعات ، لذا لابد من العناية بهذا الجانب الذي يعد من أعظم الجوانب في وسائل الإعلام والإعداد الجيد له ، باختيار المضمون الهادف الذي يغرس ويثبت العقيدة في النفوس ، ويربي على الفضائل والمثل العليا ، وينفر من القبائح ، ويحذر من الرذائل ، وي طرح القضايا التي يعاني منها الجمهور كالجهل والبطالة وسوء الخلق والانحراف والبعد عن الدين وأسباب ذلك وقضايا الأسرة والتربية ، وأن تعالج هذه الأمور بجديّة وإقناع ، مع مراعاة العنصر التشويقي الفكاهي المرح الذي يسهل على الجمهور فهم واستيعاب المضمون الهادف^(١) ، لتحقيق الغرض والهدف الأسمى من هذا الترفيه.

وبهذا يمكن أن نحمي المجتمعات من سلبيات وآثار برامج الترفيه الفاسدة بإيجاد البديل من الترفيه الهادف الذي يحقق لهم مع الترويح والمتعة النفع والفائدة ويحفظ لهم دينهم وعقيدتهم من الانتكاسة عن الإسلام.

الفرع الثالث: أهمية البرنامج التعليمي والتثقيفي؛

يعتبر التعليم والتثقيف عن طريق وسائل الإعلام من الأمور المهمة التي أسهمت في نشر العلم والثقافة بين الشعوب.

وقد قامت وسائل الإعلام بإعداد برامج علمية ثقافية تساعد على تعليم أفراد المجتمع وتثقيفهم.

ويمكن استغلال هذه البرامج العلمية لتحقيق الوقاية من الانتكاسة بإعدادها إعداداً نابعاً من الدين الحنيف وربط المادة العلمية بالدين ، واستبعاد النظريات العلمية التي تعارض العقيدة الإسلامية وتنفي قدرة الله وأثره في الكون ، والعمل

(١) انظر: أثر وسائل الإعلام على الطفل ، (ص ٢٣).

على تنفيذ تلك النظريات ، وإبطالها بدراسة دلائل قدرة الله تعالى وعظمته في خلق الكون والحياة وتكوين الإنسان ، وإيجاده من عدم وتكريمه وتكليفه بما شرع الله له من التكاليف التي تضمن سعادته في الدنيا والآخرة.

وهذا مما ينمي في القلوب محبة الله تعالى وعظمته وخشيته والإذعان له والانقياد لأوامره ، والبعد عن نواهيهِ.

كما يمكن من خلال هذه البرامج العلمية تقديم دروس دينية لشرح وتوضيح هذه التكاليف الشرعية وتطبيقها وفق السنة المحمدية ، وطرح بعض الفتاوى الفقهية ، والرد عليها من المختصين ، وتسجيل هذه الدروس العلمية والفتاوى الإسلامية على أشرطة ليسهل نشرها وتوزيعها بين الناس ، كما يمكن إعداد برامج متخصصة للدعاة تناول القضايا الفقهية والدعوية - كفضل الدعوة ومكانتها وأساليبها - ليزيد ذلك من حماس الدعاة ونشاطهم الدعوي مع تبصيرهم بأساليب الدعوة لضمان نجاح دعوتهم واستمرارها ، وهذا ما تقدمه بعض الإذاعات في الأقطار الإسلامية كإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية. ولا بد من العناية بالثقافة الإسلامية وإكساب الأفراد العلوم والثقافة والمعارف العامة التي تشري الفكر وتسدد الاتجاهات وتزيد الحصيلة الثقافية ، وخاصة ما يتعلق منها بنواحي الحياة العامة.

والثقيف زيادة في المعرفة بغير الأسلوب الأكاديمي المتبع في المدارس العلمية^(١) ، وإنما يتم ذلك بأساليب أخرى مثل عقد الندوات وإعداد المسابقات الثقافية وإقامة المحاضرات العامة التي تناقش القضايا الدينية والفكرية

(١) انظر: وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ ، (ص ٣٨).

والاجتماعية والعلمية التي تهدف إلى سعة أفق الفرد وفهم ما يدور حوله من أفكار واتجاهات وكيفية التعامل معها، كبرنامج "دين ودنيا" وبرنامج "الإسلام والحياة" الذي يقدم من المملكة العربية السعودية.

فوسائل الإعلام لابد أن تقوم بواجبها تجاه نشر العلم والمعارف والثقافة الإسلامية، لتعرف المسلم بربه ودينه، وتدفع بعجلة العلم لتسير في إطار الدين الإسلامي، كما ينبغي عليها أن تركز على الثقافة الصالحة وتدعم الفكر النافع^(١)، وتوقظ في حس المسلم الشعور بالمسؤولية تجاه دينه، وحمل لواء الدعوة ونصرة الدين.

وهذه العلوم والثقافات الإسلامية تكسب المسلم الحصانة الدينية، وتحمي فكره من الإنزلاق في مهاوى الجهل ومساوئ الضلال، وتقيه من الانحراف والوقوع في الانتكاسة.

الفرع الرابع: أهمية البرنامج التوجيهي:

يهدف البرنامج التوجيهي إلى تحليل الأخبار والأحداث والمواقف وما تتضمنه بقصد توجيه المجتمع، والتأثير على مواقفه السياسية والاجتماعية وتوجيهها.

ووسائل الإعلام قادرة على إكساب الجماهير اتجاهات جيدة، أو تعديل اتجاهات سيئة، ولكن ذلك مشروط بحسن المادة الإعلامية وملازمتها للجمهور، وتقديمها له في ظروف مناسبة^(٢).

(١) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، أبحاث وقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص ٤٤٠).

(٢) انظر: ندوة ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟، (ص ٣٠١).

لذلك يمكن لنا تطوير هذه البرامج وتسخيرها لتوجيه أفكار الناس وإرشادهم إلى السلوك الصحيح ، ليتحقق لهم بذلك الحصانة الدينية من خلال التأكيد على الاتجاهات الفاضلة ، وتعديل الاتجاهات السيئة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة .

فيمكن أن يدور محور تمثيلية ما مثلاً عن أثر التحلي بالخلق الإسلامي على الأسرة ، كما يمكن أن تقدم الإذاعة برنامجاً عن أهمية التمسك بالقيم الإسلامية وأثره على المجتمعات ، وتنشر الصحف مقالات ولقاءات مع أهل العلم والدعوة وتشيد بهم وتشني عليهم ، ليكون ذلك حافزاً ودافعاً للاقتداء بهم .

كما يمكن تعديل الاتجاهات السيئة ، من خلال استنكار الانحرافات والسلوكيات الناشئة عن العرف المخالفة للدين ، والتنديد بها وبيان مساوئها وأضرارها ؛ لأن بعض هذه الانحرافات والسلوكيات الخاطئة قد تبدو مقبولة عند البعض ، لاعتيادهم عليها بكثرة سلوكها والوقوع فيها ، فإذا أنكرت وتُدد بها على مستوى الجماهير وتم التنفير من أهلها والتحذير منهم سيضطّر أهلها إلى تركها وتجنبها قناعة ورغبة أو خوفاً من النشوز عن المجتمع والمصادمة معهم^(١) .

ووسائل الإعلام من خلال هذه البرامج قادرة على تغيير توجهات الناس وتعديلها وإقناعهم وحثهم على السير نحو المثل العليا^(٢) .

فالخلاصة أن هذه البرامج يمكن من خلالها تصحيح الأفكار الخاطئة ، وتعديل السلوكيات المنحرفة ، بإقناع أصحابها بمبادئ الإسلام وحثهم على التمسك به ، وهذا يحقق وقاية لهم من الانتكاسة .

(١) انظر: وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ ، (ص ٣٠٢) .

(٢) انظر: الإعلام الإسلامي ، (ص ٣٨٥) .

الفرع الخامس: أهمية البرنامج الإعلاني:

الإعلان هدف بارز لوسائل الإعلام، يقتضي تعريف الناس بالسلع واستخداماتها، والحث على شرائها وتجربتها.

ويتفاعل الناس مع هذه الإعلانات، لما تتميز به من جمال العبارات وسحر الألفاظ وانتقاء الصور والألوان، فيقبلون على شراء هذه السلع واقتنائها.

ولما للإعلان من هذا التأثير العجيب الذي يشد النفوس للتطلع لما تعرضه هذه الإعلانات فيصدقها ويستجيب لأهدافها، وجب الانتفاع منه في تحقيق الوقاية من الانتكاسة، وذلك من خلال الإعلان عن مواعيد الدروس العلمية والمحاضرات الإسلامية، والحث على حضورها بطريقة مشوقة للانتفاع منها.

وكذلك الإعلان عن الكتب المفيدة^(١) والأشرطة الإسلامية المؤثرة لشرائها والاستفادة منها، وكذا الإعلان عن الصحف والمجلات النافعة.

وهناك إعلانات مضادة للتحذير من السلع الضارة كالتدخين مثلاً، والإعلانات التي تحارب المخدرات من خلال ما يرفق مع الإعلانات التجارية من عبارات وجمل تحذر من الوقوع فيها وهي عبارات لها تأثيرها في النفوس لا محالة.

ويمكن صياغة بعض العبارات التي تبجل الأخلاق الحميدة، وتذكر المسلم بواجباته الدينية كعبارة: (أقم صلاتك قبل ممالكك) وهي عبارة نافعة ومؤثرة تبرزها بعض القنوات الإعلامية.

ومن ثم تكون هذه البرامج قد أسهمت إسهاماً جليلاً في تحقيق وقاية المسلم من الانتكاسة.

(١) انظر: وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟، (ص ٣١٢).

الفرع السادس: أهمية مواقع الإنترنت وخدماته:

لما للإنترنت من أهمية كبيرة وأثر عظيم على الأفراد والمجتمعات بما يقدم من خدمات ومعلومات تتفوق على وسائل الإعلام الأخرى أحياناً، وجب علينا الانتفاع به واستغلال جوانبه المفيدة وتسخيرها في الدعوة إلى الله، لا سيما أن أكثر مستخدمي الإنترنت من الطبقات المثقفة من المجتمع، كاساتذة الجامعات والتربويين والإعلاميين وقادة الرأي في المجتمعات، فإذا وصلتهم دعوة الله وتأثروا بها كانوا مكسباً كبيراً مؤثراً في مجتمعاتهم^(١)، وذلك بعرض العقيدة الصافية عليهم ودعوتهم للتمسك بها لحمايتهم من أسباب الانحراف.

ويمكن تحقيق ذلك بإنشاء مواقع لتعليم الناس وتبصيرهم بأمور دينهم، والرد على تساؤلاتهم وإرسال الكتب النافعة إلى بعض العناوين البريدية، واستغلال أندية الحوار في المحادثات والحوارات الهادفة.

ذلك إلى جانب التحذير من المواقع السيئة والتنبيه على مخاطرها، والرد على الشبهات المثارة حول الإسلام، وتنفيذ البدع والأباطيل التي تطلقها بعض المواقع الخبيثة المغرضة، والتصدي للمحاولات الإجرامية التي يتعرض لها الإسلام^(٢).

وبهذا ينتشر الدين ويعلو الحق ويندحر الباطل، وتتحقق بذلك الوقاية من الانتكاسة.

ومن هنا يتضح لنا دور وسائل الإعلام وأثرها في استقامة سلوك الأفراد وصلاح المجتمعات ووقايتهم من الانتكاسة متى ما وُجّهت هذه الوسائل نحو الأهداف التربوية وسخرت برامجها لتحقيق ذلك.

(١) الإعلام والبيت المسلم، (ص ١٠٤).

(٢) للاستزادة يرفع إلى شريط إبراهيم الفارس بعنوان الدعوة إلى الله من خلال الإنترنت.

الخاتمة

أحمد الله الذي هيا لي كتابة هذه الرسالة التي تحوي موضوعاً يعد من أهم الموضوعات التي تمس عقيدة المسلم وخلقها، وهي التدابير الواقية من انتكاسة المسلم، وقد تحدثت فيها عن مفهوم هذه الانتكاسة وأسبابها وآثارها وموقف الشريعة منها، ثم تناولت التدابير الواقية من هذه الانتكاسة، وقد شملت التدابير الذاتية والأسرية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية.

ويحسن في خاتمة هذه الرسالة جمع أهم ما تناثر في ثناياها من استنتاجات، وما تضمنته من توصيات.

ومن أهم النتائج هي ما يلي:

(١) إن مفهوم الانتكاسة اللغوي يدور حول الانقلاب والإمالة والرجوع والعود.

(٢) إن مفهوم الانتكاسة الاصطلاحي يدور حول الانقلاب والتغير والرجوع والردة من الهدى إلى الضلال.

(٣) إن المراد بالانتكاسة هو تغير الإنسان من الإيمان إلى الكفر أو من التقوى والصلاح إلى الفجور والسوء.

(٤) إن لهذه الانتكاسة أسباباً عديدة تعود في معظمها إلى المرء نفسه تؤدي به للوقوع في الانتكاسة.

(٥) إن لهذه الانتكاسة آثاراً سيئة على الفرد والأسرة والمجتمع في الدنيا والآخرة.

(٦) إن حكم الانتكاسة في الشريعة يختلف بحسب درجتها وبعدها عن الدين، فقد يحكم على المنتكس بالردة والخروج من الإسلام إذا أتى بما يناقض الدين قولاً أو عملاً، وقد تكون الانتكاسة بارتكاب المعاصي التي لا تخرج صاحبها من الدين لكنها محرمة شرعاً.

(٧) إن الشريعة الإسلامية قد هيات تدابير وقائية تقي المسلم من الوقوع في الانتكاسة، منها ما يتعلق بالعقيدة كترسيخ العقيدة في القلب والإخلاص لله في العمل، ومنها ما يتعلق بالشريعة كالمحافظة على أداء العبادات من صلاة وصوم ودعاء وذكر...، ومنها ما يتعلق بالأخلاق والآداب كطلب العلم والتزام الوسطية.

(٨) إن الوقاية من الانتكاسة يحتاج تحقيقها إلى التعاون الأسري من الوالدين والزوج والإخوة وعامة الأقارب، فالوالدان مطالبان بتعليم أولادهما ومتابعتهم وتوجيههم وتأديبهم وشغل أوقاتهم بالمفيد.

(٩) الزوج مطالب بنصح زوجته وتوجيهها، والمحافظة على بيته من دخول عوامل الهدم والفساد، وإيجاد البديل النافع لشغل أوقات الزوجة والأولاد بالمفيد، والإخوة عليهم التعاون مع الوالدين بالنصح والمتابعة والتوجيه، وكذلك عامة الأقارب عليهم القيام بحق النصح والإرشاد لأقاربهم.

(١٠) يمكن أن يحقق المجتمع الوقاية من الانتكاسة من خلال المساجد وما يقام فيها من دروس ومحاضرات وخطب، وما يؤدي فيها من عبادات.

(١١) مجتمع القرناء له أثر في وقاية القرين من الانتكاسة بالقيام بنصحه ومتابعته، وتوجيهه.

(١٢) التعليم له جانب كبير وأثر عظيم في وقاية المسلم من الانتكاسة، من خلال انتقاء المناهج واختيار المدرسين الأكفاء والمدير الناجح والمرشد الطلابي المخلص.

(١٣) الإعلام له دور رائد في حماية الأفراد ووقايتهم من الانتكاسة، إذا ما وجهت برامجه التوجيه السليم، وكانت منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف.

وأهم التوصيات هي ما يلي:

(١) على المسلم أن يحفظ دينه ويتقي الأسباب التي تؤدي للوقوع به في الانتكاسة.

(٢) على المسلم أن يأخذ بالأحكام الذاتية الوقائية التي تقيه من الوقوع في الانتكاسة.

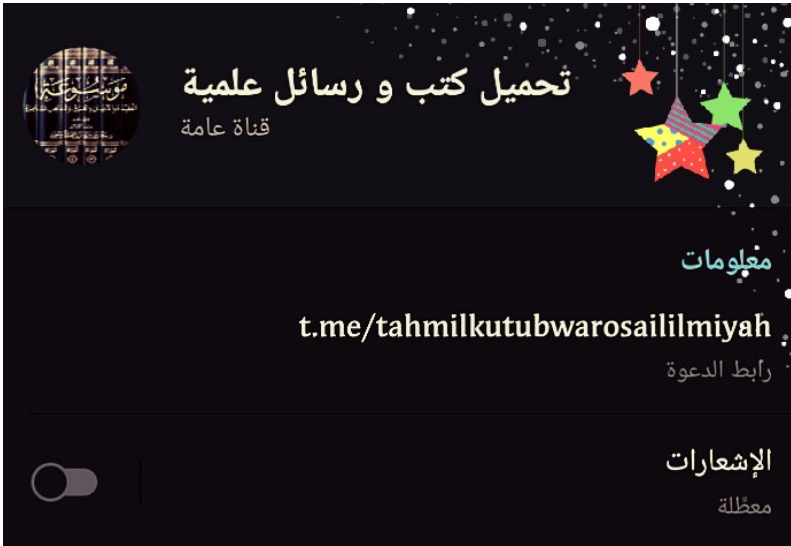
(٣) على الوالدين والزوج والإخوة وعامة الأقارب القيام بمسؤولياتهم تجاه أهلهم وأقاربهم، ليتحقق لهم الوقاية من الانتكاسة.

(٤) على الجهات المسئولة عن المساجد إعمارها بحلق القرآن والمحاضرات وتكثيف الدروس العلمية، لاسيما لصغار السن الذين تتراوح أعمارهم من سبع إلى عشر سنين، فإن أغلب المساجد تركز على تعليم الصغار القرآن فقط دون الاهتمام بالآداب وبالعلوم الأخرى مثل التفسير والتوحيد والحديث والفقه وحفظ بعض المتون.

(٥) على المسئولين عن التعليم العناية والاهتمام به، وإعداد المناهج إعداداً جيداً مستمداً من شريعتنا الإسلامية، واختيار المدرسين الذين تتحقق فيهم الكفاءة العلمية والسلوكية، وانتقاء المرشد الطلابي المخلص في توجيه الطلاب وإرشادهم وتعيين المدير الناجح الذي يسير الدفة التعليمية.

(٥) وعلى الجهات المسئولة عن الإعلام تشديد الرقابة ومنع ما ييثر عبر وسائل الإعلام من برامج سيئة تؤثر في العقيدة وتفسد الأفكار والأخلاق والعمل على توجيه البرامج الوجهة السليمة المنبثقة من ديننا الحنيف.

هذا.. وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به، ويتجاوز فيه عن الزلل والتقصير. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



قائمة المصادر والمراجع

[١]

[١] أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام ، فتحي يكن ، ط ٣ (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٥ هـ).

[٢] الاتصال الجماهيري ، جون. ر. بيتتر ، ترجمة : د. عمر الخطيب ، ط ١ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت ، ١٩٨٧ م).

[٣] أثر التلفزيون في تربية المراهقين ، نزهة الخوري ، ط ٦ (دار الفكر اللبناني : بيروت ، ١٩٩٧ م).

[٤] أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب ، محمد الصواف ، ط ٢ (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٣ هـ).

[٥] أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك ، أسماء فضل ، ط ١ (دار القلم : بيروت ، ١٤١٤ هـ).

[٦] أثر وسائل الإعلام على الطفل ، د. عبدالفتاح أبو معال ، ط ١ (دار الشروق : عمان ، ١٩٩٧ م).

[٧] الأحكام السلطانية ، علي بن محمد الماوردي ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة ، بدون طبعة (دار الاعتصام : القاهرة ، بدون تاريخ).

[٨] إحياء علوم الدين ، محمد أبو حامد الغزالي ، بدون طبعة (دار المعرفة : بيروت ، بدون تاريخ).

[٩] الإخلاص ، حسين عوايشه ، ط ٤ (المكتبة الإسلامية : عمان ، ١٤٠٨ هـ).

[١٠] الإخلاص مفهومه ومجالاته ، جمعة أمين ، ط ٢ (دار الدعوة : الإسكندرية ، ١٤١٤ هـ).

- [١١] الأخوة الإسلامية وآثارها، عبدالله الجارالله، ط ٢ (ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ).
- [١٢] الإدارة المدرسية وتطبيقاتها، عبدالله العرفي، ط ١ (جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٣م).
- [١٣] الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقييل، ط ٧ (مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، ١٤١٧هـ).
- [١٤] الأدب المفرد، محمد إسماعيل البخاري: تحقيق: فؤاد عبد الباقي، ط ٣ (دار البشائر الإسلامية: بيروت، ١٤٠٩هـ).
- [١٥] الأذكار، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محيي الدين شامي، ط ٤ (مؤسسة الكتب الثقافية: بيروت، ١٤١٢هـ).
- [١٦] أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن البابطين، ط ١ (دار القاسم: الرياض، ١٤١٦هـ).
- [١٧] الإسلام والغزو الفكري، محمد خفاجي، تحقيق: عبدالعزيز شرف، ط ١ (دار الجبل: بيروت، ١٤١١هـ).
- [١٨] الإسلام ينهى عن الغلو في الدين ويدعو للوسطية، سليمان الحقييل، ط ١ (مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، ١٤١٦هـ).
- [١٩] الاستذكار، يوسف بن عبدالبر النمري، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد معوض، ط ١ (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ).
- [٢٠] الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة، عبدالودود مكروم، ط ١ (دار الفكر لعربي: القاهرة، ١٤١٦هـ).

- [٢١] الإعلام أولاً، أسعد السحمراني، ط ١ (دار النفائس: بيروت، ١٤١٥هـ).
- [٢٢] الأعلام، خير الدين الزركلي، بدون طبعة (دار القلم: بيروت، ١٩٧٩م).
- [٢٣] الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، أبحاث وقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٣ (الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الرياض، ١٤٠٩هـ).
- [٢٤] الإعلام مفاهيم، علي محمد النجعي، ط ٢ (مطبعة سفير: الرياض، ١٤١٧هـ).
- [٢٥] الإعلام والبيت المسلم، فهمي نجار، ط ٢ (مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، ١٤٢٠هـ).
- [٢٦] آفات على الطريق، د. محمد نوح، ط ١ (دار اليقين: مصر، ١٤١٨هـ).
- [٢٧] اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام أحمد بن تيميه، تحقيق: ناصر العقل، ط ١ (العيكان: الرياض، ١٤١٤هـ).
- [٢٨] الإمام في أسباب ضعف الالتزام، حسين ثامر، ط ١ (دار ابن خزيمة: الرياض، ١٤٢١هـ).
- [٢٩] أمراض القلوب، لشيخ الإسلام أحمد بن تيميه، تحقيق: منى حداد، ط ١ (دار الوراق: بيروت، ١٤٢٠هـ).
- [٣٠] أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري، ط ٢ (مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ١٤١٦هـ).

[ب]

- [٣١] البحر المحيط، للإمام محمد بن يوسف بن حيان، ط ٢ (دار الفكر: بيروت، ١٤٠٣هـ).

[٣٢] البداية والنهاية، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وزملاؤه، ط ٣ (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٧هـ).

[ت]

[٣٣] تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، أحمد بن عبد ربه، تحقيق: محمد سليم، بدون طبعة (مكتبة القرآن: القاهرة، بدون تاريخ).

[٣٤] أنتاج العروس من جواهر القاموس، للإمام محب الدين محمد بن مرتضى الزبيدي، تحقيق: إبراهيم التزدي، ط ١ (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٦هـ).

[٣٥] تاريخ بغداد، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، بدون طبعة (دار الكتب العلمية: بيروت، بدون تاريخ).

[٣٦] تحفة الذاكرين، للإمام محمد بن علي الشوكاني، بدون طبعة (دار الكتب العلمية: بيروت، بدون تاريخ).

[٣٧] تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، للحافظ المباركفوري، ط ٣ (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٥٣هـ).

[٣٨] التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، بدون طبعة (دار سحنون: تونس، بدون تاريخ).

[٣٩] التدابير الواقية في الإسلام، فتحي يكن، ط ١ (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٩هـ).

[٤٠] التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، ط ٣ (دار الريان للتراث: القاهرة، ١٤١١هـ).

- [٤١] تذكرة الحفاظ، للإمام محمد بن طاهر القيسراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط ١ (دار الصميعي : الرياض ، ١٤١٥هـ).
- [٤٢] التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء، ط ١ (دار أشيليا : الرياض، ١٤١٧هـ).
- [٤٣] تربية الشباب المسلم، خالد أحمد شنتوت، ط ١ (دار المجتمع : المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ).
- [٤٤] تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، ط ٨ (دار السلام : القاهرة، ١٤٠٥هـ).
- [٤٥] تربية الأولاد والآباء في الإسلام، المبروك عثمان، ط ١ (دار قتيبة : دمشق، ١٩٩٢م).
- [٤٦] تربية الأولاد في الإسلام، محمد عقله، ط ١ (مكتبة الرسالة الحديثة : عمان، ١٤١٠هـ).
- [٤٧] التربية الإسلامية بين المنهج والمدرس، د. محمد العروسي، ط ١ (المركز العالمي للتعليم الإسلامي : مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ).
- [٤٨] التربية الإسلامية، د. سليمان عبدالرحمن الحقييل، ط ٢ (مكتبة الملك فهد الوطنية : الرياض، ١٤١٦هـ).
- [٤٩] تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد حامد الناصر، خولة عبدالقادر درويش، دون طبعة (مكتبة السوادي : جدة ، بدون تاريخ).
- [٥٠] تربية المراهق في رحاب الإسلام، محمد حامد الناصر، خولة درويش، ط ٢ (دار المعالي : عمان، ١٤١٩هـ).

[٥١] التربية ومشكلات المجتمع، د. سيد إبراهيم الجيار، بدون طبعة (دار غريب: القاهرة، بدون تاريخ).

[٥٢] ترك الغل والحسد، أسعد الصاغري، ط ١ (دار القبلة للثقافة الإسلامية: دمشق، ١٤١٥هـ).

[٥٣] تزكية النفوس، للإمام ابن القيم الجوزية، والحافظ ابن رجب الحنبلي والإمام أبي حامد الغزالي، جمع وترتيب: أحمد فريد، تحقيق: ماجد أبو الليل، بدون طبعة (دار القلم: بيروت، بدون تاريخ).

[٥٤] التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ١ (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٥هـ).

[٥٥] تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ط ١ (دار الحديث القاهرة، بدون تاريخ).

[٥٦] تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير، ط ٢ (دار القلم: بيروت، بدون تاريخ).

[٥٧] التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ط ٢ (بدون دار نشر، بدون مكان نشر، ١٣٩٦هـ).

[٥٨] التلغاز وحكمه في الشريعة الإسلامية، عبدالله بن حميد، ط ١ (بدون دار نشر: دون مكان نشر، ١٤٠٥هـ).

[٥٩] التلفزيون بين المنافع والمضار، عوض منصور، ط ٣ (الزرقاء: الأردن، ١٤٠٨هـ).

[٦٠] تلبيس إبليس، للحافظ عبدالرحمن أبي الفرج الجوزي، بدون طبعة (دار الجبل: بيروت، ١٤٠٨هـ).

[٦١] تهذيب التهذيب، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ط ١ (دار الفكر: بيروت ١٤٠٤هـ).

[٦٢] تهذيب مدارج السالكين، للإمام ابن القيم الجوزية، تهذيب: عبد المنعم العزي، بدون طبعة (مؤسسة جواد: بيروت، بدون تاريخ).

[٦٣] التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط ١ (دار الفكر: بيروت، ١٤٠١هـ).

[٦٤] تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالوهاب، ط ٦ (المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٥هـ).

[٦٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، ط ٢ (عالم الكتب: بيروت، ١٤١٤هـ).

[ج]

[٦٦] الجامع لأحكام القرآن، للإمام محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، ط ٢ (دار الشعب: القاهرة، ١٣٧٢هـ).

[٦٧] جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط ١ (دار المعرفة: بيروت، ١٤٠٦هـ).

[٦٨] جامع العلوم والحكم، للحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: وهبة الزحيلي، ط ١ (دار الخير: بيروت، ١٤١٣هـ).

[٦٩] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام ابن القيم الجوزية، عصام الدين الصبابي، بدون طبعة (دار الحديث: القاهرة، بدون تاريخ).

[ح]

[٧٠] الحسد، عبدالخالق العطار، ط ١ (مكتبة الاستشفاء بالقرآن، القاهرة، بدون تاريخ).

[٧١] حاشية ابن القيم، للإمام ابن القيم الجوزية، ط ٢ (دار الكتب العلمية: بيروت ١٤١٥هـ).

[٧٢] حاشية كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بقلم عبد الرحمن القاسم ط ٣ (بدون دار نشر: بدون مكان للنشر، ١٤٠٨هـ).

[٧٣] الحور بعد الكور، محمد الدويش، ط ١ (دار الوطن: الرياض، ١٤٠٦هـ).

[خ]

[٧٤] خطبة الجمعة أهميتها وتأثيرها، محمد عبد اللطيف الرفاعي، ط ١ (جروسي برس طرابلس، ١٤١٥هـ).

[د]

[٧٥] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد خان، ط ٢ (مطبعة مجلس دائرة المعارف: حيدر آباد، ١٩٧٢م).

[٧٦] الدعاء مفهومه، أحكامه، أخطاء تقع فيه، لمحمد إبراهيم الحمد، ط ٢ (دار ابن خزيمة: الرياض، ١٤١٨هـ).

[٧٧] دور الإعلام في توجيه الشباب، أبحاث الندوة العلمية الخامسة، بدون طبعة (دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية: بدون مكان للنشر، ١٤٠٨هـ).

[ذ]

[٧٨] ذيل تذكرة الحفاظ، للحافظ محمد بن علي الحسن الحسيني، تحقيق: حسام القدسي، بدون طبعة (دار الكتب العلمية: بيروت، بدون تاريخ).

[ر]

[٧٩] الرائد، مازن الفريح، ط ١ (دار المنطلق: الرياض، ١٤١٨هـ).

[٨٠] رسائل في الغزو الفكري ووسائله وحكم السفر إلى بلاد الكفرة وفتن المجالات، للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط١ (المكتب السكندري الإسلامي: الإسكندرية، ١٤٠٨هـ).

[٨١] رسالة إلى مذهب، أبو الحسن محمد الفقيه، ط١ (دار ابن خزيمة: الرياض، ١٤٢١هـ).

[٨٢] رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، صالح بن عبدالله بن حميد، ط١ (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي: أم القرى، ١٤٠٣هـ).

[٨٣] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمد الألوسي البغدادي، ط١ (إحياء التراث العربي: بيروت، بدون تاريخ).

[٨٤] الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع، منصور البهوتي، تحقيق: اللحام، ط١ (دار الفكر: بيروت، ١٤١٠هـ).

[٨٥] الرياء وأثره السيئ على الأمة، سليم الهلالي، ط١ (مكتبة ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ).

[٨٦] رياض الصالحين، للحافظ أبوزكريا بن يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبدالعزيز رباح، أحمد الدقاق، بدون طبعة (دار الثقافة العربية: دمشق، ١٣٩٦هـ).

[ز]

[٨٧] زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط٩ (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٦هـ).

[س]

[٨٨] سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة جديدة (مكتبة المعارف: الرياض، ١٤١٥هـ).

[٨٩] سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١ (مكتبة المعارف: الرياض، ١٤١٦هـ).

[٩٠] سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان الساجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون طبعة (دار الفكر: بدون مكان نشر، بدون تاريخ).

[٩١] سنن البيهقي الكبرى، للحافظ أبو بكر أحمد عبد الحليم البيهقي، تحقيق محمد عطا، بدون طبعة (مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، ١٤١٤هـ).

[٩٢] سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، بدون طبعة (دار إحياء التراث: بيروت، بدون تاريخ).

[٩٣] سنن الدارمي، للحافظ عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي، خالد العلمي، ط ١ (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ).

[٩٤] سير أعلام النبلاء، للحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٧ (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٠هـ).

[ش]

[٩٥] شأن الدعاء، للحافظ حمد بن محمد أبو سليمان الخطابي، تحقيق: أحمد الدقاق، ط ١ (المأمون للتراث: بيروت، ١٤٠٤هـ).

[٩٦] شبهات حول الإسلام، محمد قطب، بدون طبعة (وزارة المعارف: المملكة العربية السعودية، ١٣٩٨هـ).

[٩٧] شبهات في طريق المرأة المسلمة، عبدالله الجلالي، ط ٢ (دار الصميعي: الرياض، ١٤١٢هـ).

[٩٨] الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ط ١ (دار الجبل: بيروت، ١٤١١هـ).

[٩٩] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحى بن أحمد العكري، بدون طبع (بدون دار نشر: بدون مكان نشر، ١٤١٨هـ).

[١٠٠] شرح الطحاوية، علي بن علي بن محمد أبي العز الحنفي، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، ط ٢ (مكتبة المعارف: الرياض، ١٤٠٧هـ).

[١٠١] شرح كشف الشبهات، للشيخ صالح بن فوزان آل فوزان، بدون طبعة (دار النجاح: الرياض، ١٤١٩هـ).

[١٠٢] شرح النووي على صحيح مسلم، للحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ط ٢ (دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ).

[١٠٣] شعب الإيمان، للحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد زغلول، ط ١ (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٠هـ).

[ص]

[١٠٤] صحيح ابن حبان، للإمام محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط ٢ (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٤هـ).

[١٠٥] صحيح ابن خزيمة، للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: مصطفى الأعظمي، بدون طبعة (المكتب الإسلامي: بيروت، ١٣٩٠هـ).

[١٠٦] صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، ط ٣ (دار ابن كثير: بيروت، ١٤٠٧هـ).

- [١٠٧] صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون طبعة (دار إحياء التراث العربي : بيروت ، بدون تاريخ).
- [١٠٨] صحيح سنن الترمذي ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط ١ (مكتب التربية العربي لدول الخليج : بدون مكان نشر ، ١٤٠٨ هـ)
- [١٠٩] صحيح سنن أبي داود ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط ١ (مكتب التربية لدول الخليج العربي : الرياض ، ١٤٠٩ هـ)
- [١١٠] صفة المجلس الصالح والمجلس السوء ، عمرو سليم ، بدون طبعة (دار الإيمان : الإسكندرية ، بدون تاريخ).
- [١١١] الصلاة ، د. عبدالله الطيار ، بدون طبعة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨ هـ).
- [١١٢] الصلة بالله وأثرها في النفوس ، محمد العلي ، ط ١ (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤١٨ هـ).

[ض]

- [١١٣] ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبدالله الميداني ، ط ٤ (دار العلم : دمشق ، ١٤١٤ هـ).

[ط]

- [١١٤] طبقات الحفاظ ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط ١ (دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤٠٣ هـ).
- [١١٥] طبقات المفسرين ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط ١ (مكتبة وهبة : القاهرة ، ١٣٩٦ هـ).
- [١١٦] الطفل في الشريعة الإسلامية ، سهام مهدي جبار ، ط ١ (المكتبة العصرية : بيروت ، ١٤١٧ هـ).

[٤]

- [١١٧] العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ط ١٨ (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٦هـ).
- [١١٨] العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية، نظام الدين عبد الحميد، بدون طبعة (مكتبة القدس: بغداد، بدون تاريخ).
- [١١٩] العبودية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عصام فارس، محمد شكور، ط ١ (دار عمار: عمان، ١٤١٨هـ).
- [١٢٠] العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، عبدالعزيز القارئ، ط ٢ (مكتبة الدار: المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ).
- [١٢١] العقيدة الصحيحة وما يضادها، للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، بدون طبعة (وزارة الشؤون الإسلامية: الرياض، ١٤٠٨هـ).
- [١٢٢] علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله البسام، ط ٢ (مكتبة النهضة الحديثة: مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ).
- [١٢٣] العلم فضلة وشرفه، للإمام ابن القيم الجوزية، ط ١ (مجموعة النفائس الدولية: الرياض، ١٤١٦هـ).
- [١٢٤] العلم والعلماء، عليم الدين الندياوي، بدون بيانات نشر.
- [١٢٥] العناية بأحوال الهداية، حمود الجاسم، ط ١ (الدار السلفية: الكوي، ١٤٠٧هـ).
- [١٢٦] عوامل التطرف والغلو والإرهاب وعلاجها، خالد العك، ط ١ (دار المكتبي: دمشق، ١٤١٨هـ).
- [١٢٧] العين، عبدالرحمن الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، ط ١ (دار الهلال: العراق، بدون تاريخ).

[غ]

- [١٢٨] غريب الحديث ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ، تحقيق : عبدالمعطي قلعجي ، ط ١ (دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٩٨٥ م).
- [١٢٩] الغلو في الدين ، عبدالرحمن اللويحق ، ط ٣ (موسسة الرسالة : بيروت ، ١٤١٦ هـ).

[ف]

- [١٣٠] الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ، جمع وترتيب : الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد ، بدون طبعة (بدون دار نشر : بدون مكان نشر ، ١٤١٨ هـ).
- [١٣١] فتح الباري لشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، محب الدين الخطيب ، بدون طبعة (دار المعرفة : بيروت ، ١٣٧٩ هـ).
- [١٣٢] فتح القدير ، للإمام محمد علي محمد الشوكاني ، بدون طبعة (دار المعرفة : بيروت ، بدون تاريخ).
- [١٣٣] الفتور المظاهر والأسباب والعلاج ، د. ناصر العمر ، ط ١ (دار الوطن : الرياض ١٤١٤ هـ).
- [١٣٤] الفردوس بمأثور الخطاب ، شيوخه الهمداني ، ط ١ (دار الكتب العلمية : بيروت ١٩٨٦ م).
- [١٣٥] فقه السنة ، للسيد سابق ، بدون طبعة (دار الأصفهاني : جده ، ١٤٠٧ هـ).
- [١٣٦] الفوائد ، للإمام ابن القيم الجوزية ، تحقيق : عبدالسلام شاهين ، ط ٤ (دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٩٥٩ م).
- [١٣٧] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط ٨ (دار الشروق : القاهرة ، ١٣٩٩ هـ).

[ق]

[١٣٨] القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، بدون طبعة (بدون بيانات نشر).

[ك]

[١٣٩] الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، ط ١ (إحياء التراث العربي : بيروت ، ١٤١٧هـ).

[ل]

[١٤٠] لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي ، ط ١ (دار صادر : بيروت ، بدون تاريخ).

[١٤١] لمحات في الثقافة الإسلامية ، عمر الخطيب ، ط ١٠ (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٦هـ).

[١٤٢] لمحة عن الفرق الضالة ، للشيخ صالح بن فوزان آل فوزان ، ط ٢ (دار السلف : المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ).

[م]

[١٤٣] المتساقطون على طريق الدعوة ، للأستاذ فتحي يكن ، ط ٢ (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤١٦هـ).

[١٤٤] المجموع الثمين ، للشيخ محمد الصالح العثيمين ، ط ١ (دار الوطن : الرياض ، ١٤١٠هـ).

[١٤٥] محاسن التأويل، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، بدون طبعة (دار إحياء الكتب العربية: القاهرة، بدون تاريخ).
 [١٤٦] المحيط في اللغة، إسماعيل عباد، تحقيق: محمد آل ياسين، ط ١ (عالم الكتب: بيروت، ١٤١٤هـ).

[١٤٧] مختصر إغاثة اللفهان، ابن غانم المقدسي، تحقيق: إبراهيم الجمل، بدون طبعة (مكتبة القرآن: القاهرة، بدون تاريخ).

[١٤٨] مختصر زاد المعاد، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: زهير الشاويش، ط (المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٣هـ).

[١٤٩] مختصر منهاج القاصدين، للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: رضوان جامع رضوان، ط ١ (مكتبة نزار: مكة المكرمة، ١٤١١هـ).
 [١٥٠] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، بدون طبعة (مكتبة لبنان: بيروت، ١٤١٥هـ).

[١٥١] المدرسة والمجتمع، د. مصطفى محمد متولي وآخرون، ط ١ (الخرجي: الرياض، ١٤١٣هـ).

[١٥٢] مستدرك الصحيحين، للإمام محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى العطا، ط ١ (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ).

[١٥٣] مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، بدون طبعة (مؤسسة قرطبة: القاهرة، بدون تاريخ).

[١٥٤] مسند الشهاب، للإمام محمد بن سلامة أبو عبدالله القضاعي، تحقيق: حمدي السلفي، ط ٢ (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٧هـ).

- [١٥٥] مسند عبد بن حميد، للإمام عبد بن حميد بن نصر الكسي، تحقيق صبحي السامرائي، محمود الصعيدي، ط ١ (مكتبة السنة: القاهرة، ١٤٠٨هـ).
- [١٥٦] مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن صالح باحارث، ط ٥ (دار المجتمع: جدة، ١٤١٧هـ).
- [١٥٧] المساجد، د. حسين مؤنس، بدون طبعة (عالم المعرفة: الكويت، ١٤٠١هـ).
- [١٥٨] المسجد ودوره في الإسلام، أحمد خليفة الحمادي، ط ١ (جمعية أم المؤمنين النسائية: الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٣م).
- [١٥٩] المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، عبدالله قاسم الوشلي، ط ١ (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٨هـ).
- [١٦٠] مشاهير علماء الأمصار، للإمام محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق: فلا يشهمر، بدون طبعة (دار الكتب العلمية: ١٩٥٩م).
- [١٦١] صباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، بدون طبعة (المكتبة العلمية: بيروت، بدون تاريخ).
- [١٦٢] مصنف بن أبي شيبة، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن شيبة، تحقيق: كمال الحوت ط ١ (مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٠٩هـ).
- [١٦٣] المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، خالد المصلح، ط ٢ (مكتبة الضياء: جدة ١٤١٠هـ).
- [١٦٤] المعجم الأوسط، لأبي القاسم. سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض، عبدالمحسن بن إبراهيم، بدون طبعة (دار الحرمين: القاهرة، ١٤١٥هـ).

- [١٦٥] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط ١ (دار إحياء التراث الإسلامي: قطر، بدون تاريخ).
- [١٦٦] المغني، للإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط ١ (دار هجر: القاهرة، ١٤١٠هـ).
- [١٦٧] المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، ط ١ (مكتبة الرشد: الرياض، ١٩٩٠م).
- [١٦٨] الملخص الفقهي، للشيخ صالح بن فوزان آل فوزان، ط ١٢ (دار ابن الجوزي: المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ).
- [١٦٩] من أجل مسجد فاعل، عبدالرحمن عبدالله اللعبون، ط ٢ (دار ابن لعبون: الرياض، ١٤١٨هـ).
- [١٧٠] من أخبار المتكسين، صالح مقبل العصيمي، ط ١ (دار ابن خزيمة: الرياض، ١٤١٦هـ).
- [١٧١] من قضايا الفكر في وسائل الإعلام، حمد بكر العليان، ط ١ (بدون دار نشر: بدون مكان نشر، بدون تاريخ).
- [١٧٢] منهاج السنة، لشيخ الإسلام ابن تيميه، تحقيق: حمد رشاد، ط ٢ (مكتبة المعارف: المغرب، ١٤١٩هـ).
- [١٧٣] منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم، أبو أسامة محيي الدين، ط ١ (مكتبة الخدمات الحديثة: جدة، ١٤١٤هـ).
- [١٧٤] منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، ط ٦ (دار ابن كثير: بيروت، ١٤١٧هـ).

[١٧٥] المنهج التربوي من منظور إسلامي، د. يعقوب النشوان، ط ١ (دار الفرقان: عمان، ١٤١٢هـ).

[١٧٦] منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبدالمنعم صابر، بدون طبعة (رابطة العالم الإسلامي: مكة المكرمة، ١٤١٨هـ).

[١٧٧] المذهب من إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، إعداد صالح الشامي، ط ١ (دار القلم: بيروت، ١٤١٣هـ).

[ن]

[١٧٨] نفح طيب من غصن الأندلس الرطيب، التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، بدون طبعة (دار صادر: بيروت، ١٩٦٨م).

[١٧٩] نواقض الإيمان القولية والعملية، عبدالعزيز عبداللطيف، ط ٢ (دار الوطن: الرياض، ١٤١٥هـ).

[و]

[١٨٠] الوابل الصيب من الكلم الطيب، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم العجوز، بدون طبعة (دار الكتب العلمية: بيروت، بدون تاريخ).

[١٨١] واركعوا مع الراكعين، عبدالعزيز المانع، ط ١ (مكتبة دار السلام: المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ).

[١٨٢] واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط ٣ (مؤسسة المدينة: جدة، ١٤١١هـ).

[١٨٣] وسائل الثبات على دين الله، محمد صالح المنجد، ط ١ (دار الوطن: الرياض، ١٤١١هـ).

[١٨٤] الوسطية في القرآن الكريم، علي الصلاحي، ط ١ (دار النفائس: عمان، ١٤١٩هـ).

- [١٨٥] وظائف رمضان، ملخصة من لطائف المعارف مع زيادات للشيخ عبدالرحمن القاسم، ط٦ (بدون دار نشر: بدون مكان نشر، ١٤٠٨هـ).
- [١٨٦] وقائع ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ ط٢ (مكتبة التربية العربي لدول الخليج: الرياض، ١٤٠٦هـ).

[ي]

- [١٨٧] يا من فقدناه في صلاة الجماعة، عبدالله السكاكر، ط٢ (دار الوطن: الرياض، ١٤١٩هـ).

البحوث غير المطبوعة:

- [١٨٨] الإخلاص وأثره في الدعوة، عبدالله العمودي، بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة لنيل درجة الماجستير.
- [١٨٩] الإنترنت مصائب ومكاسب، للشيخ محمد المنجد.
- [١٩٠] التدابير الواقية من المخدرات، فيصل جعفر بالي، بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الدكتوراه.
- [١٩١] مذكرة الإنترنت، رياض فايز الشهري.

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	التعريف بمفردات العنوان
٨	منهج البحث
٩	موضوعات البحث

الفصل الأول

٨٤١١	انتكاسة المسلم (أسبابها وآثارها وحكمها)
١٣	تمهيد
١٤	المبحث الأول: مفهوم الانتكاسة
١٤	المطلب الأول: مفهوم الانتكاسة اللغوي
١٥	المطلب الثاني: مفهوم الانتكاسة الاصطلاحي
١٧	المبحث الثاني: أسباب انتكاسة المسلم
١٧	تمهيد
١٨	المطلب الأول: الشبهات
٢٢	المطلب الثاني: البعد عن الوسطية
٢٢	أولاً: الغلو والتشدد
٢٥	ثانياً: التساهل والترخص
٢٧	المطلب الثالث: أمراض القلوب
٢٨	أولاً: الرياء
٣١	ثانياً: العجب والغرور

الصفحة	الموضوع
٣٢	ثالثاً: الكبر
٣٥	رابعاً: الحسد
٣٧	المطلب الرابع: قلة العلم الشرعي
٣٩	المطلب الخامس: الفتور
٤٢	المطلب السادس: العزلة عن الجماعة
٤٥	المطلب السابع: الصحبة السيئة
٤٨	المطلب الثامن: وسائل الإعلام الفاسدة
٥٠	المطلب التاسع: الإقامة في المجتمعات الفاسدة
٥٣	المطلب العاشر: الفتنة بالنساء
٥٦	المطلب الحادي عشر: الفتنة بالدنيا والتعلق بها
٦١	المطلب الثاني عشر: الغفلة عن تذكر الموت ونسيان الآخرة
٦٣	المطلب الثالث عشر: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء
٦٧	المبحث الثالث: آثار انتكاسة المسلم
٦٧	تمهيد
٦٨	المطلب الأول: الخروج من الإسلام إلى الكفر
٧٠	المطلب الثاني: الخروج من الإيمان إلى الفسق
٧٨	المبحث الرابع: حكم انتكاسة المسلم
٧٨	المطلب الأول: حكم الخروج من الإسلام إلى الكفر
٨١	المطلب الثاني: حكم الخروج من الإيمان إلى الفسق

الصفحة

الموضوع

الفصل الثاني

التدابير الذاتية الوقاية من الانتكاسة

١٤٦٨٥	تمهيد
٨٧	المبحث الأول: التدابير الذاتية المتعلقة بالعقيدة
٨٩	المطلب الأول: العقيدة وأثرها في الوقاية من الانتكاسة
٨٩	الفرع الأول: أهمية العقيدة
٩٣	الفرع الثاني: عوامل ترسيخ العقيدة
٩٤	أولاً: النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض
٩٥	ثانياً: العلم بالله وأسمائه وصفاته الحسنى
٩٧	ثالثاً: تدبر آيات القرآن الكريم
٩٩	رابعاً: دراسة سير الأنبياء والصالحين والإقتداء بهم
١٠٠	خامساً: الاستماع إلى المواعظ والانتفاع بها
١٠٢	الفرع الثالث: أثر العقيدة في الوقاية من الانتكاسة
١٠٦	المطلب الثاني: الإخلاص وأثره في الوقاية من الانتكاسة
١٠٦	الفرع الأول: أهمية الإخلاص
١١٠	الفرع الثاني: أثر الإخلاص في الوقاية من الانتكاسة
١١٣	المبحث الثاني: التدابير الذاتية المتعلقة بالشريعة
١١٣	تمهيد
١١٦	المطلب الأول: الصلاة وأثرها في الوقاية من الانتكاسة
١١٦	الفرع الأول: أهمية الصلاة

الصفحة

الموضوع

- ١١٧ الفرع الثاني: أثر الصلاة في الوقاية من الانتكاسة
- ١١٩ المطلب الثاني: الصوم وأثره في الوقاية من الانتكاسة
- ١١٩ الفرع الأول: أهمية الصوم
- ١٢٠ الفرع الثاني: أثر الصوم في الوقاية من الانتكاسة
- ١٢٣ المطلب الثالث: الدعاء وأثره في الوقاية من الانتكاسة
- ١٢٣ الفرع الأول: أهمية الدعاء
- ١٢٥ الفرع الثاني: أثر الدعاء في الوقاية من الانتكاسة
- ١٢٨ المطلب الرابع: الذكر وأثره في الوقاية من الانتكاسة
- ١٢٨ الفرع الأول: أهمية الذكر
- ١٢٩ الفرع الثاني: أثر الذكر في الوقاية من الانتكاسة
- ١٣٣ المبحث الثالث: التدابير الذاتية المتعلقة بالأخلاق والآداب
- ١٣٣ المطلب الأول: العلم وأثره في الوقاية من الانتكاسة
- ١٣٣ الفرع الأول: أهمية العلم
- ١٣٦ الفرع الثاني: أثر العلم في الوقاية من الانتكاسة
- ١٤٠ المطلب الثاني: الوسطية وأثرها في الوقاية من الانتكاسة
- ١٤٠ الفرع الأول: أهمية الوسطية
- ١٤٢ الفرع الثاني: أثر الوسطية في الوقاية من الانتكاسة

الفصل الثالث

١٩٤، ١٤٧

التدابير الأسرية الوقائية من الانتكاسة

١٤٩

تمهيد

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: مسؤولية الوالدين	١٥٠
تمهيد	١٥٠
المطلب الأول: مسؤولية الوالدين في التربية	١٥٠
المطلب الثاني: الصفات التي يجب أن يتحلى بها الوالدان	١٥٣
الفرع الأول: العلم	١٥٣
الفرع الثاني: القدوة الحسنة	١٥٤
الفرع الثالث: العدل	١٥٧
الفرع الرابع: الحكمة والموعظة الحسنة	١٥٩
الفرع الخامس: الرحمة والحب	١٦١
الفرع السادس: الدعاء	١٦٤
المطلب الثالث: أثر الوالدين في الوقاية من الانتكاسة	١٦٦
الفرع الأول: التعليم	١٦٦
الفرع الثاني: المراقبة والتوجيه	١٧١
الفرع الثالث: التأديب	١٧٤
الفرع الرابع: شغل أوقات فراغ الأولاد بالمفيد	١٧٦
المبحث الثاني: مسؤولية الزوج	١٧٨
تمهيد	١٧٨
المطلب الأول: أهمية الزواج	١٧٨
المطلب الثاني: أثر الزوج في الوقاية من الانتكاسة	١٨٠

الموضوع	الصفحة
الفرع الأول: قيام الزوج بواجبات وحقوق الزوجة	١٨٠
الفرع الثاني: صيانة البيت من دخول عوامل هدم الدين وفساد الأخلاق	١٨٣
الفرع الثالث: استغلال أوقات الفراغ بالمفيد	١٨٤
المبحث الثالث: مسؤولية الإخوة	١٨٦
تمهيد	١٨٦
المطلب الأول: القيام بواجب النصح والإرشاد والتحذير من الفساد	١٨٦
المطلب الثاني: التعاون مع الوالدين في متابعة الأخ وتوجيهه	١٨٨
المبحث الرابع: مسؤولية عامة الأقارب في الوقاية من الانتكاسة	١٩٠
تمهيد	١٩٠
المطلب الأول: مكانة الأقارب وحقوقهم في الإسلام	١٩٠
المطلب الثاني: أثر عامة الأقارب في الوقاية من الانتكاسة	١٩٢

الفصل الرابع

٢٤٤١٩٥ التدابير الاجتماعية والتعليمية والإعلامية

تمهيد	١٩٧
المبحث الأول: التدابير الاجتماعية الوقائية من الانتكاسة	١٩٨
تمهيد	١٩٨

الصفحة

الموضوع

٢٠٠	المطلب الأول: أهمية المسجد وأثره في الوقاية من الانتكاسة
	الفرع الأول: أهمية صلاة الجماعة وأثرها في الوقاية من
٢٠٢	الانتكاسة
	الفرع الثاني: أهمية الخطب والدروس والندوات وأثرها في
٢٠٥	الوقاية من الانتكاسة
٢٠٩	المطلب الثاني: أهمية القراء وأثرهم في الوقاية من الانتكاسة
٢٠٩	الفرع الأول: أهمية القراء وتأثيرهم على الأفراد
٢١٢	الفرع الثاني: أثر القراء في الوقاية من الانتكاسة
٢١٥	المبحث الثاني: التدابير التعليمية الواقية من الانتكاسة
٢١٥	تمهيد
٢١٥	المطلب الأول: أهمية التعليم
	المطلب الثاني: أهمية المؤسسات التعليمية في الوقاية من
٢١٧	الانتكاسة
٢١٧	الفرع الأول: أهمية المناهج الدراسية في الوقاية من الانتكاسة
٢٢٠	الفرع الثاني: أهمية المعلم في تحقيق الوقاية من الانتكاسة
	الفرع الثالث: أهمية الإدارة المدرسية في تحقيق الوقاية من
٢٢١	الانتكاسة
٢٢٢	أولاً: مدير المدرسة
٢٢٤	ثانياً: المرشد الطلابي

الصفحة

الموضوع

المبحث الثالث : التدابير الإعلامية وأثرها في الوقاية من

الانتكاسة ٢٢٦

المطلب الأول : وسائل الإعلام وأهدافها ٢٢٧

الفرع الأول : وسائل الإعلام ٢٢٧

(١) وسائل بصرية (مقروءة) ٢٢٧

(٢) وسائل سمعية ٢٢٨

(٣) وسائل بصرية سمعية ٢٢٩

(٤) وسيلة مقروءة مسموعة مرئية ٢٣٠

الفرع الثاني : أهداف وسائل الإعلام ٢٣١

(١) تجميع الأخبار ونقلها ٢٣١

(٢) التسلية والترفيه ٢٣١

(٣) التعليم والتثقيف ٢٣٢

(٤) الإعلان ٢٣٣

(٥) الخدمات العامة ٢٣٤

المطلب الثاني : أهمية وسائل الإعلام في تحقيق الوقاية من

الانتكاسة ٢٣٥

الفرع الأول : أهمية البرنامج الإخباري ٢٣٥

الفرع الثاني : أهمية البرنامج الترفيهي ٢٣٧

الفرع الثالث : أهمية البرنامج التعليمي والتثقيفي ٢٣٩

الصفحة	الموضوع
٢٤١	الفرع الرابع: أهمية البرنامج التوجيهي
٢٤٣	الفرع الخامس: أهمية البرنامج الإعلاني
٢٤٤	الفرع السادس: أهمية مواقع الإنترنت وخدماته
٢٤٥	الخاتمة
٢٤٩	قائمة المراجع والمصادر
٢٦٩	فهرس الموضوعات

